الإبداع الفنى

فى قصص الخيال العلمى



الدكتورة عزّة الغنام

الإبداع الفنى

فى قصص الخيال العلمى

الدكتورة عزّة الغنام
كلية البنات - جامعة عين شمس

١٩٨٨

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالي « وما أوتيتم من العلم الا قليلا »

صدق الله العظيم

الاهـــداء

الى أســتاذى ورائدى
الاستاذ الدكتور أحمد كمال زكى
بتقدير ، واعتزاز ، واعتراف بدين

عزة الغنـــام

مقـــدمة

أروع ما في الفن انه يقول شيئا لاتقوله الحياة ويرقرق باللون وبالكلمة والحجر نور المعرفة مدى الحياة ·

وقديما حلق الانســـان بخيالة ' وحاول به أن يســـتغرق فيالكون لفض أسراره أو مصالحة المطلق فيه واحتضان مثالة حتى اطمأن الى ما يحيط به ويتعامل معه ، فكان كمن راح يمر بحلم وراء حلم حتى استيقظ على الايمان بالحقيقة ·

وفي مساره الطويل أفضى بأشـياء وجنى من بذور المعـــرفة ثمارها وعاش بالامل من أجل انسان أوفر حكمة وأغزر عطاء وهكذا أعاد تشكيل العالم من خلال رؤية كاملة أو مدعاة لاطمئنانه ، وتخيل حلولا أو ضع تفسيرات ومبررات لعالمه وعلاقته بما وراءه في أعمال فنية تركها لنا في عالم الاساطير والحكايات الخرافية والفلسفية ·

ولا يمكننا الان في ظل التقدم العلمي الرائع وبفضل الثورات التكنولوجية وما أحدثته من تطور في مجالات العلم المختلفة الا أن نشعر بأننا لم نزل في حاجة الى بداهة ذلك الفنان المفكر الاول وقد كان بعضها أشبة بنبوءات علمية طريفة ' وهذه تطورت فيما بعد وأتت بنتائج لم تكن في الحسبان ، وكان من أبرزها الانجاز المخيف الذى أحدثته القنبلة الذرية ، ثم اختراع الانسان الآلي أو « الروبوت » والكمبيوتر والسفر عبر الفضاء بواسطة الصواريخ ، وأخيرا الهندسة الوراثية ·

أننا نعيش اليوم في عصر غدا فيه التقـــدم العلمي ظاهرة لافتة في حياتنا ، وصار على الفنان اليوم أن يعكس في أعماله صورا لذلك التقدم الحضاري ، وأن يستجيب للتراث الاسطوري الذى خلفه لنا السابقون ' وقد ظهر اثر هذا في أدب الخيال العلمي الذى جمع بين العلم والخيال ، وارتبط في أذهان الكثيرين بما يعرض حاليا من أفلام أجنبية تعرضها الســـينما

وبواسـطة التلفزيون وأشرطة الفيديو وكان جمهور النقاد ـ الى عهد قريب ـ يضعون كل أولئك في مرتبة مسـاوية للرواية البولسية أو رواية الفانتازيا ، ولا ندرى أيقتصر الأمر علي هذه الدائرة أو يجاوزها مستقبلا ٠

... ولقد أثارني موضوع الخيال العلمى في القصة باعتباره موضـوع الساعة ـ كم يقال ـ فضلا عن أنه لم يحظ بدراسة أكاديمية متخصصة عندنا من قبل ٠ بل مازلنا نجهل طبيعة موقف أدبائنا من هذا النـوع المثير من القصص ٠ ومدى استجابة أعمالهم لهذا التقدم الحضـارى الملقى على عاتقهم ، وكيف يواكبون أحدث الاكتشافات العلمية فى مجالات الفضاء وعلوم الحياة مما يميط اللثام عن الانسان وطموحاته وآماله ومخاوفه بعد أن أطلق العلم ما رده الجبار ٠

ومـع ذلك فهناك الكثير من الافكار والتنبؤات والرؤى الغامضة التى يطرحها كتابنا من خلال تصوراتهم عن العالم الخارجي وعن الكواكب الاخرى وامكانية اكتشاف حياة راقية أو مماثلة فى أنحاء الكون !

ويبدأ كاتب الخيال العلمى مؤخرا أكثر وعيا وقدرة على النفاذ ببصيرته الى غوامض الوجود بمقدار ما يملكه من حدس فنى متتبعا آخر ما وصـل اليه العلم من تقدم ومتجاوزا حدود الزمان والمكان ليوجه رسالة الي القارىء وربما الي البشر جميعا لكي يضعوا في اعتبارهم هاجس التغيير المطلوب ، وأمل السلام المفقود ٠

وعلي الرغم من أن الاثارة هي أهم ما يميز الموضوع ، وعلي الرغم من نجاح كتابنا الي حد كبير في تصوير الأشياء غير الواقعية ـ بطريقة تبدو واقعية أو قابلة للتصديق ٠ فانني قررت التخلى عنه عدة مرات ، بعد أن تعمقت معاذاتهم وكانت فى أحيان كثيرة أشبه بالكابوس ، وكم لعب الخوف لعبته المعروفة ،

الا انني رأيت أن اتخلي عن ذلك الخوف وما صاحبه من عذابات يؤججها الخيال الجامح حتى لا أضيف الى عالمى سجنا آخر بجانب السجون التى تحدق بي !

وهكذا قررت أن أواصل البحث بعد أن أدركت أن محنة الخوف هى محنة الانسان في هذا العصر ، وأن الانسانية التي يخيم عليها احســـاس بدنو خراب قادم تحتاج الي المواجهة الحاسمة · بجانب أن بعض كتابنا لم يعدموا نوعا من التفاؤل الذى يجعل صورة المستقبل أكثر اشراقا ·

ويهذا الدافع ، اقدم للقارىء هذا الكتاب باعتباره محاولة مواجهة ، وعملية كشف عما يمكن أن ينفع الانســـان ·

عزة الغنام

مصر الجديدة فى ١٩٨٨/١٠/٢٥

المدخــل

تاريخ القصص العلمى

(أ) فى أوربا

(ب) فى العالم العــربى

المدخل

تشكيل القصص العلمى

(أ) فى أوربا

هل يصعب علينا أن نجد لعصرنا اسما مناسبا وهو لم ينقض بعد ؟ ان بعض العلماء يسمونه أحيانا « عصر الذرة » ، وأحيانا أخرى عصر « التحليل » ، كما وصفه هكسلى بأنه « العالم الجديد الشجاع » ، وتفيد هذه المسميات وغيرها ـ اننا فى عالم شديد التناقض وتتصارع فيه « الغوريلا والجوهر » ٠

وفى عام ١٩٤٨ أصدر جورج اورويل رواية لافته بعنوان « العالم سنة ١٩٨٤ ورسم هذا العالم فيها محكوما بالالكترون ووسائل التكنولوجيا المدسوية بالتجسس والشره والضغينة » ٠

وأما فى الأدب ، فله أسماء وصفات متعددة ، فهو « عصر الغموض والتعقيد ، وهو « عصر « التجريب » ، وكذلك عصر التفتيت ربما نسبة الى تفتيت الذرة فى الفيزياء أو هو عصر التشريح والتقويض
decomstra ctionalism
بالنظر الى طريقة التعامل مع النص فى ضوء البنيونات اللغوية أو الاسلوبية ٠

والواقع أننا نمر بمرحلة كل شيء فيها معقد ، وأصاب الخلل كل مايبدو فيها منظما ، فان القوانين التى أتفق عليها من قبل دمرتها الذرة أو غيرتها الرياضة الحديثة ٠ بل لقد صارت التحليلات الاقليدية ـ نسبة الى اقليدس ـ مجرد نتاج عصر متخلف ، وتداعت الأسس التى ظن الانسان قرونا أنها ثابتة ، ومابقى منها تحرك بالسرعة التى يقطعها صواريخ القضاء الى القمر والكواكب وبعض النجوم ٠

وهكذا يضطر انسان هذا العصر الى أن يعيد النظر فى موقفه من نفسه، ومن الكون ، ومن أية محاولة لتفسير الأشياء بما لم تفسر به وفق المنطق الارسطوطاليسى الموروث ·

ومن المؤكد أن العصر يبدأ عمليا بتلك الثورة التى قادها علماء القرن السابع عشر ، ومنهم «جاليلو» الذى انبرى فأثبت أن الارض تدور حول نفسها وليست حول الشمس كما معتقدا من قبل·وكشف «نيوتن» عن قوانين الحركة والجاذبية (١) ، وأقام للرياضيات والطبيعة على قوانين صارمة مكانت من الوضوح والدقة بحيث أصبحت من أهم معالم عصرة،وانعكست على أقلام كبار الكتاب والفلاسفة فى القرن التاسع عشر ، وقد مهد «داروين»ـ الى حد ما ـ لتقبل النظريات الحديثة حين قلل من أهمية الدور الذى يلعبه الانسان ، وجعله مجرد حلقة فى تاريخ الكائنات الحية الهائل الطويل ، فلم يعد الانسان أفضل المخلوقات بل أصبح مخلوقا فى مرحلة انتقالية يؤدى دوره فى عملية التطور ·

وبعد «داروين» « ونيوتن» يأتى « ماكس بلانك » » (١٨٥٨ ـ ١٩٤٧ . الذى ساعد بنظرياته فى « الكوانتا » على تفتيت المادة وانكار الاستمرار وأصبحت «الكوانتا » ـ وهى وحدة من الطاقة ـ أساس مادة الكون وأدرك العلم الحديث أن أسرار الطبيعة والكون والمادة تكمن فيما وراء ادراك الانسان المحبوس فى سجن حواسه ·

من ناحية أخرى أدرك «أينشتين » أهمية نظرية « بلانك » وقال أن جميع أشكال الطاقة المشعة بما فيها الضوء والحرارة وأشعة أكس تسير فى الفضاء

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب برونوفسكي العلم والبداهة ٦٢ وما بعدها ترجمة أحمد عماد الدين ابو النصر مراجعة د حسين سعيد ط لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦١ ·

بموجات متتابعة مقطعة ، فتشكك انسان العصر فى ماهية الضوء التى كان يظن أنه يعرفها جيدا وأخذ بحديث «اينشتين» عن ذرات الضوء وجسيماته ، بل قبل نظريته بالرغم من أنها تحطم ثقته بنفسه وتنمى أو تضخم ايمانه بالسببية والحتمية ٠

ولقد كان من أهم نتائج نظرية النسبية تقرير أن الانسان لم يعد فى استطاعته أن «يرى» الحقيقة الموضوعية بوضوح تام ، وحتى فى محاولته مراقبة ـ المادة ـ بأجهزة خاصة تعوضه عن ضعف حواسه ـ فانه يشوهها ويشوه الحقيقة التى يحاول الكشف عنها ،٠

وقد أصبح العالم يرتكز على نظام رياضى بحت يرمز الى الأشياء التى لا يمكن ملاحظتها أو رؤيتها ، وترتب على ذلك أن أحدا لم يعد ينظر الى العالم بصورة يقينية ، وصار اليقين عنده مما لا يتفق وطابع العصر وانسان العصر٠ ولم يعد من الضرورى أن يصف الروائى ـ مثلا ـ أبطاله بدقة ، لأنه لا يمكن أن يعرف شيئا مؤكدا عن أبطاله بل لا يعرف شيئا مؤكدا عن نفسه هو ! ٠ وكذلك أدت أبحاث فرويد الى الكشف عن تناقضات النفس البشرية، وتضخمت عنايته باللاوعى من منطلق أنه الطبيعة الجوهرية الفذه لكل مخلوق حى ٠

وقد استجاب الأدباء للنتائج العلمية الحديثة واغتنموا فرصة قصور العقل والمنطق ليقيموا أفكارهم على العبث ويبرروا الوقوع فى الخطأ ، وجادلوا فى وصول الانسان الى معرفة اليقين العلمى هل بعقله العاجز حقا ، أو بالهامه العميق أو بحواسه القاصرة ؟٠

وواجه الأدباء هذا اللغز بشجاعة ، وفى مقدمتهم «اليوت» فى الشعر . و « هكسلى ، و « جويس » ، و « وفرجينيا وولف « فورستر »فى الرواية ٠ ولم يلبث أن تعلق انتاج القصص فى القرن العشرين بمشكلة حقيقة الموت

والحياة ونظرية المعرفة بوجه عام · ومن ناحية اخرى تدهور الاعتقاد ، واطيح بالاخلاق وبخاصة عند التقنيتين ، ثم شاعت مقولة العالم المهدد بالانهيار والفناء فى اية لحظة ·

والنتيجة هى أنه لم يعد فى العالم سوى الذرات والخواء ومقولة أننا أصبحنا نحمل فى عظامنا « السترنشيوم » المشع » ، وهو عنصر من صنع الانسان لم يكن له وجود قبل عام ١٩٤٥ وانما وجد بعد هذا التاريخ نتيجة لترسيب الغبار الذرى من اثر التفجير (٢) ·

وبدا واضحا أن أنسان العصر بظروف المرحلة القائمة Status - guo مطالب أكثر من أى انسان فى أى عصر مضى بقبول فيض زاخر متلاحق من التغيرات · ولا شك أن هذه التغيرات مهما يختلف عليها الأدباء أو الشعراء أو المفكرون حققت للناس متعا ذات قيمة فى حياتهم ، ووقفتهم على «أشياء» منهلة ، وكانت هذه الأشياء المذهلة « مادة » خصبة بل شديدة الخصوبة فى بنية الأعمال الادبية الكبيرة ·

حقيقة كان من الطبيعى أن يقف الانسان حائرا متسائلا ، ثم ماذا ؟ وما معالم الطريق في وجودنا ؟ ، وكيف صار العالم من حولنا حافلا بالمفاجآت المذهلة ، والاحتمالات المخيفة ؟ والى متى يظل العلماء ينكبون على أبحاثهم ويطلون علينا كل يوم بجديد مذهل وبنتائج علمية لم نسمع عنها من قبل تبدو أشد خطرا مما نتصور لاســيما وهى تقتحم أسرار الخلية الحية وتعمل على اعادة انتاج بشر وفقا لمواصفات سبق تحديدها لتلبية احتياجات معينة داخل المجتمع · وبجانب ذلك نرى الاكتشافات الفلكية والتعرف على مصانع المادة العملاقة فى فضاء الكون وهو ما يطلق عليه العلماء أسم « الكواسارات»

---

(٢) انظر عثمان نويه حيرة الادب في عصر العلم ١٦ وما بعدها (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر سنة ١٩٦٩ ·

وهى التى توكل اليها مهمة تعويض الكون عن كل مايفقده من خلال تمدده • هذه الأبحاث الدائرة حولها ستقلب اتجاه الزمن وتعكس حركته وتهدم جوانبا من نظرية «اينشتين» وتفتح المجال لاشكال جديدة غير معروفة من الطاقة (٣)

ومن الملاحظ أن هذا كله أتى ثماره ، وظهر أن ذلك النشاط العلمى شكل نوعا جديدا من الأدب استوعب معالم الرؤية العلمية الجديدة وتنبأ بالمستقبل قبل أن يدهمنا ويفقدنا صوابنا •

واذا كان « قصص الخيال العلمى » قد أثريت مادته بهذا - ونحوه كثير - فاننا يجب الا ننسى ان بداية الحقيقية كانت على يدى عالم الرياضيات الالمانى « كبلر » وذلك فى قصة كتبها باللاتينية سماها « الحلم » وقد نشرت بعد وفاته فى سنة ١٦٣٤ ، وقد أراد من خلالها أن يبسط كشوفه فى علم الفلك • لقد كان كتاب كبلر مزيجا من الخيال والادب والمعرفة العلمية عن الفضاء • ولهذا فقد بقى مصدر الهام لكتاب كثيرين من المهتمين بفكرة غزو الفضاء (٤) •

وكتب بعد كبلر عن الفضاء الانجليزى « وليم جودوين » وجول فيرن و « ويلز » الذى تنبأ بالكثير مما تم اختراعه فى القرن العشرين من طائرة ، الى غواصة ،الى هبوط على سطح القمر • وفى هذا القرن ايضا نجد « صمويل بتلر Samuel Butles ١٨٣٥ - ١٩٠٢ ، وكتب ايضا فرانسيس بيكون « اطلانتس الجديدة » وهى تعتبر صورة لأحلام البشر فى دوله ناجحة ، وبشر سعداء يتمتعون بصحة جيدة • فكأنها ضرب من ضروب

---

(٣) انظر : راجى عنايت أحلام اليوم حقائق الغد ٨ دار الشروق سنة ١٩٧٤ •

(٤) انظر : ى هينجر القصة العلمية الحديثة الي أين ، الفكز المعاصر يونية سنة ١٩٦٩ •

المدن الفاضلة وهى الكتابات التى كانت نتيجة للثورة الصناعية والتطور العلمى وفتحت أفاقا جديدة وأصبح الكثيرون من الكتاب يؤمنون بأن فى استطاعة هذه الثورة أن تجد الحل العملى للتغلب على مشكلة الفقر وتدقيق المساواة فى حياة رغدة مثالية · وقد اعتبر هذا جديدا على الفكر اليوتوبى . فبينما تركز اهتمام يوتوبيات العصر الكلاسيكى على المتع الذهنية ، والسعادة الروحية على نحو ما تبين فى يوتوبيا توماس مور مثلا ، لا نجد هذا الاهتمام فى يوتبيات القرن التاسع عشر ، فقد كان معظمها يقيس سعادة الانسان بعدد قطع الأثاث التى يمتلكها أو أصناف الطعام التى تقدم اليه فى كل وجبة ·

وهناك نوعان من اليوتوبيات (٥) يوتوبيات علمية تحاول الاستفادة من التطورات العلمية بحيث تقدم عالما مبهرا من الناحية التكنولوجية ، مثال ذلك يوتوبيات هـ · ج ويلز · H.G. Wells والثانية يوتوبيا مثالية وهى التى تصور الانسان بأكمل صورة ، ويعتمد فى بناء مجتمعه الفاضل على الثقة بأنه خير بطبيعته وأنه لابد أن يحقق لنفسه ولغيره السعادة اذا مارس انكار

---

(٥) الـ Utopiu (الطوبيا أو اليوطوبيا ، عبارة مشتقة من اللفظتين اليونانيتين Topus' ou ومعناها : « مالا يوجد في أى مكان » ويقصد بها أرض خيالية يبلغ كل مافيها مبلغ الكمال · وقد ظل التفكير الطوبائى لعدة قرون سمه من سمات الحياة الفكرية وكان أول الكتب التى وصفت مدينة فاضلة هو « جمهورية أفلاطون » ، وتوماس مورق ١٦ ، وصمويل بتلر فى ق ١٩ ، وفى الصين وضع مفكر صينى يدعى كانج يو ويى ١٩٢٧ كتابا بعنوان « كتاب العالم الواحد يصور عالما لا يعرف الانسان فيه شقاء أو معاناة انظر رسالة اليونسكو العدد ٢٨٢ سنة ١٩٨٤ مقاله بعنوان « عصر العالم الواحد » بقلم كانج يو ويى ·

(٦) انظر مقدمة د · طه محمود طه لمسرحية انسان روسوم الآلى لكارل تشابيك ١٠ وما بعدها ط الدار القومية للطباعة والنشر ·

الذات ، وتحققت له أسباب الحرية والكفاية ، وتخلص من قيود المدنية وعاد الى الحياة الفطرية النبيلة ، كما هو الحال فى جمهورية افلاطون ، ويوتوبيا سير توماس مور .

ويرى معظم كتاب اليوتوبيا فى القرن العشرين أن اليوتوبيا لم تعد تبشر بالسعادة ولا بالتقدم ، وأصبح الحلم كابوسا مزعجا بعد التقدم العلمى المتـــلاحق الذى يفوق نمو الوعى بالقيم الدينية والروحية ، وتسخير كل الامكانات لتطوير وسائل الفتك بالبشر واحاطتهم بالرعب . كل ذلك دفـــع الكتاب لرسم صورة مخيفة لحياة البشر فى المستقبل القريب أو البعيد ، فيكتب الدروس هكسلى A.Haxly « عالم جديد شجاع » ، ويكتب جورج أورويل Gcorge orwill « العالم سنة ١٩٨٤ » ومزرعة النمل ، ونرى نقدا لليوتوبيا العلمية فى كتب اخرى مثل « الخبز والازهار » « لا ثيل مانين » ، والخيال اليوتوبى » « لريتشارد جوبر » .

وهناك فريق اخر يرى أن الآلة هى الشر ذاته ، بعد أن استعبدت الانسان وسخرته لخدمتها تدريجيا ، فصمويل بتلر فى قصة « ايروين » يقول « ان التطور العلمى سيخرج لنا الآلات لانتاج الات أخرى ' وعندما يتزايد عددها وتصبح ذاتية الحركة قد تدوس الانسان بتروسها وتسلبه حريته ، وقد يستفحل الخطر وتتطور الآلات الذاتية الحركة حتى يصبح لها نظام توالد كبنى الانسان وتقضى فى النهاية على الجنس البشرى » (٧) .

فسكان مدينة «ايروين» يخترعون الآلة ، ولكنهم ذعروا عندما كتب أحد فلاسفتهم مقالة اثبت فيها ان الآلة سوف تسيطر حتما على بنى الانسان، وهنا يحطمون جميع الالات والمصانع ويعودون الى الصناعات البدائية ويسنون

---

(٧) د . طه محمود طه :
القصـــة فى الادب الانجليز ١١٢ د ط الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٦ .

قوانين صارمة تحرم استعمالها

تلك الفكرة طرقها «كاريل تشابيك ١٨٩٠ ـ ١٩٣٨ فى أحدى مسرحياته بعنوان « انسان روسوم الآلى » تناولها ايضا « فورستر » فى قصة « عصر الآله ينهار » قدم صورة قاسية ، وسار بنا شوطا بعيد المدى ' قطعت الأنسانية فيه آلاف السنين فى طريق حضارة آلية عمياء ، وتطور علمى جارف ، أعرضت فيه عن مطالب الجسد من مأكل ومشرب استعاضت عنه بالعقاقير والأقراص، وترك البشر سطح الأرض وعاشوا فى أنفاق تحت طبقاتها ، حتى كره الناس رؤية العالم الخارجى بما فيه من هواء وشمس وقمر ونجوم · وسكنوا حجرات كل ما فيها يدار بالأزرار ، كل شيء يصل اليهم وهم جالسون حتى ارتخت عضلاتهم ، وومنت عظام ' وأكثر من ذلك تقطعت صلات القربى والأرحام ، حتى العواطف والمشاعر لم يعد لها وجود فهى لاتتناسب مع هذا التطور ، فلما وجدت بين شابين ـ كان ذلك ايذانا بنهاية هذا العالم ·

لقد قدم لنا الابن «كيونو» الذى يقطن تحت سطح احدى جزيرة فى النصف الشمالى ويحاول الاتصال بوالدته « فاشتى » التى تقطن فى الجزء الجنوبى لتأتى اليه لامر هام يريد رؤيتها من أجله وليست عن طريق الآله المزعجة · وتعتذر الأم فى البداية ، ولكنها تبدأ رحلتها المثيرة بعد الحاح ابنها وتتعرض لمخاطر كانت فى غنى عنها · وأخيرا تصل اليه ليخبرها بأمر تمرده على هذا النظام ، وأنه حاول الخروج من باطن الارض لرؤية سطحها الخارجى واذا به يقع فى عاطفة خارج الارض ، وازاء هذا التمرد يندك صرح الحياة وينهار من أساسه وتزول تلك المدينة الزائفة المفتعلة (٨) ·

---

(٨) أنظر فورستر عصر الآلة ينهار ترجمة جبران سليم مراجعة علي ادهم طبعة الالف كتاب ·

و « ألدوس هكسلى » (٩) فى قصة « العالم الجديد الشجاع » يرى التغيير السريع ، عن طريق استغلال العلم ، وتغيير الواقع جذريا بواسطة استخدام الآلات الرهيبة التى تتحكم فى كل شىء حتى فى تخليق الأجنة وتشكيلهم فى انابيب وتوجيه كل فرد سبق تجهيزه الى وظيفة أعدت له فى المجتمع ٠

وقد حكى « هـ ٠ ج ويلز » عن مغامرات الانسان فى المستقبل لركوبه «آلة الزمن » The Time Machine » حيث ينتقل بطلها الى مستقبل مخيف لتطور مرتد محاولا اعادة فترة مختلفة وفى رأية « ان الزمن هو مجره بعد رابــع وسوف يســافر الناس فيه يوما كما يسيرون الآن فى أحــد الشوارع » (١٠) ٠

★ ★ ★

وتطلع كتاب قصص الخيال العلمى الى غزو والكون لاكتشاف جوانب مجهوله فيه ، وغزو سكان الارض للكواكب الاخرى ٠ والسياحة بين هذه الكواكب ولعل سيرانو دى بيرجراك » (١٦١٩ ــ ١٦٥٥ ، بقصتيه « التاريخ الفكاهى لدول وامبراطورايات القمر، »و « التاريخ الفكاهى لدول وامبراطوريات الشمس » ، من ابرز الشخصيات فى هذا المجال فقد تخيل صواريخ متعددة الطوابق تتخذ وسيلة للتنقل بين الكواكب فضلا عن انعدام الوزن والهبوط بالمظلات ، بالاضافة الى تأكيده بان جسم الانسان مكون من خلايا ، مـــع وجود الميكروبات فى الدم ، ومقاومة الاجسام المضادة لها ٠ وقد تنبأ أيضا بظهور المصابيح الكهربائية بعد ذلك بزمن طويل والعجيب انه يؤكد لقرائه انه توصل الى هذه الاشياء من ابن الشمس فهل هو كائن اتى من الفضـــاء الخارجى ؟ ، ولم يتردد فى التصريح بهذا الرأى فى وقت لم يزل فيه الناس

---

(٩) انــظر ايفور ايفانز موجز تاريخ الادب الانجليزى ٢٤٤ ترجمة د ٠ شوقى السكرى (ط الانجلو المصرية) ٠

(١٠) انظر كولونولسن : المعقول واللامعقول فى الآدب الحديث ١٥٤ ترجمة أنيس ذكي ط بيروت

يزكرون المصير الذى آل اليه « جيور دانو برونو » الذى أعدم حرقا على أيدى محاكم التفتيش حين أدرك بوجود عدد غير دتناه من العوالم فى الكون (١١) ٠

وقد زود أيضا «جولفيرن» Julles Verne مركبته القمرية بعده صواريخ فى رحلاته « رحلة الى القمر » ، « حول القمر » وقد توصل الى أشياء بالغة الدقة وأكدها العلم الحديث اليوم حين قال « ان حالة انعدام الوزن سوف تسود على متن آلته طو'ل طيرانها فى الفضاء (*)لقد أكتفى بتصور نقطة بالقرب من القمر تنعدم منها جاذبية كل من الكوكبين فيطفو الركـاب والاشياء فى كابينة القذيفه القمرية ،(١٢) وله ايضا « رحله الى مركز الارض» و « عشرون الف فرسخ تحت سطح البحر »، وكانت هذه القصص بمثابة الالهام الذى الهب خيال العلماء ودفعهم الى البحث والتجريب وتسخير العلم ليتحول الخيال الى حقيقة ٠

وقد تنبأ أيضا « هـ ٠ ج ٠ ويلز » مع مطلع القرن العشرين ، وقبل أن يتحقق حلم الانسان الكبير فى الوصول الى سطح القمر بقصته « أول رجال وصلوا الى القمر » ، وقصتة « حرب الكواكب » وهى عن غزو سكان المريخ لكوكب الأرض ٠

أما موضوع « أول رجال وصلوا الى القمر » فقد اخترع بطلها«كافور» مادة عجيبة تبطل تأثير الجاذبية الارضية ، ويتمكن من الانطلاق فى سفينة فضاء مع صديق له يدعى « بدفورد » ، وعندما يصلان تأسرهما مخلوقات قمرية غريبة أقرب الى الحشرات الضخمة ٠ ويستطيع «بدفورد» الهرب بعد قتل العديد من سكان القمر ، ويبقى العالم كافور يجرى دراساته على المخلوقات

---

(١١) انظر رسالة اليونسكو فى العلم والخيال العلمى ص١٤ مقالة بقلم الكساندر كازا نتشيف بعنوان « لاعلم بلا خيال علمي »

(١٢) السابق مقال بعنوان جول فيرن أحد رواد الخيال العلمى بقلم البير دكرو

القمرية ويتصل بكوكب الارض ليبلغهم بنتائج ابحاثه فوق القمر وتنتهى القصة، والعالم كافور يتساءل ، لم اتينا الى القمر وما هدفنا ؟ (١٣) ٠

ويدعو الكاتب لبعض المبادىء فى كتاباته القصصية وغير القصصية ، مثل الوحدة بين أهل القمر ، واستخدمهم لغة واحدة ، وانعدام الحروب بينهم ، وقيام الحكم على يد ارستقراطية ثقافية ' ويقدم عالما مثاليا كما يتمناه البشر ، مؤمنا بالعلم الذى لا يؤدى الى قهر الانسانية والقضاء عليها » فيتحول الى نقمة جامعا بين المادة العلمية ، واثارة القضايا الاجتماعية والانسانية - وسنعرض لها بالتفصيل فيما بعد -

ونجد فى هذا الميدان أيضا « س س لويس » مؤلف الثلاثية التى تحمل عنوان « الى خارج الكوكب الصامت ، وتشمل رحلة الى المريخ ، ورحلة الى الزهرة ، وتلك القوة المخيفة وأيضا « أولاف ستيبلدون » فى « آخر الرجال وأولهم » و « صانع النجوم » ٠ وللكاتب الأمريكى ادرجار رايس (١٩٧٥ - ١٩٥٠) قصة أطلق عليها « جون كارتر فى المريخ ، وبعث بأبطاله الى المريخ والزهرة والمشترى ، حيث يتقابلون مع مخلوقات عجيبة ويحاربون معهم ضد الظلم والاضطهاد ٠

ويحاول الانسان التأقلم مع البيئات الجديدة الغريبة التى تصادفه فى رحلاته عبر الفضاء ففى قصة الكاتب الانجليزى أرثر كلارك » استطاع الانسان أن يطور نوعا من النباتات التى تنمو فوق كوكب المريخ لتنتج الاكسوجين ، الذى يمكن أن يتنفسه ، وهكذا يتحول الكوكب الميت الى بيئة ملائمة لحياة الجنس البشرى ٠ وقد عرض أيضا فى أحد أعماله فكرة وضع تابع صناعى يدور بسرعة دوران الارض ، فى مدار يقع على ارتفاع ثلاثين ألف كيلو متر

---

(١٣) انظر د ٠ أنجيل بطرس سمعان دراسة في الرواية الانجليزية ١٤٩ وما بعدها ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨١

من الأرض لغرض استخدامه فى الاتصالات اللاسلكية وفى اعادة بث برامج الراديو والتلفزيون (١٤) ٠

وهال كليمنت يتناول فى « الابرة Needle حكاية عن كائن هلامى دقيق جدا لا يعيش الا باحتلال اجسام الكائنات الاخرى الاكثر صلابة ، وقد دخل الى جسم شاب آدمى عن طريق مسامه ، فاحدث تغيرات بيولوجية مروعة ٠ وقد تكون هذه الكائنات هائلة الحجم مثل السحابه الســـوداء « Black Cloud » التى تتكون من غاز النيروجين المتضمن كائنات زكية ، وكانت تهدد كوكب الارض بالدمار فى قصة بالاسم نفسه للكاتب عالم الفلك فريد هويل ٠

وللكاتب الامريكى « راى براد بورى » قصص عن الفضاء ' ومعظم قصصه تتضمن تحطم سفن الفضاء فوق كواكب مجهولة أو انفجارها قبل وصولها الى هدفها ونرى رواد الفضاء يقاسون وسط بيئة غريبة كما فى قصتى « مقدمة الى الحلم » و «و الكلايدوسكوب » ويقدم طموحات الانسان وانجازاته وجمال الفضاء فى « الصاروخ » ، والرجال الموشى »و« نهاية البداية » و « يوم اسطرت الدنيا الى الابد » (١٥) ٠

★ ★ ★

(ب) فى العالم العربى ٠

هذا فى الغرب ، وأما عندنا ـ نحن العرب ـ فان هذا النوع من الفن القصصى لم تبد طـلائعة الا مؤخرا ٦فقد كتب توفيق الحكيم قصة قصيرة بعنوان « سنة مليون » ومسرحية بعنوان « رحلة الى الغد »،وللدكتور مصطفى

---

(١٤) رسالة اليونسكو ١٤

(١٥ مقدمة رؤوف وصفى لمسرحية عمود من نار تاليف راى براد بورى (ط الكويت العدد ١٨٤ سنة ١٩٨٥ ٠

محمود أيضا قصتان هما : « العنكبوت » و « رجل تحت الصفر » ورؤوف وصفى له مجموعة قصصية بعنوان « غزاة الفضاء » • وصبرى موسى له رواية بعنوان « السيد من حقل السانخ » وايهاب الازهرى له رواية بعنوان « الكوكب الملعون أما الدكتور يوسف عز الدين عيسى فقد اتجه بانتـــاجه من هذا النوع الى الاذاعة ، وفى المغرب نجد الدكتور محمد عزيز الحبابى قصة بعنوان « اكسير الحياة » وأحمد انفذاران له ثلاث روايات الاولى « الطوفان الازرق سنة ١٩٦٨ ، « وسأبكى يوم ترجعين » سنة ١٩٧٦ « والمدخل السرى » الى الكهف » سنة ١٩٨٤ •

ومن أبرز كتاب هذا النوع من القصص فى مصر نهاد شريف الذى أثرى أدبنا العربى بعدة أعمال قصصية سدت فراغا كان يمكن أن يظل شـــاغرا فى أدبنا • وله روايتان • الاولى هى « قاهـــر الزمن عام ١٩٧٢ والثانية هى سكان العالم الثانى » عام ١٩٧٣ ، وله ايضا مجموعات قصصية منها « رقم ٤ يأمركم » عام ١٩٦٨ « والماسات الزيتونية عام ١٩٧٩ • « والذى تحدى الاعصار » عام ١٩٨١ •

وهى محاولات جادة لكتابة نوع راق من أدب الخيال العلمى Science Fiction تتميز بميزات جمالية وفكرية ، بجانب ماتقدمه من التسلية ، ووراء ذلك كمية هائلة من المعلومات أو المنجزات العلمية الحديثة ، تحقق بعضها أو قد يتحقق من خلال رؤية الكاتب المستقبلية ، وكأنه يريد أن يعطينا أملا فى غد أكثر اشراقا ، أو كأنه يحلم بتقديم عدد من الحلول لمشكلاتنا المعاصرة • ولعله بعد ذلك أو قبل ذلك يسخر من عجزنا وضعفنا أمام عناصر الكون المتناهية •

لقد استطاع نهاد شريف بكتاباته الروائية أن يحقق نوعا من التوازن بين المعلومة العلمية والصياغة الادبية من خلال علاقات انسانية تثرى الفروض

العلمية وقد اكتسى ابداعه بشجن شاعرى ، أذاب به جفاف المادة المقدمة مبتعدا ماوسعه عن المصطلحات العلمية ، ومتجنبا ما استطاع الغرابة من أجل الغرابة وحدها ، فكثيرا ما يجنح بعض الروائيين فى كتـــاباتهم الى التحصن بدروع من المصطلحات المعقدة والمعادلات التى تشكل قدرا كبيرا من الصعوبة فضلا عن ترديهم فى آفات التشابه والتكرار (١٦)

---

(١٦) انظر : المعقول واللامعقول في الأدب الحديث ١٦١ ٠

الفصــل الاول

تشكيل القصص العلمي

الفصل الأول

تشكيل القصص العلمى ٠

استطاع العلم خلال القرون القليلة المتأخرة أن ينجز الكثير من أجل تطور البشرية ، وتنبأ بتحقيق اكتشافات مذهلة كانت الاساطير القديمة أو بعضها ـ تفسيرية وتعليلية ـ بداية مؤكدة لها ، وبتلك الاساطير خرج الانسان من محدودية معلوماته وخبراته ، وسعى عن طريقها الى ايجاد الحلـــول لمشكلاته التى بررت علاقته بالكون ٠ وقد نتج عن ذلك تراث خرافى شكل عددا من الاعمال الفنية والادبية التى لا تزال توظف أدبيا حتى اليوم ، ولعلنا من هنا نفهم بشكل أو بآخر كيف تلتقى الأسطورة بقصص الخيال العلمى فكل منهما طريقه فهم أو خطة عمل استشرف البدائى من خلالها عالمه على انه كل واحد بأشيائه وحيوانه وانسانه وبالقدر نفسه ـ تقريبا ـ استغلها انسان العصر لتحقيق ثوراته التكنولوجية التى قفزت بالكون الى عالم تعامل فيه بحسابات دقيقة مع القمر ثم مع بقية الكواكب فالنجوم والمجرات التى لا تحد، فضلا عن وصوله الى اعماق البحار واختراع الروبوت أو الانسان الآلى وتسخير الليزر ٠

فبالحلم الساذج الذى يرتبط بعضه بلا وعى يونج الجماعى ونماذجه العليا Arch atypes ، وبالحلم المدروس والتجريب مرة أخرى وضع يده على سر الكون ورأى كيف هو ضئيل ازاءه ، وان كنا نراه يحاول جاهدا مجاوزة هذه العقبة باختراع ما يعينه على الامساك بالكون بقبضة من حديد !

وتعد قصص الخيال العلمى بوجه عام ـ ميدانا جديدا يثبت لنا فيه هذه المعجزة ويؤكد أن العقل الانسانى قادر ـ ولو تخيلا ـ على اعادة تشـكيل

العالم بوسائل التقنية الحديثة التى لا حد لها (١) ٠

★ ★ ★

أما هذا الخيال العلمى فقد شهد ثلاث مراحل مهمة : المرحلة الكلاسيكية وهى تلك التى شهدت طلائع ٠ الذين ظهروا فيما قبل القرن العشرين ، وتمثلها التجارب الاولى التى ظهرت عند أمثال جول فيرن الفرنسى وهربرت جورج ويلز الانجليزى أبرز كتابها ٠ أما المرحلة الثانية فقد ولدت فى الولايات المتحدة فى الثلاثينيات من القرن الحالى ولم يتخل كتاب هذه المرحلة عن العوالم التى صنعها الكتاب الكلاسكيون فى هذا النوع فقد ظلت التيمات المستوحاه هى نفسها ولكن المعالجة تغيرت وكما يقول دكتور هيجر : « أن هذه المرحلة تتسم بالتخلى بلا رجعة عن المنظور المتخلف لمذهب تشبيه كل الكائنات بالانسان » وأما المرحلة الثالثة للخيال العلمى فى الادب فهى تتبع المعيار نفسه وفيها يحلق الكاتب بخياله الى افاق يصعب تخيلها من قبل الجهلاء بأسراره ٠ وقد نجح كتاب هذه المرحلة فى العثور على أرض للتأمل العلمى والايديولوجى والسياسى والثقافى فى آن واحد ، تتصل وتتقاطع فى غالبيتها بالرغم من ظاهرها مع الاهتمامات المعاصره (٢)

وقد استخدم كتاب الخيال العلمى ـ بمرور الزمن ـ خيالهم البشرى ليخرجوا من الاشياء المجهولة أو الصامته صورا تفيض بالحياة ، ويحولوا المحسوس الى معنى ، فنرى المستقبل المجهول أو أعماق الكون وقد تحول الى أفكار متموجة هائمة ، ويهزم المسافات بين الكواكب والنجوم فى انحاء الكون ، يحلم الانسان فيه باللحظة التى ينتصر فيها على الشيخوخة ويقهر الامراض

---

(١) انظر برتراند راسل : حكمة المغرب ص ٢ ٠ ٢٦٠ ترجمة فؤاد زكريا سلسلة عالم المعرفة الكويت ٠

(٢) أنظر مقال محمود قاسم التقارب الفكرى بين نهاد شريف وجول فيرن فيرن جريدة الرياض العدد ٥٤٢٧ السنة التاسعة مع ابريل سنة ١٩٨٣ ٠

ويتحكم فى التعب ويمحو الألم ويهيىء نفسه لاستقبال كائنات أكثر رقيا منه تفد من عوالم أخرى قصية أو كائنات أقل رقيا ننطلق نحن اليها ، فكيف يتم هذا اللقاء المرتقب ، ثم كيف ستكون نهاية العالم ؟ لقد تمكن كاتب الخيال العلمى أن يناقش هذه القضايا من خلال كتاباته على مر السنين جامعا بين تصورات الخيال وأسباب العلم القائم على التجربة والمفضى الى نتائج محددة

ما الخيال العلمى ؟

ثمة تعريفات (٣) لقصص الخيال العلمى لعل من أهمها تعريف الامريكى بيلى J. O. Bailly وفيه يقول : أن القصة العلمية « تترجم المكتشفات والمخترعات والتطورات التكنولوجية القريبة الظهور ، أو التى لم تظهر بعد الى مشاكل انسانيه ومغامرات درامية » ٠

وهناك تعريف آخر لجروف كونكلين groll conklin الامريكى ايضا ، ففى تقديمه لاثنتى عشرة قصة من هذا النوع فى مجلد واحد ـ نكر أن الفضاء أو الوحوش الجاحظة العيون ، أو العوالم السحرية أو الوان المستقبل

الفضاء أو الوحوش الجاحظة العيون ، أو العوالم السحرية أو الوان المستقبل

فبالاضافة الى هذا كله مما تستطيع القصة العلمية أن تعالجة أو مما تعالجه بالفعل ، نجد أنها تتمتع بغريزة تتعلق بالافكار والتساؤلات الخيالية عمن يحيطون بنا بل تتعلق بالعالم على اتساعه »٠

وأما الروائى الانجليزى كنجرلى أميس Kingsley Amis فله كتاب درس فيه هذا اللون من الابداع الفنى عنوانه « خرائط جديدة للجحيم » وفيه قال : أن القصة العلمية هى « ذلك النوع من القصة النثرية التى لم تستطيع الظهور فى هـ ذا العالم الذى نعرفه ، وانما هى تقوم على فرض أساسه

---

(٣) على شلش : مقال بعنوان ادب الخيال العلمى لدينا حديث المعهد زالمجلة : العـــدد ١٦٦ ابريل سـنة ١٩٨٣

ابتكارات العلم أو ما يسمى بالعلم الكاذب أو التكنولوجيا الكاذبة ، سواء اكانت هذه الابتكارات من صنع البشر أو من خارج الارض نفسها ، ٠

وهناك رأى آخر لاحد أساتذة الفيزياء فى امريكا وهو «أميت جوسوامى» يقول عنه : « قصص الخيال العلمى هو ذلك الضرب من الرواية الذى يعرض تيارات التغيير فى العلم وفى المجتمع فهو يهتم بنقد النماذج العلمية الثابتة وتوسيع نطاقها واعادة النظر فيها واتخاذ نهج ثورى ازاءها ٠ وان هدفه هو العمل على تحويل زاوية النظر الى تلك النماذج بحيث تغدو أكثر تجاوبا وتوافقا مع الطبيعة » (٤) ٠

ويمكن على أية حال أن نقول ان مصطلح الخيال العلمى يعنى ذلك الفرع من الأدب الروائى الذى يعالج بطريقة خيالية « استجابة الانسان لكل تقدم فى العلوم والتكنولوجيا ، سواء فى المستقبل القريب أو البعيد ، كما يجسد تأملات الانسان فى احتمالات وجود حياة فى الاجرام السماوية الأخرى » (٥) أو هو فن قصصى يعتمد خيالا مستمدا من التقدم العلمى ، ولا يرفض هذا التقدم ـ فى ذات الوقت ـ توظيف الاساطير القديمة وبعض الخرافات الشعبية ٠

غير أننا فى ضوء مثل هذه التعريفات وغيرها نرى أن القصة العلمية تقوم على عناصر شتى ، بعضها ضارب فى المعارف التكنولوجية وبعضها فنى خالص ، فهى لا تعتمد على النظريات العلمية أو التنبؤات التى لا يرفضها الاحتمال فحسب ، وانما ايضا على نظرية القصة بدءا بالسرد وتطور الشخصية على نحو ماتتطلبه الحبكة Plot .

---

(٤) مجلة اليونسكو مقال للكاتب أمين جوسوامى بعنوان العلم والخيال يتضافران على اكتشاف الواقع ٠

(٥) مجدى وهبه معجم مصطلحات الادب ٥٣ ط بيروت سنة ١٩٧٤ ٠

هذا ويجدر بنا أن نفرق بين « الخيال العلمى » بالتحديدات السابقة و « الفانتازيا » فى مفهومها الدارج ، وحتى لا يتم الخلط بينهما ـ فى كثير من الاحيان ـ نقول ان الفانتازيا هى الاداة الفنية التى تضرب فى الخيال الى مالا نهاية ولا تتقيد بمنطق ولا تابه بأى قانون ثابت متفق عليه ، ومن ثم تدور وقائع القصة فى جو غير عادى سداه السحر والغرابة ولحمته الأمور والاحلام المثيرة ٠



وفى أوربا نضجت القصة العلمية على يد عالميها جول فيرن وويلز ـ كما أشرت من قبل ـ وكلاهما خلف لنا منذ ستينات القرن الماضى تركه كبيرة من القصص العلمية اعتمدت الخيال وحفلت بالتنبؤات ٠

ويمكن أن نستعرض بعض قصص هـ ٠ ج ويلز (١٨٦٦ : ١٩٤٦) وهو الذى أجاد فى هذا النوع من القصص على أسس علمية معقولة مع استخدام خياله الخصب وقدرته على الخلق والابتكار والابداع ، فقد تنبأ بالوصول الى القمر قبل عشرات السنين من بزوغ فجر عصر الفضاء ، وكذلك جول فيرن الذى تحققت نبوءته فى اختراع الطائرة والغواصة والتلفزيون ، حتى لقد كتب المارشال ليوتى منذ زمن ليس ببعيد : أن الناس فى السـنوات الاخيرة ليس فى حياتهم أكثر من أنهـم يعيشون فعـلا فى عالم جول فيرن أو فى غواصته (٦) ٠

---

(٦) وذلك في روايته عشرون الف فرسخ تحت البحار ، وتدور احداثها في الربع الاخير من القرن الماضي تبدأ بالحديث عن وحش يجوب البحـار والمحيطات ويهدد الملاحين فترسل الحكومة الامريكية احدى سفنها للقضاء عليه ولكنه يحطمها تماما وينجو العالم اروناكس مع اثنين من اتباعه ليجدوا انفسهم أمام غواصه الكابتن « نيمو » الذى هرب من قسوة المجتمع وبنى مسكنا نموذجيا فى غواصته ، ويعجب اروناكس بنيمو ويتعلم منه الكثير ،
=

كما يمكن أن نطل على عالم ويلز الذى ترك لنا عدداً من القصص العلمية والتى يطلق عليها عادة « الرومنسيات العلمية » وأهمها « آله الزمن » وهى آله تحمل الانسان الى الامام وتهبط به فى عالم المستقبل و « حرب العوالم سنة ١٨٩٨ وهى تصور غزو أهل المريخ للارض · وأول رجال فى القمر ١٩٠١ ، « وأيام النجم المذنب » ١٩٠٦ وتصور مرور نجم ذى ذنب بالقرب من الارض وما يثيره ذلك من رعب وفزع بين البشر ·

أن ويلز لم يكن يقصد بقصصه تلك وصف السفر الى الكواكب أو وصف العوالم الغريبة التى تنتهى اليها رحلاته المثيرة فحسب ، بل استخدم ذلك الشكل القصصى أيضا اما لنقد العالم الحاضر واما لتصوير عالم مثالى أفضل تتحقق فيه أحلام البشر وسعادتهم فى المستقبل نتيجة لتقدم العالم وتحقيق العدالة الاجتماعية والقضاء على المشكلات التى تؤرقهم كل ذلك فى تصوير خيالى وقدرة فائقة على الابداع جعلت من أعماله لوحات فنيه يقبل عليها القراء الى يومنا هذا ·

ولنقف على أهم رواية له وهى « أول رجال فى القمر » لذى مصداق ذلك – وقد كتبها ويلز فى مطلع القرن العشرين ، أى قبل أن يتحقق الحلم الكبير ، وتطأ قدم أول انسان سطح القمر بحوالى ٦٨ عاما · ومن قبل ذكرت لنا بعض الأساطير اليونانية القديمة محاولة الطيران والانطلاق الى العالم الأعلى على أجنحة الخيال مثل اسطورة ايكاروس اليونانية ، واسطورة بروميثيوس وهناك حكاية العباس بن فرناس وكانت محاولة واقعية لهـــا

وتتعرض الغواصه لاخطار عدة بعد أن حاصرها الجليد ، ونقص الاكسجين فيقرر « اورناكسي » الهرب · وللكتاب نهاد شريف رواية تدور احداثها تحت سطح المحيط تشبه الي حد كبير وهى بعنوان ســـــكان العالم الثاني سنتحدث عنها فيما بعـــد ·

(٧) انظر دراسات في الرواية الانجليزية ١٤٩ ومابعدها ·

تاريخ وأسباب يحدثنا عنها تراثنا العربى ، وهناك سفينة فضائية وردت فى سفر حزقيال فى الكتاب المقدس ـ العهد القديم ـ وكل ذلك سنتحدث عنه فى فصل مستقل ـ

ورحلة ويلز المثيرة تقدم لنا وصفا لعالم غريب جديد ويكتشفه رجلان بعد أن يصلا اليه ، و « أول رجال فى القمر » (٧) مثلا مثل قصص ويلز الاخرى تبدأ بداية واقعية وتتقدم تدريجيا الى عالم التجريب العلمى لتنتهى بحدث خارق مخالف للواقع · وتتلخص القصة فى أن عالما يدعى « كافور » يكتشف مادة عازلة للجاذبية ، ويطلق عليها أسم « كافورايت » نسبة اليه ، ويتعرف هذا العالم فى أثناء قيامه بالتجارب المتصلة بهذا الاكتشاف ـ فى بقعة نائية من ريف انجلترا ـ برجل مفلس من رجال الاعمال يدعى « بدفورد » ، ويذهب الى نفس البقعة ليكتب مسرحية عله يكسب شيئا من المال يقوم به أموره المالية ، ويطلع كافور صديقه الجديد على اكتشافه ·

ويرى بدفورد أن « كافور» على عادة العلماء ، لا يهتم كثيرا بمسائل التطبيق العملى لهذا الاكتشاف ، بينما يرى هو فيه اذا امكن استخدامه بالفعل بابا واسعا للكسب وتحقيق الشهرة والسطوة · يتخيل التطبيقات العملية لهذه المادة فى ميادين السلم والحرب ، وفى أعمال النقل والبناء ، ويحلم باحتكار حق الاختراع والتطبيق ، وبشركة تسود العالم بنفوذها ·

ويصنعان مركبة قمرية تنطلق بهما فى الفضاء الى القمر مستفيدا من خاصية الكافورايت وتصمم بطريقه يمكن معها التحكم فيها وتوجيهها حيثما شاء راكبها ·

ويصف ويلز المركبة وصفا دقيقا ، ويصف أيضا شخصياته بمشاعرها وما تعنيه نجاح هذه المغامرة بالنسبة لهما · فالنســـبة للعالم فهى رحلة

(٢٧) انظر دراسات فى الرواية الانجليزية ١٤ وما بعدها ·

استكشاف يجيء من ورائها معرفة جديدة اذا نجح فى مهمته · اما الآخر فالكسب المادى هو هدفه عن طريق حصوله على بعض المعادن الثمينه التى قد توجد على سطح القمر · ثم يتخيل أن هناك اناسا يتوافر لديهم المقدرة على النفقات الباهظة يقضون اجازتهم هناك ·

ان «بدفورد» يسايره القلق بعض الشيىء وتخوفه من عالم مجهـــول يرتاده لاول مرة فيبادر زميلة قائلا :

« وما الذى نجنيه بعد كل هذا العناء » فيجب زميلة قائلا : المهم هو أن نذهب » · ويفكر الاول قليلا ثم يقول : « ولكن ماذا تنتظر ؟ لقد كنت أظن أن القمر عالم ميت » · ويهز الثانى كتفيه قائلا : » اننا ذاهبان لنرى ذلك ، ويردف بدفورد « وهل ستذهب حقا ؟ » ·
ثم يصل به القلق الى الذروة وهنا يترك مكان التجربة ويقرر عدم الذهاب معه · ولكنه ما يلبث أن يعود وقد تغلب على مخاوفة ·

ثم تقبل اللحظة الحاسمة ، لحظة الانطلاق ويدخل الرجلان مركبتهما وتقفل الكوة التى دخلا منها · وينتظران قليلا فى الظلام ثم تحدث رجة صغيرة ويسمع صوت كالفرقعة ، وفجاة يعلن بدفورد أنه لن يذهب معه الى القمر ، ولكن كافورد يخبره أنه لم يعد فى وسعه التراجع ، فقد اقلعت المركبة وهى الآن تتجه الى الفضاء الخارجى ·

ويصف الكاتب ما يشعران به وصفا دقيقا ، فيضغط أحيانا ويخفة أحيانا وصداع مرة ، وخفقان مرة أخـــرى ، ·

« يشعران أنهما فى حالة من الاستسلام بين اليقظة والنوم ويسقطان فى فراغ من الزمن لا ليل له ولا نهار ، يسقطان بصمت ورقة ، وسرعة الى أسفل نحو القمر » ·

ثم يصور ويلز تلك اللحظات الحرجة التى تسبق هبوط المركبة على سطح القمر تصويرا رائعا ، والخوف من الا تتمكن المركبة من الوصول الى

القمر ، وتتحطم على سطحه ، أو عدم وجود هواء كاف لاستمرار حياتهما، الا أن الرحلة تكلل بالنجاح وتهبط المركبة بسلام بين نهاية ليل وبداية نهار ·

ويعجب كافور وبدفورد لوجـــود حياة على القمـــر وتزداد دهشتهما عندما يريان أهل القمر ، ويلاحظان اختلافهم عن سكان الارض فهم أشبه ما يكونوا بحشرة قريبة الى النملة ، نظرا لرقتهم وشفافيتهم ·

ويفشل الزائران فى التفاهم مع أهل القمر فتنشب بين الطرفين معركة ويقتل بدفورد عددا من أهل القمر ، بينما يرغب كافور فى التفاهم معهم وخاصة عندما رآهم أصحاب حضارة راقية فى باطن القمر · ويفترق الصديقان للبحث عن المركبة ليحتميا بها من أهل القمر ، ولكن بدفورد يعثر عليها ويتجه بها هربا الى الارض تاركا صديقه فى أيدى أهل القمر · ويبقى معهم فترة فتعلم لغتهم ويعث باشارات لاسلكية الى أهل الارض ·وفجأة تنقطع الاشارات، ويبدو أن كافور قد لقى مصرعه على أيدى أهل القمر ـ الذين عرفوا طباع أهل الارض ـ فقد عجلوا بالقضاء على الشخص الوحيد الذى يعرف سر الوصول الى عالمهم ·

وتنتهى الرواية على هذا النحو بعد أن قدمت تصويرا كاملا لمظاهر الحياة على القمر ، وتناول الكاتب فيها شكل الكائنات القمرية ، فالبعض يتميز بأيد طويلة ' وأخرى بأذرع ضخمة ، واخرى بأرجل طويلة · كائنات تحمل أغطية كبيرة للرأس بينما يتضاءل حجم الوجه وتضمر بقية الجسم الى أقصى حد · ويوضح كافور فى رسائله التى بعث بها الى الارض أن هذا التباين فى الشكل يرجع الى مجهودات واعية مقصودة لتهيئة كل فرد من أهل القمر للقيام بعمل واحد معين يكلف به ، فهو اما أن يفكر أو يبنى أو يدير آله ولا يستطيع غير ذلك · وهكذا يبنى عالم القمر على التنظيم الذى يشبه الى حد كبير جمهورية افلاطون ·

يصف ويلز أيضا مجتمع القمر بطبقاته المختلفة من الطبقة الارستقراطية المثقفة وطبقة العمال ، والشـرطة القمرية ، وأخيرا ملـكات النحل ، وهى طبقة خاصة محدودة من الامهات ٠

تبدو المثالية فى هذا التنظيم ، ولكن مايلبث أن يكتشف فيه نواحى محزنه حيث الآلية التامة للحياة ، وانعدام الحرية الفردية ، فالانسان يصبح عبدا لبرنامج معين يلتزم بتنفيذه من لحظة مماته ٠ ويقدم ويلز صورة العمال الذين يخدرون ويلقى بهم للنباتات اللحمية الضخمة لمجرد انهم زائدون على الحاجة فهذا شيء بشع شديد القسوة ، وهذه صورة مبكرة لما حدث بعد ذلك على يد هكسلى حيث قدم فى عالمه عمليات الخلق والتشكيل فى الزجاجات ، وما يتبعها من خلو الحياة من القيم الحقيقية ، مما يدفع ببنى البشر الى ادمان المخدرات أو الى الانتحار ٠ هذا ما يقدمه العلم لنا من مثالب اذا ضل الطريق ٠ وهناك أشياء اعجب بها ولز فى كتاباته مثل الوحدة الكاملة بين أهل القمر واستخدامهم للغة واحدة وانعدام الحروب بينهم وقيام الحكم على يد ارستقراطية ثقافية ٠

واذا كانت « أول رجال فى القمر » مما يدرج فى روايات الخيال العلمى، فانها من ناحية اخرى تمثل حلقة من حلقات الروايات اليوتوبية التى تصور المجتمع المثالى من وجهات نظر مختلفة ٠ على أن صاحبها بالرغم من ايمانه بالعلم وبما يحدثه من تغيير يمكن أن يتحول الى نقمة على البشرية اذا اسيىء استخدامه٠ وقد كانت هذه الفكرة محورا لكتاباته التى لقب من أجلها « بالكاهن الاعظم للعلم » (٨) ٠ وهو يبدو متفائلا فى « أيام الشهاب » ، عندما تخيل غازا يصطدم بالارض وينتشر ٠ فاذا به يغير الطبيعة البشرية ويصلحها ٠ ويقدم لبطل القصة وهو مغرم بفتاه هى بدورها مغرمة بشاب غنى ، ويكون

---

(٨) انظر المعقول واللامعقول في الادب الحديث ١٤٥ وما بعدها ٠

البطل فى طريقة اليهما عازما على قتلهما معا وحين يهبط الشهاب اذ بالثلاثة يعيشون معا فى سعادة وبدون أية غيرة · انها نبوءة فنان يمكن ان تتحقق على يد العلماء فى يوم ما ·

ويتضح تفاؤله أيضا فى « بشر كالآلهة » بالرغم من تناول النقاد لها بالسخرية · ففى البداية تنطلق سيارتان فى طريق ريفى ثم نجدها فجأة فى طريق مختلف تماما وفى عالم آخر عالم طوباوى · وفى هذه الطوبائية نجد أن الجميع يتصفون بالجمال والحرية والسعادة والجميع رجالا ونساءا عراة ' وهم يتفاهمون بالاتصال الشعورى مباشرة ، ويقدم لنا نماذج من القادمين من الارض مثل قس كاثوليكى رومى ، وسياسى شهير ، وسيدة انجليزية يتناولهم بالنقد والسخرية ·

فالكاتب هنا يحاول التمرد والخروج عن كل مايقيد الانسان ويعوق استمتاعة بالحياة ولكنه لا يريد أن يقلل من التزامه الجاد برؤيته للشخصيات العامة وما ينبغى ان يكونوا عليه لابراز قيم جديدة · وفى « جزيرة الدكتور مورو » يصور لنا كيف يمكن للعلم ان يتحكم فى نشوء الكائنات وارتقائها ، بما يجعل من النمرة أنثى قريبة جدا من عالم الانسان تدب فى صدرها العواطف الانسانية فتحب وتتألم وتجتمع فى عينيها الدموع ·

وفى« زوار من الفضاء » يقدم لنا غزاه يستقلون طبقا طائرا يظهروا فى الليل ويختفوا بالنهار ، وفى أحد الهجمات الشرسة للانسان شعروا بأنهم اصابوا نفرا منهم فوجدوا بقعة دماء وعندما قاموا بتحليلها اكتشفوا انها تحتوى على عناصر الدم ماعندا عنصر المقاومة ، وهنا يحاربوهم بنشر الجراثيم ، ونجحوا فى التغلب عليهم فى النهاية ·

وعلى هذا يعتبر نتاج الكاتب الانجليزى ويلز تعبيرا صادقا عن عصر العلم الذى نعيش فيه ، نرى فيه تأثير نظريات داروين فى التطور وباستير

فى الميكروبات وهرشـــل فى الفلك.ورذر فورد وماكسويل فى علم الطبيعة وتوماس هكسلى فى علم الحياة ، ويعتبر ايضا امتدادا لنتاج خيال الانسان الذى داب على النظر الى الكواكب والنجوم منذ القدم بعد أن أعتبر نفسه جزءاً لايتجزأ من هذا الكون الرحيب الذى كتب عليه أن يرتاده بالخيال وبالعلم وبالدين وبكل ما وسعته طاقة الانسان

★ ★ ★

وقد توجت بعض هذه الاعمال لكتاب الخيال العلمى بالنجاح حينما دخلت مجال الاعمال السينمائية والتلفزيونية ، فانداددت انتشارا ، وأقبل عليها الكثيرون بعد أن قدموا لنا رؤى متكاملة بالغة الطموح والعصرية ، بالغة الابهار والتشويق ، بالرغم من انها تقوم على تقدم العلوم وما حققته من انجازات تكنولوجية مذهلة ٠

فقد رحل المستون الى القمر وساروا على سطحه قبل حدوث أول رحلة حقيقية الى القمر (٩) ٠ تناولت السينما أيضا موضوعات خرافية عن الوحوش العملاقة والجنيات والبحث فى أسرار ما وراء الطبيعة ، الى أن ظهرت بوادر الانسان الآلى عام ١٨٩٧ ٠والقيام برحلة صاروخية عام ١٩٠١ ، وابتكار القنوات أو الأنفاق الجوفية عام ١٩٠٧ ، وقد ظهرت فكرة اختراع جهاز التليفزيون عام ١٩٠٨ ٠ كما تعددت الرحلات الكونيه الى كواكب المجموعة الشمسية فتمت زيادة عطارد عام ١٩٠٩ ، وبعده المريخ عام ١٩١٦ وذلك كله من خلال أفلام الخيال العلمى التى انتجتها كبرى شركات الانتاج فى عدة افلام مثل «الشيء» و « مترو بوليس المدينة الفاضلة والقمر المحتضر » ، « وسادة الكون » ، ومعجزة الغد » والمسلسل الفيلمى « فلاش جوردن » وفى المسلسلات الحديثة

---

(٩) انظر دينيس جفورد سينما الخيال العلمى Scince Fiction Film ترجمة نهاد شـريف ٠

مثل « الرجل الخارق » والمرأة الخارقة ، اللذين امتلكا حواسا تفوق حواس الانسان الطبيعية ، والرجل الاخضر » ، والتى تقوم فكرتها على أساس علمى اذا تمكنت فيه قوة جبارة نتيجة زيادة فى أفراز مادة الادرنالين من غدة فوق الكلى • ووجود زيادة فى هذه المادة فى جسم الانسان تغير على نحــــو تجعله مزدوج الشخصية يذكرنا بـ « دكتور جيكل ومستر هايد » •

وللمخترعات الحديثة أثر كبير فى حياة البشرية من طائرة وسيارة وغواصة وانسان آلى واكتشاف الاشعة • وقد تناولت السينما اختراع الطائرة فى عدة أفلام منها « سفينه الجــــو الخيالية » ١٩٠٦ ، و الآله الطائرة » ١٩١١ « وغزاه الجو » سنة ١٩٢٦ • وفيما يتعلق باختراع السيارات تناولت السينما سباقات السيارات منذ عام ١٩٠٥ ، وكانت السباقات تتم فوق الارض، وفوق قيعان البحار ، وهناك ايضا السيارة التى زودت بأحدث الأسـاليب ويبدو أن كافور قد لقى مصرعه على أيدى أهل القمر - الذين عرفوا طباع أهل وتستطيع السير وحدها وتنفذ ما تؤمر به

أما الغواصة فقد صورت رواية جول فيرن « عشرون ألف فرسخ تحت سطح البحر » والتى كتبها عام ١٨٧٠ وتناولتها السينما لاول مرة عام ١٩٠٥ وبدت عملا هزيلا ينأى عن أفكار فيرن الحقيقية وتصوراته العلمية • وكان الاهتمام الاكبر ينصب على حكاية الوحش المائى الخرافى • وأنتجت أفلام أخرى مثل « سر الغواصة » ١٩١٦ ، و « السفينة الضائعة ، ١٩١٧ وأيضا فيلم « الجزيرة الأسطورية » عام ١٩٢٩ حيث يركب البطل غواصة ويكتشف دنيا من العجائب تحت الماء •

وقد وضع رائد صناعة الافلام الفرنسى جورج مليين أول انسان آلى عرفته السينما ١٨٩٨ وقدمه فى فيلم « المهرج والآلة » عام ١٨٩٧ وفى عام ١٨٩٨ فيلم « اندرويد » وهو انسان آلى يغطيه جلد وملابس بشرية • وكل هذه الأفلام تقليد للتجربة الرائدة للدكتور هنرى فرانكنشتين فى مجال تخليق الحياة صناعيا فى صورة انسان أو مسخ يشبه الانسان •

وعندما لمكتشف و ٠ ك رونجتون الأشعة السينية أو أشعة اكس عام ١٨٩٥ قدمت السينما فيلما بعنوان « عاشق اشعة اكس ، وفيه أبرز كيفية نفاذ الاشعة داخل الجسد البشرى ومن ثم نقل تفاصيل هيكله العظمى على شاشة عرض مواجهة وقد عد هذا الامر شيئا بالغ الاثارة ويصل الى مرتبة السحر٠ وأيضا الفيلم الذى يحمل عنوان « صاحب العينين المشعتين » عن قصة روبرت ديللون وراى راسل ، والذى يروى مأساة طبيب توصل الى جعل بصره يمتلك القدرة على النفاذ الى داخل الاشياء ، تماما كما تفعل الاشعة السينية ، فيمكنه الكشف عن علة المريض فور النظر اليه ، لكن أحدا لم يصدقه وعامله الجميع على انه دجال ٠٠

وتناولت السينما ايضا موضوع كائنات الكواكب ، ففى عام ١٩٠٦ وضع الكائن على سطح القمر عينية على عدسة التلسكوب وراقب الأرض فى فيلم « يوم سانتكلوز المشحون » ، وبعد مرور عامين تزوج كائن القمر هذا بامرأة أرضيه ، فى فيلم آخر بعنوان « عندما عثر القمرى على زوجة » ٠

وهناك كتابات ويلز التى عدت مادة خصبة فروايته « حرب العوالم » التى يصف فيها كائنات تسكن المريخ وقد أتت لتغزو الأرض ، تحولت الى فيلم سنة ١٩٥٣ بعنوان « غزاة من المريخ » ويرينا الفيلم كيف يصل الغزاة المريخيون الى الأرض ، وكانوا كائنات مرعبة طوالا ، خضرا ، يقودهم العقل الأعظم والذى يهدف الى السيطرة على كوكب الارض ٠ وقد واجههم الجيش الأمريكى بكل قدراته وامكانياته مستخدما أشعة حرارية قاتلة وقنابل نووية متطـــورة ٠

كما تناولت السينما بعض قصص عن ملاحى الفضاء لاكتشاف الفضـــاء باسراره وعوالمه الغامضة ، منها افلام رحلة الى القمر سنة ١٩٠٢ ، و «الرجال الأول على القمر سنة ١٩١٩ ، و «فتاة على القمر » سنة ١٩٢٩ و « رحلة فلاش جوردن الى المريخ » سنة ١٩٣٨ ، و «فلاش جوردن يقهر الكون » سنة ١٩٤٠ ٠ وأشهر فيلم فى هذه النوعية من الافلام كان « أوديسا الفضاء » قصة عالم الطبيعة والكاتب الانجليزى آثر كلارك ، فقد أمكن تجسيد محطة

الفضاء بحجمها المهول عن طريق نماذج خشبية من الورق المقوى وصـــورت بكاميرات خاصة ذات عدسات مقـربة بالغة الدقة · ويروى أحــــد الافـلام السوفيتية بدقة بالغة تفاصيل رحلة الى كوكب الزهرة واسمه « رحلة الى أحد كواكب ما قبل التاريخ » (١٠) غير أن السفر لم يكن فى اتجاه واحـــد وحظيت الأرض باســـتقبال زوار من كواكب أخـــرى فقـــد عـرض فيــلم The Invasion of the Body Snatchers سنة ١٩٥٦ لموضــوع تقمص الذكاء غير البشرى أجساما بشرية · وكان من أوجه النقد التى وجهت اليه أنه عسير الفهم فى بعض مواضعه ·

وموضوع الســـفر عبر الزمن أو عبر أبعاد أخرى عن طريق آلة الزمن تناولتها عدة أفلام مثل « قرن آخر من الزمان » سنة ١٩٤٨ ، و « عصر التحول » سنة ١٩٥٥ ، و « رعب من العام ٥٠٠٠ » سنة ١٩٥٨ ، و « آلة الزمن » لويلز المؤلفة سنة ١٨٩٥ وانتجت سنة ١٩٦٠ بطولة الممثل الأمريكى رود تايلور الذى أضفى على الأحداث حيوية وتألقا وذلك حين ظهر كمخترع لا نظير له فى تنقلاته وأسفاره العلمية عبر آلته العجيبة التى نقلته من عام ١٨٩٩ الى عام ٢٧٠١ ـ ووجـد أن البشرية تخوض حربا طاحنة ، فلا هم لهم الا التطاحن ، وفى ختام روايته حين استقر فى الفردوس الموعود «وينا» تظهر له كائنـات تسكن باطن الأرض ، فتنقض عليه وصحبه لتقضى على الكثيرين منهم ، ولولا آلته لما استطاع الافلات والعودة الى عام الاقلاع (١١)

وقد اتخذ السفر صورة بالغة الغرابه فى فيلم Fantatic vogage الذى قلصت فيه أجسام خمسة علماء الى أحجام مجهرية وحققوا فى مجرى دم عالم اخر يعانى من جلطة دموية تستعصى على الجراحة ·

---

(١٠) انظر مجلة اليونسكو مقال بعنوان السينما والتحليق في سماء الخيال ·

(١١) انظر مقال سينما الخيال العلمى ·

وشغلت الاعمال السينمائية أيضا بموضوع المستقبل وما الذى تخفيه الاعوام القادمة ، فما هى الرؤيا والتصورات والتخيلات والتنبؤات ٠ ؟ ٠

ولقد نشر ويلز عام ١٩٣٦ كتابا عن المستقبل أسماه « شكل الاشياء القادمة » وتحولت الى عمل سينمائى ضخم على يد الكسندر كوردا ٠ وشهدت هذه النوعية من الأفلام تألقها مع أوائل السبعينات ، وبالاخص حينما عرض فيلم « كوكب القرود » ، الذى يعلن نبوءة سيادة القردة حين يفنى البشر أنفسهم وحضارتهم ، نتيجة حرب نووية طائشة ٠ وكذلك تحولت رواية « جورج أورويل » سنة ١٩٨٤ الى فيلم سينمائى عام ١٩٥٥ والتى يتناول أفكار المؤلف عن الحكم المطلق حين يسود أرضنا ٠ وتتحدث الرواية عن اخضاع سكان الأرض لحكم الاخ الاكبر الذى يهيمن على البشر كافة ويسحقهم تحت حكمه الفردى ، ويراقب رعاياه بواسطة أعين تلفزيونية منتشرة فى كل بقاع الأرض ويعاونه بعض من سخرهم لارادته فلا يفلت منه أحد ٠

وتوالت عدة أفلام عن تأثير القنابل ، ففى عام ١٩٢٠ ، عرض فيلم بعنوان « الأشعة الخفية » يبين مدى الدمار الذى أحدثته قنبلة واحدة ٠ وهناك بعض أفلام تعرض لأجهزة مقاومة القنابل العملاقة أو منع تفجيرها مثل فيلم « المدينة المفقودة وسط الأدغال » سنة ١٩٤٦ حيث نجح ليونيل أتويل فى تصوير قيام الحرب العالمية الثالثة عندما اشتعلت فجأة فى جبال الهيمالايا والتى اكتشف خلالها عنصر جوى أعطاه رقم ٢٤٥ ويبين له مدى قدرة هذا العنصر على ابطال مفعول القنابل النووية ٠

وفى عام ١٩٥٥ انتج بول سيديل بلاسيديل فيلم « يوم انتهى العالم » مصورا فيه كيف فنيت البشرية كلها عدا سبعة أفراد بقوا وحدهم وسط الدمار والخرائب المنتشرة بأنحاء سطح الأرض ، بينما نما فى الوقت نفسه ونتيجة للاشعاعات التى أطلقتها التفجيرات الذرية ، وحش خرافى نود بثلاثة عيون ، وأما بقية الفيلم فهو القتال مع الوحش ٠ وفى عام ١٩٦٩ أنتج فيلم

« الساعات الأخيرة من حياة العالم » عن قصة راى براد بورى « الموشوم »

وتصور نهاية العالم كانت من الموضوعات التى شغلت بهـــا الأعمال السينمائية ، هل يتم ذلك نتيجة لشىء خارج عن قدرة الانسان أم بتدبيره هو ولعل أول كارثة كونية من هذا النوع جاءت من تاثير اصطدام جرم سماوى اندفع من قلب الفضاء الى الأرض مباشرة فدمرها ، وهذا ما صـــوره فيلم « المذنب » الذى اقتبست فكرته من المذنب هالى الشهير ، ومروره الىجوار الأرض عام ١٩١٠ • وصور الفيلم كيف أهلك المذنب آلاف البشر ، وكيف دمر المركبات وحرق الأكواخ والمدن وكيف لجأت جموع الســـكان الى باطن الأرض بحثا عن الماء • وقد تخيل جول فيرن ـ من قبل ـ مذنبا تسببفى كارثة كونية عبر روايته التى كتبها عام ١٨٧٧ ، وتحكى كيف أن مذنبـــا صناعيا أطلقه الانسان من أجل غرض علمى ، ولكنه سقط على الأرضمسببا كارثة • وتحول سنة ١٩٦١ الى فيلم بعنوان « التنين » •

ثم اننا نجد بعد ذلك مجموعة من الأفلام أكثر روعة وأكثر هولا منالأفلام السابقة ، تتناول الأضرار المحتملة للتكنولوجيا وحول تعرض الانسان والآلة للخطأ من ذلك أحداث فيلم Alphaville سنة ١٩٦٥ والتى تجرى أحداثه فى مدينة مستقبلية يدبر شؤونها عقل الكترونى ينتهى به الأمر الى الدمار عندما يغذى بشعر لا يفهمه وبالمثل فانه HAL الكومبيوتر السفاح فى فيلم ٢٠٠١ أوديسا فضائية انما يردد أصداء مخاوفنا من مجتمع خاضع لسيطرة الكمبيوتر • ونجد أيضا فيلم احتلال العالم ' وفيلم Flesh eaters آكلى لحوم البشر • وأيضا مسلسل النصر Victor الذى يحكى عناحتلال العالم وفيلم « قاهرالزمن » قصة الكاتب نهاد شريف الذى كان فتحا جديدا للسينما المصرية فى هذا النوع من الأفلام والتى عرض فيها لفكرة التجميد •
وقد حظى الاطفال بنصيب كبير من القصصالعلمى وقد غمرت الاسواق مؤخرا باشرطة « فيديو » للاطفال تعرض لغزو الفضاء واختراع الروبوت الذىتحول الى انسان كامل يفكر ويتأمل ويحسب حساب كل خطوة يخطوها ، وهناك

أيضا روايات الكومبيوتر الذى تمت به « خيالا » وقائع أغرب من الخيال ، فالكمبيوتر صار يرتكب جرائم الاغتيال ويخدم فى كل مكان ٠

ولعلنا نرى من هذا العرض كيف عالجت سينما الخيال العلمى موضوعات جادة ومبتكرة نتيجة للتقدم العلمى والتكنولوجى وعدت وثائق مسجلة يمكن أن تكون البداية لأفكار أكثر تقدما ستظهرها الأيام فيما بعد ٠

الفصـــل الثاني

موازنة بين الاساطير والحكايات والقصص العلمى الحديث

الفصـــل الثاني

موازنة بين الاساطير والحكايات والقصص العلمي الحديث

انغرض هذا الفصلهو ربط قصص الخيال العلميبالاساطير والخرافات على نحو ما ربطنا هذا النوع من القصص بانجازات العلم وتقدم الفكر الانسانى وهل يسمح اى فكر عصرى بارتياد عالم الانسان الغابر حيث كان « يحلم » و « يتعامل » مع قوى فوق طبيعية ، ويرى مخلوقات يبدعها خياله ويركب بساط الريح ويجتاز المحال بكلمات السحر ، ويتعامل بالأيقـونات لتحقيق رغبـــــاته ؟

أيمكن لانسان اليوم أن يتقبل ـ كجـــزء من ثقافة عصره ـ ما أفرزته عصور ما قبل التاريخ ، والى أى حد يعترف بتزاوج المنطق العصري والوهم الفطري ، حيث تلعب الشعائر والطقوس والطوطمية والسحرية ودورها فى بناء حضارة أو حضارات هى جزء من حضارة اليوم ؟

بداية نرى أن الأساطير والخـرافات قد سجلت للخليقة أدق حركتها وانجازاتها واكتشافاتها على مر العصور ، عبورا بالعصور الحجرية الأولى ، فالعصر النحاسى وما بعده ، وفيه تم اكتشاف المعـادن كالحديد والنحاس والذهب ، وكان النحاس والبرونز من أقدم المعادن التى صنعت منها بعض الادوات والآلات ، وعرف أيضا فن خلط النحاس بالقصدير لتكوين سبيكة جديدة هى سبيكة البرونز .

وتحكى احدى الأساطير عن تلك الفترة حينما كان يعيش الانسان فى شقاء قبل اكتشافه لعنصر الحديد تقول :

« وفى يوم مقدس ، قررت الأرواح الخيرة أن ترسل الاله « بوشنتوج » وأبناءه التسعة الى الأرض ليعلموا البشر المهنة المقدسة ، ثم عاد الاله بعد

هذا الى السماء ، بينما تزوج أبناؤه من بنات البشر ، وكان تلاميذهم أجدادا لكل من جاء بعدهم من الحدادين . وكان لكل واحد من التسعة اسم خاص به وهم القديسون حماه أدوات الحدادة . ويغنى الشامانيون رجال الطب تمجيدا لهم أهازيج مقدسة فى كل مكان حول المعبد « حتى تهدأ أرواح الكير المقدسة » (١) .

ان بداية اكتشاف المعادن وعملية صهر الحديد ـ مثلا ـ كانت محورا لطقس دينى منتظم وبخاصة عندما توضع عليه عدة أشياء سحرية وذلك قبل أن يبدأ عمال الكير عملهم .

وعرفت الانسانية النار فيما تحكيه أسطورة بروميثيوس المارد العظيم ابن الارض الذى أحب البشر وساءه أن يرى آلهة الأولمب تضمن على البشر بنعمة النار مصدر كل حضارة وتقدم وتتركهم يعيشون كالوحوش فى كهوف باردة مظلمة . فصعد المارد Titon بروميثيوس الى السـماء حاملا غابا مجوفا ، حتى بلغ الشمس ، ومن ضرامها سرق شعلة وخبأها فى تجويف الغاب ، ثم هبط الى الأرض ، وأعطى البشر النار التى سرقها من الآلهة ، فدبت الحياة والعمران فى أرجاء الأرض وبفضل النار ابتكر البشر مختلف العلوم والفنون والصناعات وخرجوا من الظلمات الى النور .

وحين علمت الآلهة بما فعله بروميثيوس غضبت غضبا شديداً ، وقضى زيوس كبير الآلهة بأن يغلل هذا المارد صديق البشر ويصلب على صخرة بجبل القوقاز ، وأرسل اليه نسرا ينهش كبده كل نهار ، فاذا جاء الليل نما كبده من جديد ليطعم به النسر فى اليوم التالى ، وكتب عليه القصاص حتى آخر الزمان جزاء له على أنه أعطى البشر سرا من أسرار الآلهة ، فارتقى البشر حتى اقتربوا منها . كذلك غضبت الآلهة على البشر فأرسلت عليهم طوفانا

---

(١) جولياس ا . لبس أصل الاشياء ١٤١ ترجمة سعدية غنيم « الالف كتاب سنة ١٩٦٥ .

أغرق الحرث والنسل ولم ينج منه الا ديوكاليون وزوجته بيرا فى فلك بناه ديوكاليون بارشاد من المارد المعذب صديق البشر ٠ ولما انحسرت المياة من وجه الأرض بدأ ديوكاليون وبيرا الانسانية الجديدة ، لكنها لم تكن كالانسانة الأولى جاحدة ثائرة متحدية للسماء ، بل مؤمنة تخشع أمام الآلهة وتقدم لهم القـــرابين (٢)

وواضح أن هذه الأسطورة بجانب ما تؤكده عن نزوع الانسان الدائم الى الخروج من نطاق الأرض ومحاولة السمو الى مراتب الآلهة العليا ، لكنه يجابه بعقاب صارم على هذا التمرد أو التطاول الذى يهيىء له أن يزاحم من فوق عالمه ! تمثل أيضا معرفة الانسانية بالنار . ويقرر الواقع التاريخى ـ مثلما قررت الاسطورة ـ أن الانسان الأول استغلها على أوسع نطاق ، فكانت مرحلة حضارية أخرى . ويرى البدائيون فى استراليا أن من سرق نار الآلهة هو طائر الكناريا ، وقد حمل ذلك الوهج المقدس من السماء تحت ذيله ، ويعتقد آخر منهم أن النار سرقت من مخلوقين فوق مستوى البشر حاولا حرمان الانســـان منهـــا ٠

وكان لابد من أن تظفر النار بتقدير هائل ، ولهذا قدست ، فاله النار أجنى Agni فى الهند هو الرسول بين الانســـان وآلهته ، وهو يحمل الأرواح التى يقدمها الانسان قربانا على مذبح النار للخالدين ، واتباع زرادشت يتخذون النار رمزا لهم لطهارتها ، ولمعانها ، وحصانتها من الفساد (٣) ٠

ووضع العرب لنيرانهم أسماء كثيرة لأنواعها كنار القرى ونار الحرب ونار المباشرة ، بل عبدها بعضهم وكانت العبادة لها تتم بطقوس خاصـــة ، فهم

(٢) انظر د ٠ ثروت عكاشـــه الاغريق الاســـطورة والابداع ١٥٣ (ط دار المعارف وكتاب د ٠ دريني خشبه اساطير الحب والجمال ، د ٠ لويس عوض الثورة والادب ٥١٩ وما بعدها (ط دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧ ٠

(٣) انظر : أصل الاشياء ٦٠ ٠

يحفرون أخدودا مربعا فى الأرض ، ويضرمون فيه النار ، ثم لا يدعون طعاما ولا شرابا ولا ثوبا ولا عطرا ولا جوهرا الا طرحوه فيها تقربا اليها وحرموا القاء النفوس فيها » (٤) ٠

فاذا انتقلنا ـ مسرعين ـ الى مصر ، نجد بلوتارك يحاول فى بيان أصل أوزيريس أن يكشف عن طريقة التحضر المصرى ٠ ففى أول أيام النسىء المصرية ، وهى كما نعرف خمسة أيام اضافية تقع فى نهاية السنة الفرعونية ٠ ويذكر أن هليوس ـ اله الشمس ـ أنجب أوزيريس فدوى صوت يقول : « ها هو ذا رب كل شىء يخرج الى النور » وما استوى على العرش حتى انتشل المصريين من حياة التوحش ، أى البدائية « فعلمهم كيف يزرعون الحب ، وسن لهم القوانين وعلمهم تبجيل الآلهة وبعد ذلك طوف الأرض كلها ليمدن أهلها دون ما حاجة الى استعمال السلاح وانما كان يستميل معظم الشعوب اليه بالاقناع والتهذيب ويسحرهم بجميع ألوان الغناء والموسيقى ، ولهذا يعتقد الاغريق أنه شبيه بالاله ديونوسس » (٥) ٠ ويقال أيضا أن مصر وضعت أساس الكيماء بالنار ، وقد سميت « كويم » وهذه كلمة مصرية قديمة تعنى مصر ، كما تعنى الأرض السوداء (٦) والعرب يطلقون على الأخضر أسود ويطلقون على الارض الزراعية كلمة سواد ٠

وفى الأساطير القديمة كلام كثير يدخل ضمن التاريخ الطبيعى ويؤيد ذلك ما ورد عن الاهتمام بالطب الذى كان السحر أداته واقامة طقوس الدفن والنزول الى عالم الموتى بحثا عن الخلود ٠

★★★

(٤) النويرى ٠ نهاية الأرب ١ : ١٠٥ (ط دار الكتب سنة ١٩٢٩ ٠ بلوتارخوس ٠

(٥) ايزيس واوزريس ٣٠ ، ٣١ ترجمة د ٠ حسن صبحى بكرى (الالف كتاب ٢٣٥) ٠

(٦) كراوذر : صلة العلم بالمجتمع ٢٥ ترجمة حسن خطاب (طه النهامة المصرية (٠

وقد شغف الانسان القديم أيضا بملاحظة الظواهر المحيطة ، سواء آكانت ظواهر كونية ، أو حياتية ، وسجلها في أساطيره وقد وظف بعضها ـ بنحو أو بآخر ـ عدة من روائي العصر ولا سيما في روايات الرعب التي تلج عالم الأموات ، وتتعامل مع الأشباح التي تعد معادلا حديثا لمفردات العالم الانيمي في الـ Animism أو « النسمية » في ترجمة الدكتـــور أحمد كمال زكي للمصطلح ، ويقرر الانثروبولوجيون أن الانسان كان يعزو قوى خفية وأرواحا لكل الاشياء حتى الحجر والمطر والزلزال ، ولانه كان يريد أن يسترضى هذه القوى والارواح متقيا شرها وثورتها ، فان الطقوس والشعائر والعبادات اتخذت وسيلة الى ذلك في المناسبات المتخلفة • وفي هذه المرحلة الحضارية صيغت الأساطير بوصفها الحكايات المرتبطة بها أو هي الحـــركة الحضارية المؤكدة ، المتصلة الحلقات التي كانت في طورها الاول جزءا من العبادة يتم أداؤها داخل المعبد ، وفي طورها الثاني ســير الآلهة والأبطال والمردة ، ثم في طور ثالث تستخدم للتعليل أو الرمز فكانت فلسفة وبيانا لقوى خفية ترصد كل ما يسعى وراء علماء الحضارة » (٧) •

والانسان في رأى الأنثروبولوجين وخلال تلك المرحلة ـ وقد ظلت بقاياها عند العرب فيما روى عن النخلات التي قطعها خالد بن الوليد ـ نظم حياته على هذا الأساس تماما مثلما استراح الى الطوطمية Totemism التي تجعله ينتمي الى حيوان معين يقدسه ويسمى به نفسه ، وفي تراث العرب المتــأخر ـ حتى بعد الاسلام ـ نجد من ينتمي الى الاسد والى النسر والى الناقة ، وقرأنا أخبارا كثيرة عن بني أنف الناقة وبني عجل وبني كلب • والطريف أننا نجد في كثير من الروايات التي يكتبها روائيو العصر صورا لهذا التقديس الطوطمي بالقدر الذي يتساوى مع التدبير المستند الى معادلات الرياضــة وارشادات الكومبيوتر !

---

(٧) الدكتور أحمد كمال زكي الاساطير ٥٥ مكتبة الشـباب ١٩٧٥ •

وأما السحر فقد كان له دور خطير فى المجتمع البدائى ، والطقوس التى كان يؤديها الساحر تمثل نوعا من التهيئة لممارسة النشاط العملى ومواجهة الطبيعة بتقلباتها وثوراتها ، ولما ظهر الكهان استقطبوا أسرار المعرفة التى امتلكها الساحر كما خصوا أنفسهم بالشفاعة ، وبالقـدرة على التنبؤ وكثيرا ما كان تنبؤهم يستعين ببعض الظواهر الطبيعية ، فالسحر هنا يمثل العلم البدائى الاول ، أى المعرفة التى تبهر عقول العامة وتجعل من السحر شيئا غامضا ٠ وقد قام السحر فى بدايته على معرفة خصائص المعادن والنباتات ودورة الافلاك والمعبودات ٠ واعتقد سير جيمس فريزر أن أى انسان يقوم بطقوس سحرية لايختلف من حيث المبدأ عن أى عالم يقوم باجراء تجربة فزيائية أو كيميائية فى معمله ٠ فلا اختلاف بين الساحر أو طبيب القبائل البدائية ٠ وبين رجل العلم الحديث من حيث المبـادىء التى يلجآن اليها فى تفكيرهما وعملهما (٨) ٠

وقد وصف تايلور البدائى بأنه « فيلسوف » بعد أن اعتمد على التأمل فى اهتدائه الى نتائجه وهو يمتلك نفس القـدرة على التحليل والتركيب والتمييز فى صورة غير كاملة أو مضمرة ٠ (٩) ويمكن القول أنها البـداية للعلم والمعرفة ، وشارك السحر فى المهمة قبل أن يرتبط بالدين ، بحيث كانت الشعائر الدينية والسحرية تمارس فى وقت واحد ٠

ومن خلال خيال مدهش قدم لنا الانسان البدائى تصوره للارض والسماء والظواهر الكونية والافلاك والنجوم وحركتها ، وعن أصل الكون ٠ وفى أساطير مصر القديمة مثلا كان أقدم ما تخيله المصريون فى أصل العالم المعمور انه عالم واسع من الماء طفت عليه بيضة عظيمة خرج منها رب الشمس وانجب

---

(٨) أنظر جيمس فريزر : الغصن الذهبى ١ : ٢٢ ترجمة أحمد أبو زيد الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٠ ٠

(٩) انظر أرنست كاسيرر : الدولة والاسطورة ٣١ وما بعدها ترجمة أحمد حمدى ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٥ ٠

أربعة أبناء هم : شو وتفنوت القائمان بالفضاء ، وجب رب الارض ونوت رب السماء • ثم تزاوجت السماء والارض فولد لهمـا أوزوريس وايزيس ، وست ونفتيس ، منهم تسعة آلهة فى مبدأ الخليقة نشأوا من تزاوج الارض والسـماء (١٠) •

والاساطير التفسيرية عموما تدور حول نشأة الكون • وبنظرة شمولية استطاع الانسان القديم تقسيم العالم الى ثلاثة أجزاء : سماوات وأرض وبحر واعتبر كل عالم منها مقدسا بذاته • وعمد أيضا الى تشخيص وتجسيد الهته السماوية التى لم يستطيع أن يقترب منها أو يكشف أسرارها الا عن طريق الخيال بحيث تتلاشى الحدود الفاصـلة بين المجاز والحقيقة أو بين الواقع والخيـال •

وهناك العديد من المحاولات للتطلع الى السماء وفض أسرارها ، فعلى أرض الواقع لبس « عباس بن فرناس » ثوبه الريشى محاولا محاكاة الطير ولكنه يخفق بعد محاولته الطيران فترة من الوقت • ومن قبـل رأينـا فى الاساطير اليونانية كيف صعد المارد بروميثيوس الى السماء عند اله الأولمب وسرق جذوة من نار الشمس • وهناك أيضا محاولة ايكاروس الذى ضـاق بالأرض وبأغلالها فصنع لنفسه جناحين من الشمع والصقهما فى جسده وسبح بهما فى الفضاء وأخذته النشوة فأخذ يرتفع ويرتفع حتى اقترب من الشمس فاشتدت عليه حرارتها وأذابت جناحيه فهوى على الأرض صريع نزوعه الى المجهـول •

وفى رواية « التاريخ الصحيح » يروى لنا هذا الأديب حكاية جماعة من الناس خرجت فى رحلة تبغى الوصول الى الجنة أو جزر الخلد كما كان اليونان يسـمونها •

---

(١٠) أدولف ارمان : ديانة مصر القديمة ١٧ ترجمة عبد المنعم أبو بكر ط الحلبى سنة ١٩٦٥ •

وكان اليونانيون يعتقدون أن الجنة أو جزر الخلد هذه تقع فى أقصى الغرب ، بعد أعمدة هرقل هذه التى نسميها نحن الآن جبل طارق وموقعها فى مكان ما من المحيط الاطلسى حيث كانت منقبل قارة أطلانطس ، وتروى الأساطير أن الآلهة أغرقتها تحت مياه المحيط ٠

خرجت الجماعة في سفينتها حتى تجاوزت أعمدة هرقل ، وهنا تعلقت بالفضاء وفى الفضاء التفت برجال القمر على سطحه ، وهنـاك علمت أنهم يقتتلون مع سكان الشمس من أجل استعمار نجمة جميلة هى نجمة الصباح ، وقد انحاز البشر الى رجال القمر يخوضون معهم حربا كونية غريبة ، ثمابتلعهم بسفينتهم وحش بحرى هائل ، لكنهم لم يلبثوا أن نجـوا من هـذا الوحش وخرجوا سالمين ، فواصلوا رحلتهم الى جزائر الخـلد حيث السـعادة الدائمة (١١) ويمكن اعتبار هذا العمل من نوع الغانتازيا المعتدلة ٠

ويقال أن « الكلدانين » نجحوا فى علم الفلك نجاحا يذكر وقد أولعوا بعلم التنجيم لكشف أسرار الغيب وكانت هياكلهم موضـوعة للمراقبات مع العبادة ، وقد رسموا خريطة للاجرام السماوية وكانوا « يعبـدون الكواكب ويزعمون أنها هى المدبرة لهذا العالم ، ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ، ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية » (١٢) ٠

وقد رسم العرب اطاراً لعقيدة منظمة ٠ وقد بلغ من تنظيمها أنها قامت على أصل لثالوث هى الشمس والقمر والزهرة ، وفروع متعددة على النحو الذى عرفناه عند اليونان ، ومن قبل عند البابليين والكنعانيين والفينيقيين ٠

---

(١١) انظر الثورة والادب ٢٥٠ وما بعدها

(١٢) محمود سليم الحوت في طـريق الميثولوجيا عند العرب ٨٧ ط بيروت سنة ١٩٧٩ ٠

أما الاصل فهو هبل أو سين أو القمر ، ثم اللات أو الآلهة أو الشمس ، ثم الزهرة أو الكوكب الثاقب أو عشتر أو عشتار (١٣) ٠

وكانت الطقوس تؤدى لها بطريقة متقدمة ودارت حول هذه العبادة سلسلة من الأساطير والخرافات ٠ فالشمس اله انثى بينما القمر مذكر ، ويرى هومل أن الشمس ابنة القمر وزوجة له في الوقت نفسه ، وذلك عند العرب الجنوبيين ويقال ان زواجا قام بين الشمس والقمر واختفاءه معها ثلاث ليال شهريا أدى الى حمل الانسان الفطرى فى كل أنحاء العالم الى الاعتقاد بأن زواجا سماويا يحدث وينجم عنه ولادة النجوم (١٤)

وكذلك توجه العرب بالتقديس نحو الكوكب الابن أو الابنه وهى الزهرة ونسجوا عنها الكثير من الاساطير فهى أشهر المعبودات وأقدمها لانها آلهة الحب والجمال ، وهى التى أغرقت الملكين هاروت وماروت عندما هبطا الى الارض ـ بعد أن ركبت لهما شهوات الانس ـ لهداية الناس فوقعا فى الخطيئة وعذبا على أثرها فى أحد آبار بابل الى يوم القيامة (١٥) ٠

ويتضح من كل ذلك كيف استطاع الانسان أن يحلق بخياله ويشخص الاجرام السماوية ، بحيث نشعر أننا بإيذاء عالم أرضى يعج بالنشاط والحركة والحياة والتزواج فأمكن تزواج الكوكب ولعل أسطورة الثريا مع الدبران تؤكد ذلك ٠

ولقد رمز لهذه الكواكب البعيدة برموز حيوانية أو على هيئة أصنام عبدوها فيما بعد ، بوصفها رموزا دالة على الآلهة البعيدة فى السماء ووردت فى ثنايا شعرهم فوجد مثلا ما يماثل كلاب الارض فى السماء ٠ فنحن نرى مجموعتى نجوم الكلب الأكبر والكلب الأصغر ـ وفى الكلب الأكبر أسطع نجم فى السماء كلها وهو « الشعرى اليمانية » الذى يسمى عادة نجم

---

(١٣) انظر الاساطير ٢٧٦ ٧٧ ٠

(١٤) انظر جوا د علي تاريخ العرب قبل الاسلام ٥ : ١٣٨ وما بعدها ط المجمع العراقي سنة ١٩٥٥

(١٥) أنظر تفسير الطبرى ١ : ٣٤٦ ط الميمنية سنة ١٣١٠

الكلب ، ويبدو على خط مستقيم مع نجوم حزام الجبار • وفى الكلب الأصغر نجم آخر ساطع أيضا وهو « الشعرى الشامية ، وفى الأساطير العربية حكاية عن الشعريين وكيف كانتا معا فى حياة رغدة مع سهيل ثم افترقا فدمعت عين اليمانية وسميت بذلك الغيصاء (١٦) •

وكثيرة هى الأساطير التى تؤكد لنا مدى تعلق الانسان بالسماء قديما ، ـ وحديثا أيضا ـ ينظر اليها كل يوم وينسج حول كل ما يراه قصصا أو يعلل لظاهرة معينة استرعت انتباهه ، وجد فيها راحته ، وجد عالما متكاملا خالدا لايعتريه الفناء أو النقصان الذى يعترى البشر فى العالم الأرضى ، فالشمس والقمر بازغان دائما ، فى موعدهما لا يخلفان والكواكب والسحاب والمطر ، كل شىء فى تجدد واشراق ، واذا أرادوا تخليد ابطالهم رفعوهم الى السماء فكانوا يقولون أن هذا البطل أو ذاك تحول بعد موته الى نجم يتلألأ فى السماء ويهدى البشر ويخطف بريقه العيون •

ومن قبل كان هناك اعتقاد بأن أرواح البشر كانت فى الأصل تسكن النجوم والأفلاك النورانية التى تسبح بحمد الله فى دورانها حول عرشه • وفى ديانة هرمز أننا قبل وجودنا الأرضى كنا مجرد أرواح نورانية تسكن أفلاك • السماء ، ثم عصينا الله وتمردنا عليه فتململ كل نجم من مكانه وانطلق خارجا من مداره الذى رسمه له الخالق وسحق الخالق ثورة الانسان عليه فنفى هذه الارواح من ملكوت السماوات وسجنها على الارض فى سجن الصلصال هذا الذى نسميه الجسد عقابا لها على تمردها • وبالموت وحده تتحرر الأرواح وتعود الى مسكنها فى نجوم السماء بعد أن تتطهر من خطيئتها الأولى فى مطهر الجسد (١٧) •

---

(١) لسان العرب مادة غمص مادة كلب ونجم ولابد من مراجعة ماوراء المجموعة الشمسية لبرتاموريس ١٣٠ بترجمة ادوار رياض (ط دار المعارف •

(١٧) الثورة والادب ٢٥٠ •

وغالبا ما ترتبط توقع أرض الأرواح بمدار الشمس ، واله الشمس هو المرشد الذى يقود أرواح الموتى الى مقرها الجديد • وفى جزائر سولمان تدخل الأرواح معا فى المحيط مع غروب الشمس • ويرتبط هـذا المفهوم بالفكرة القائلة بأن الشمس تولد حين اشراقها وتموت ساعة غروبها فى الماء ، لأن الشمس لم تسبقها على الأرض مخلوفات أخرى فقد كانت أول من ولد وأول من مات •

وتصور القدماء أن اله الشمس يرمى الأحياء برماحه على شكل الأشعة ويرفعهم الى أرضه فى السماء • أو أنه يحيطهم بشباك أشعته ثم يقتلهم بعد ذلك برماحه • وفى الاتجاه الذى يصعد فيـه اله الشمس على الدرجـات الى السماء تتبع الارواح نفس الاتجاه فى رحلتها الى مقرها السماوى ومن‌هنا يأتى أصل السلالم التى تتسـلقها الملائكة هابطة صـاعدة فى حلم يعقوب أو الملائكة هنا عبارة عن تشخيص لأرواح الموتى •

وقد يأتى قارب ليحمل أرواح الراحلين الى مثوى أفضل عند الشمس ويعـود Charor قائد الزورق الاغريقى الذى يحمل أرواح الموتى الى العالم الآخر فوق Styx الى نفس الأصل (١٨) •

وفكرة مراكب الشمس كانت معروفة عند قدماء المصريين واظهرها الفن المصرى بجـلاء •

هذه التصـورات نجد لها مقابلا فى بعض الاعمال القصصية اليـوم فالتلفزيون يقـدم لنـا العديد من الاعمـال للاطفال أذكر منها مثـلا مسلسل جريندايزر ، ومغامرات عدنان التى تقع أحداثهـا فى سلسلة من الحـوادث الاسطورية قوامها الكومبيوتر ، والغواصات الالكترونية والطاقة المسـتمدة من الشمس فى أشكال مذهلة ، فضلا عن انه صورت رحلات بين النجـوم والكواكب التى يتحكم فيها شخوص لهم قوة الآلهة الوثنية القديمة ، ويؤثرون

(١٨) أنظر : أصل الاشياء ٣٤٨ •

على رعاياهم بالسحر تارة وبقسوة الاله الجديدة والمدمرة تارة أخرى ، وبالاشعاعات تارة ثالثة .

وفى فيلم تليفزيونى عنوانه « Legend » نجد رحلة الى الأعماق حيث دفع بالبطلين الى عالم تحت الأرض حصان سحرى وهناك وجدا الاله العملاق ملك الظلام يقهر بقوته الخارقة وبسحره وتعازيم أعوانه كل الذين تسول لهم أنفسهم الخروج على طاعته . وبعد صراع رهيب بين البطلين (واحد وواحدة) ومعهم شباب من عالم تحت الارض _ وقد استغلت الأشعة الكونية لأبطال سحر الملك المارد _ يتمكن البطلان من العودة الى سطح الأرض .

على انه يهمنا من كل هذا القول انه كان وراء الأساطير فكر ايجابى وقيمة حضارية ذات مستوى معين ومرتبطة بتصورات اجتماعية ودينية رصدت لحياة لم تكن خاملة ونلمح فيها من ثم تاريخا عقد لتفسير الكون وتعليل مشكلات الحياة . فكأنها بهذا ضرب من ضروب الفلسفة العملية أو هى عملية تأمل مبعثها الاهتمام الروحى بموضوع ما فتكون من ثم أشبه بالنبوءة التى ظهرت فى تراث الاغريق ، فثمة قضية مصير تشغل أى انسان فيذهب الى دلفى كما ذهب أوديب يستنبىء عن مستقبلة ، وهنالك تكون الاجابة ولا يجدى شىء فى تغيير المصير ، لأنه قدر أو لأن الآلهة أمرت ، ويظل الانسان خائفا منها فيقدم لها القرابين (١٩) .

وقد تتحول الأسطورة عند المتأخرين الى رموز وكنايات فنية ومن الممكن لمناهج البحث فى نظرية الأدب أن تقوم هذه التلوينات الشكلية التى لا يدرك معناها من خلال علم البلاغة أو علم الاسلوب أو حتى الفيلولوجى . كما يؤكد العالم الانثروبولوجى ليفى شتراوس على طبيعة الفعل الانسانى منذ أن لجأ الانسان البدائى الى الاسطورة كوسيلة لادراك الحياة . منذ ذلك الوقت

---

(١٩) الاساطير : ٤٥ .

والأسطورة تلعب دورا حاسما فى تشكيل الرؤية الانسانية للواقع ، حيث تعد بانفتاحها الدائم على عالمه ، أمينة فى التقاط الاسرار التى تختفى تحت سطحه الظـــاهر ، ودؤوبة على توســـيع ابعادة ، ومدارجة وتأصـــيل الوعى به ٠

فالواقع والاسطورة عنصران لا ينفصـــمان عن حركة النمو الابداعى عند الانسان فى كل أشكاله التعبيرية بل انهما على العكس من ذلك يتداخلان ويمتزجان أحيانا فى نسيج واحد ، وعلى أكثر من مستوى ٠ وكل شعب يملك خيالا خصبا ، له رصيد من الأســـاطير والمعتقدات الخرافية ، تعكس طريقته فى تفسير الأحداث والظواهر « واذا كان الانسان البدائى يعيش فى الأسطورة فان حيـــاته ومـمـــاته - وما يبتلى به من حرب وجوع وعمل - قابل دائما للمراجعة عندما يتكرر ذلك فى لون المرونه التى يتسم بها مصيره ٠ أما الانسان الحديث ، فانه يحتاج الى خلق الأساطير والاعتمـــاد عليهـــا كى يعطى معنى لوجوده ويقاوم من خلالها الحتمية التاريخية ويتجاوزها ، لذلك يحول المدن والأحداث ولاشياء المادية والمعنوية - وحتىأحلامه وخيالاته - الى أساطير لها وظيفتها وهى ايقاف عجلة الزمن » (٢٠)

واذا كان الفنان الأول قد أعاد تشكيل العالم من خلال رؤية محدوده بعد أن تخيل حلولا وتفسيرات ومبررات لعالمه وعلاقته بالكون فى أعماله الفنية التى نلمح فيها جذور الرغبة فى المعرفة والتجاوز الحقيقى للواقع - فان كتاب الخيال العلمى اليوم يحاولون خلق العالم واكتشاف الكـــون وفك طلاســـمه وأسراره واعادة تشكيله برؤية حضارية جديدة يساعدهم على ذلك التقـــدم العلمى المذهل والتطور السريع فى الاجهزة والمخترعات الحديثة فهو مطالب بأن يعكس فى أعماله التعقيدة الحضارية المركبـــة الى جـــانب العنـــاصر المستحدثة ، وأن يستجيب للتراث الأسطورى الذى خلفه لنا الســـابقون ٠

---

(٢٠) د ٠ صلاح فضل : منهج للواقعية فى الابداع الادبى ٢٩٥ وما يليها ط دار المعارف سنة ١٩٨٠ ٠

ومعنى هذا أن لكل عصر أساطيره الخاصة به ، وهى تعكس لنا مدى التطور الحضارى ، وهى باقية فى حياتنا مهما مر عليها من أزمان ، أو هى منيعة أمام البراهين العلمية والعقلية ، بالرغم من أننا دخلنا عصر الفضاء ، وأطلقنا الأقمار الصناعية ، ووصل الانسان الى سطح القمر •

واذا رجعنا مرة أخرى الى الكتب القديمة وأعدنا قراءة الأساطير ، نجد أنها تصف أشياء غريبة ، وتكشف عن أشياء لم تكن نعرفها أو نتوصل اليها لولا هذه الثورة العلمية الحديثة • ففى كتاب التوراة مثلا وبالذات فى سفر حزقيال ، ذلك النبى اليهودى الذى قدم لنا وصفا لسفينة فضائية نزلت أمامه بالقرب من بغداد قبل أن نعرف سفن الفضاء بألوف السنين ، وعندما فسر العلماء ما رآه حزقيال قالوا أنها نبوءة أى أن الذى رآه سوف يحدث بعد ذلك ولكن عندما دخلنا عصر الفضاء أدركنا أن الذى رآه قد حدث فعلا وان سفينة هبطت أمامه ونزل منها أحد رواد الفضاء وقد وصفه وصفا دقيقا يقول بلغة التوراه الركيكة : (٢١) فى كان فى سنة الثلاثين فى الشهر الرابع فى الخامس من الشهر وانا بين المسبيين عند نهر خابور أن السموات انفتحت فرأيت رؤى الله •• فنظرت واذا بريح عاصفة جاءت من الشمال • سحابة عظيمة ونار متواصلة وحولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار • ومن وسطها شبه أربعة حيوانات وهذا منظرها • لها شبه انسان ولكل واحد أربعة أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة • وأرجلها قائمة وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل وبارقة كمنظر النحاس المصقول • وأيدى انسان تحت أجنحتها على جوانبها الاربعة • ووجوهها وأجنحتها لجوانبها الأربعة • وأجنحتها متصلة الواحد بأخيه • لم تدر عند سيرها كل واحد يسير الى جهة وجهة • أما شبه وجوهها فوجه انسان ووجه أسد لليمين لأربعتها ووجه ثور من الشمال لأربعتها ووجه نسر لأربعتها فهذه أوجهها أما أجنحتها

---

(٢١) الكتاب المقدس العهد القديم والعهد الجديد حزقيال الاصحاح الاول : السابع ١١٧٥ وما بعدها •

فمبسوطه من فوق لكل واحد اثنان متصلان أحدهما بأخيه واثنان يغطيـــان أجســـامها وكل واحـــد يسير الى وجهة ٠٠٠ أما شـــبه الحيـــوانات فمنظرها كجمر نار متقدة كمنظر مصابيح هى سالكه بين الحيوانات وللنـــار لمعان ومن النار كان يخرج برق الحيوانات راكضه وراجعه كمنظر البرق ٠

فنظرت الحيوانات واذا بكره واحدة على الأرض بجـــانب الحيوانات بأوجهها الأربعة منظر البكرات وصنعتها كمنظر الزبرجد ٠ وللاربع شـــكل واحد ومنظرها وصنعتها كأنها بكرة وسط بكره ٠ لمـــا ســـارت ســـارت على جوانبها الأربعة لم تدر عند سيرها ٠ أما اطرها فعالية ومخيفة ٠٠٠ فاذا سارت الحيوانات سارت البكرات بجانبها واذا ارتفعت الحيوانات عن الأرض ارتفعت البكرات ٠٠٠ فلما سارت سمعت صوت أجنحتها كخرير مياه كثيرة كصوت القدير صوت ضجة كصوت جيش ولما وقفت أرخت أجنحتها ٠٠٠ وفوق المقبب الذى على رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق وعلى شبه العرش شبه كمنظر انسان عليه من فوق ٠٠ رأيت مثل منظر نار ولها لمعان من حولها ٠٠٠ ولما رأيته خررت على وجهى ٠ وسمعت صوت متكلم » ٠

وهنا يدعوه أن يقف على قدمية ويتلقى تعاليم الرب الى بنى اسرائيل ثم حمله معه الى تل أبيب عند نهر خابور : « ثم حملنى روح فســـمعت خلفى صوت رعد عظيم ٠٠ وصوت أجنحة الحيوانات المتلاحقة الواحد بأخيه وصوت البكرات معها وصوت رعد عظيم فحملنى الروح وأخذنى فذهبت مرا فى حرارة روحى ويد الرب كانت شديدة على » ٠

ويستمر فى الظهور له ويصطحبه معه فى تلك الســـفينة الفضـــائية ليرتفع به بين الأرض والسماء الى أن يصلا الى مدينة أورشليم ٠٠

ويتعرض أنيس منصور لهذه السفينة الفضائية ويردد آراء الكتاب الذين أعجبوا بدقة الوصف فيرى « فون دينكن » فى كتابه « دنياى فى صور » أنها

احدى سفن الفضاء أو احدى طائرات الهليكوبتر أو النفاسة ·· بالرغم من نفى بعض العلماء (٢٢) لهذه السفينة الاسطورية التى وصفها بدقة حزقيال مستندين الى ظاهرة معروفة لعلماء الأرصاد الجوية ويطلقون عليها اسم الشمس الكاذبه « Parhelia » والتى تتخذ صورا واشكالا شتى خلال طبقات رقيقة من بلورات الثلج الموجودة فى السحب المرتفعة · ويكفينا ما قدمه حزقيال من وصف دقيق لحدث علمي خطير تحقق بعد الآف السنين حتى لو اعتبرناه حلما أو هذيانا ·

وهناك رحلة أخرى قام بها جلجامش وانجيدو فجلجامش هذا كان ثلثاه اله والثلث الباقي انسان وكان رمزا للقوة والجمال ، أما أنجيدو فجسمه مغطى بالشعر ويأكل العشب كالحيوانات ، ويستقلان مركبا فضائيا تطوف بهما فترة من الوقت بين السماء والأرض ·

وفى أسفار أخنوخ أيضا وصف غريب وعجيب للسفينة التى نقلته الى السماء يقول : « وأدخلونى السماء من حائط من الكرستال محاط بالنار والشرار ودخلت هذا الجسم الهائل اللامع الذى ارتفع الى السماء (٢٣) · وتحدث عن رحلته الى العوالم الأخرى ، ووصف الكواكب ودوران الشمس والقمر والأرض والمدارات ودرجات الحرارة وتتابع الالوان عن قرب وعن بعد ·

انها رؤى أية حال تنبأ بها الفنان القديم بل هيأ بنبوءاته مناخا يتنفس فيه العلماء اليوم فينطلقون منه الى ابداعهم وابتكارهم حتي أصبح اليوم حقيقة مؤكدة فأمكن الطيران الى الفضاء والى الكواكب بواسطة سفن الفضاء والصواريخ · ويظل الحلم قائما ويراود خيال القصاصين فى لقاء يتم بين

---

(٢٢) أنظر د· عبد المحسن صالح : الانسان الحائر بين العلم والخرافة ٢٢٠ وما بعدها الكويت سنة ١٩٧٩ ·

(٢٣) انيس منصور : الذين عادوا من السماء ٥٤ دار الشروق سنة ١٩٨٢ ·

سكان الأرض وسكان أحد الكواكب الأخرى . فهل هناك فعلا كائنـــات حية تسكن هذه الكواكب ، واذا كان الرد بالايجاب فكيف يتم هـــذا اللقـــاء ؟ وماشكلهم وهيئاتهم ، وحضارتهم ؟ وكل هذه الاستفسارات يجيب عنها كتاب الخيال العلمي مستندين الى قول الله تعالى « ويخلق مالا تعلمون » .

وتفتت الأسطورة على مر الزمن فى عالم الحكايات الخرافية الذى يزخر بعوالم أخرى غير عوالم الانس ، تشاركهم سكنى الكون مثل الجن والشياطين والمردة وأشياء أخرى غير مرئية ، وقد كان فى اســـــتطاعة الانسان الأول معايشه هذا العالم . وتصف الحكايات الصراع الذى يدور مثلا بين السحرة والقادة حيث يقف السحر فى صف المردة والغيلان فى البداية ، ولكن الجانب الطيب بذكائه وتخطيطاته العملية ينتصر رمزا لانتصار المعرفة ، أو على الأقل لا ينهزم حتى تبدو معركة الصراع بين الخير والشر غير متكافئة .

وآية خرافة غالبا ما نجد فيها البطل يهزم المـــارد أو الغـــول فيفسد السحر ، ويعنى هذا أن الانسانية ابتعدت قليلا عن الهراء الغيبى .

★★★

ومن اللافت للنظر أن مؤلف ألف ليلة وليلة ، قد فاق الجميع بخيـــاله وتصوراته ونجح فى أن يلغى الحد الفاصل بين الحقيقة والوهم بعـــالمه الملىء بالأساطير وقصص الخوارق والمعجزات والسحر والجن والعفاريت ليقدم رؤية للواقع المعاش ، ولأن الواقع الذى يشمل الانسان لا يقتصر على ما هو عليه فقط بل أيضا ما سيكون عليه فى المستقبل ، وما فى الف ليلة يختلف نوعا عما فى الاساطير والتنبؤات التوراتية. فألف ليلة وليلة قصص شعبى قوامه الخرافات Fables وقد رأينا بين ثنايا هذه القصص ما نعده اشارة أو تنبؤا بمخترعات ظهرت حديثا ، تنبأ بها القاص الشعبى بحسه المرهف منذ زمن بعيد ، ليقدم لنا من خلال تصوره رؤية مستقبلية أو استشرافا لما ســـيحدث فى عالمنا من تقدم فى مجالات العلم والتكنولوجيا .

وقد سخر القاص فى ألف ليلة وليلة وسائل سحرية معينة لخدمة الانسان وعن طريقها أمكنه الخروج من السجن الارضى المليء بالظلم والآلام ، وتمرد على محدوديته محلقا فى الفضاء بعيدا عن قيودها ، وقد استخدم لذلك عدة أشياء منها البساط السحرى ، والفرس الأبنوسى ، والسرير المسحور أو الطيران على ظهر عفريت أو على ظهر طائر أو طيران البطل نفسه فى الهواء .

ففى حكاية « علاء الدين » طارت زبيدة ومعها علاء الدين على السرير المسحور وكان فى امكانهما أن يطيرا به متى شاءا وأن يهبطا عن طريق خرزة سحرية تتحكم فيه .

وتمتلىء الحكايات بالعفاريت من الطيارين والغواصين فى البحر ويحمل العفريت البطل ليوصله الى أماكن يصعب الوصول اليها ويشترط عليه ألا يذكر الله والا احترق وسقط على الأرض ، كالعفريت الذى ركبه « أبو محمد الكسلان » ليوصله الى مدينة النحاس ، وفى الفضاء وصف ما رأى فقال : « ورأيت النجوم كالجبال الرواسى وسمعت تسبيح الملائكة فى السماء، كل هذا والمارد يحد ثنى ويفرجنى وينهينى عن ذكر الله تعالى ، فبينما أنا كذلك واذا بشخص عليه لباس أخضر ، وله ذوائب شعر ، ووجه منير ، وفى يده حربة يطير منها الشرر ، وقد اقبل على فقال لى : يا أبا محمد قل لا اله الا الله محمد رسول الله والا ضربتك بهذه الحربة وكانت مهجتى قد تقطعت من سكوتى عن ذكر الله ، فقلت : لا اله الا الله محمد رسول الله ، ثم أن ذاك الشخص ضرب المارد بالحربة فذاب وصار ماردا فسقطت من فوق ظهره أهوى الى الأرض » (٢٤) .

قدم القصاص هنا رؤيته لعالم سماوى بعد أن صعد البطل على ظهر العفريت ، وتأكيده لوجود عالم سماوى تسكنه الملائكة والجن ويحترق الجن بمجرد سماع كلمة الله ويقع البطل على الأرض من حالق ، والعجيب انه

(٢٤) الف ليلة وليلة ١ : ٩٩ ـ ط دار الهلال سنة ١٩٨٥ .

لا يحدث له شيئا ! .

والسندباد البحرى يحمله طائر الرخ لينقله من احدى الجزر الى مكان آخر فيفتل عمامته على شكل حبل ويربط نفسه فى أرجل الطائر ليصـــل به الى عنان السماء « وعندما طلع الفجر وبان الصباح قام الطائر من فوق بيضة وصاح صيحة عالية ، ارتفع بعدها الى الجو حتى ظننت أنه وصل الى عنان السماء » (٢٥)

واذا كان السـندباد قد ركب هذا الطائر فى احدى رحلاته ، فانه يطير بنفسه فى الهواء فى رحلته السابعة مع أهل المدينة الذين تظهر لهم كل شهر أجنحة يستطيعون الطيران بواسطتها . ويحمله أحـــدهم ويطير به فى الهواء حتى « سمعت تسبيح الملائكة فى قبة الافلاك ، فتعجبت من ذلك وقلت سبحان الله والحمد لله . وما كدت أتم التسبيح حتى خرجت نار من السـماء كادت تحرقهم فنزلوا جميعا وألقونى على جبل عال وهم فى غاية الغيظ منى » (٢٦)

فالقصاص هنا يستعين بالجان لخدمة الانسان ، ولكن عندما يصلون الى السماء تقف الملائكة لهم بالمرصاد وكثيرا ما تتولى اهلاكهم . فلم يعد فى امكان الشياطين أن تسترق السمع من السماء وتلقيه فى آذان الكهان ، حتى اعتقد الناس بألوهية الكهنة وكانوا ينظرون اليهم على أنهم وسطاء أو شفعاء ، وقد ورد هذا فى القرآن الكريم فقال تعالى : « وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » (٢٧) .

وعالم الليالى ملىء بضروب السحر منها : الكشف عن الكنوز باستخدام أدوات معينة ، كالخرزة السحرية والخاتم ، والسيف ، والمكحلة ، ودائرة

---

(٢٥) السابق ١ : ١٦٦ .
(٢٦) السـابق ١ : ١٢٢
(٢٧) سورة الجن : آية ٩ .

الفلك ، وطاقية الاخفاء ٠

أما الخاتم - مثلا - فله مارد يخدمه اسمه الرعد القاصف - فمن ملك الخاتم لم يقدر عليه مارد ولا سلطان ، وأما السيف فلو جرد له جيش لهزمه بما يخرج منه من برق ونار ٠ وأما دائرة الفلك فالذى يملكها يرى جميع البلاد من المشرق الى المغرب وهو جالس ، واذا غضب على مدينة وأراد احراقها وجه الدائرة الى الشمس فتحترق هذه المدينة ٠٠وأما المكحلة فان من اكتحل بهـا يرى كنوز الأرض (٢٨) ٠

أما طاقية الاخفاء فتخفى كل من يضعها على رأسه ٠ وقد وضـــعها الحسن البصرى على رأسه واستطاع تخليص زوجته منار السنا من بين يدى أختها الشريرة نور الهدى وبمساعدة العجوز شواهى وبالقضيب السحرى الذى يمكن من يمتلكه بتسخير طوائف من الجن وكلهم يكونون رهن اشارته ٠

فكل هذه الوسائل الخرافية - وبعضها سحر - التى استخدمها القصاص لتخدم البطل وتضفى على قصته الكثير من الغرابة والدهشة ، أصبحت اليوم حقيقة ، وتحقق حلمه الكبير بعد تقدم العلم وبعد أن لمسنا مظاهره فى جميع مجالات الحياة ٠ فما كان يفعله الجان والعفاريت تفعله الآن الآلات والاختراعات الحديثة ، وكأنما قد فتحت لنا قماقم سليمان وأصبح مارده الجبـــار رهن اشارتنا ، فعن طريق الآلة نقلت الصورة واستطعنا رؤية أقصى بقعة فى العالم عن طريق الاقمار الصناعية ونحن جلوس ٠ فترابطت الأماكن البعيدة وأمكننا رؤية هبوط الانسان على سطح الكواكب ، بعد أن أصبحت الآلة طوع بنان الانسان ، يستطيع أن يستخدمها كقوة مدمرة يسحق بها مدنا بأكملها خلال دقائق معدودة ، وعن طريقها أيضا أمكن البحث عن كنوز الأرض والغوص فى قيعان البحار ٠

---

(٢٨) انظر ألف ليلة ١ : ٢٨

والصعلوك الثالث (٣٩) ينجو من الغرق عند جبـــل المغناطيس وينقذه زورق به شخص من النحاس في صدره لوح من الرصاص منقوش بأســـماء وطلاسم ، وينقله خلال عشرة أيام الى جزائر السلامة ، ولكنه عندما رآها هلل وذكر الله ، فلما فعل ذلك قذفه من الزورق الى البحر .

وفكرة استخدام شخص من النحاس هنا تحققت الآن في صورةالانسان الآلى أو « الرابوت » وقد استحوزت هذه الفكرة على خيال الانسان منذ القدم ، ويحتوى التراث القديم بجانب هذا على مشروعات كثيرة لآلات تفتق عنها ذهن الانسان لتوفر له أسباب السعادة ، ولاشك أن لهذا الحلم أثره في التقدم الآلى وتطور علم الميكانيكا والكهرباء ، فسبق الفنان العالم أو نبهه اليها ، . ففي الادب الايسلندى القديم نقرأ عن ســـفينة « فرثيبون » التى كانت بلا قبطان ، وكانت تفهم ما يقال لها وتطيع ما يلقى عليها من أوامر وفىروايات العصور الوسطى نقرأ عن رأس كبيرة لانسان من النحاس تجيب عن أى سؤال أو استفسار عن الماضى والحاضر والمستقبل ، وفى حكايات الف ليلة وليلة يعطى على بابا أمره لبوابة المغارة ويقول : « افتح ياسمسم » وتنفتح البوابة على مصراعيها دون أن تمسها يد انسان . ويذخر الأدب الشـــعبى القديم بأمثلة عديدة لوحوش خرافية تتخذ لنفسها شـــكل الانسان وتقلد حركاته » .

وفعلا تحققت هذه الاحلام « ففى عام ١٩٢٧ أبحرت سفينة من ســـان فرانسسكو الى أوكلند في نيوزيلنده وقطعت المسافة فى ٢١ يوما لم تلمس يد انسان خلالها عجلة القيادة اطـلاقا ، فقد كان يقوم بقيادتهـــا وتوجيهها انسان آلى حديث . وفى الولايات المتحدة الامريكية يتحكم انسان آلى فى فتح وقفل بوابة ضخمة من الصلب لاحد المصانع ولا يستجيب الا للنداء : « افتح يا سمسم » Open Sesme وفى واشنطون يوجد انسان آلى آخر

(٢٩) انظر : الف ليلة ١ : ٧٢ .

يطلق عليه العقل النحاسى العظيم The great Brass Brain فى استطاعته الاجابة عن أى سؤال يختص بالمد والجزر فى البحار ، فى أى يوم من أيام السـنة » (٣٠) ٠

أصبح للكلمة سحرها فى العصر الحديث ، فيصبح للصـوت موجات حرارية أو موجات كهربائية ، بحيث يستطيع أى انسان أن يأمر جهازا حديثا بأن ينفذ طلبه فيتحقق ذلك دون أن يدعى أحد أنه تجاوز القدرة الانسانية ٠ تطورت الآلة تطورا خطيرا وكثر الحديث حول العقول الالكترونية الحاسبة والتى تجيب عن الأسئلة فى مختلف علوم المعرفة ودخلت فى مجال الصناعة والزراعة والمرور والاتصالات ، أصبح للآلة عقلا له نظام معقد وبلغ مستوى عاليا من الدقة والكفاءة ، ولكنها بالرغم من ذلك لا تستطيع أن تقوم بشىء لم يعلمه الانسان لها وبهذا ينقصها الخيال والابتكار وبالرغم من هذا التقدم فان الانسان الحديث أصبح أكثر عرضة للقلق والتوتر وانعدام الثقة بجانب شعور هائل بالمرارة بعد أن فقد قيمه الروحية فى هذا المجتمع المادى ٠

★★★

ويتوقع كتاب الخيال العلمى اليوم أن تتقدم الآلة بحيث تسيطر على الانسان وتقضى عليه ، أو تتحكم فيه أو أن هذا التقدم سيتضخم وستتمكن الآلة من السيطرة على الانسان ذاته ، فهى ستتجسس عليه وتعذبه وتتحكم فى رزقه وفى نظامه وحياته ، ومن هنا يصبح الحلم كابوسا يريدون أن يحذرونا منه ٠ نجد هذا فى مسرحية كارل تشابيك (١٨٩٠ ـ ١٩٣٠) « انسـان روسوم الآلى Rossum's universal Robot عالما يطمح الى محاكاة قدرة الخلق الالهية فيخترع انسانا آليا ذا قدرات عالية « فهم أكمل منا من الناحية الميكانيكية ولهم مستوى عال من الذكاء ٠ ولكنهم بدون أرواح »

---

(٣٠) كارل تشابيك انسان روسوم الآلى ٢٢ وما بعدها ترجمة د ٠ محمود طه ط الدار القومية للطباعة والنشر ٠

كما يقول مدير المصنع ، وينتشر هذا الانسان الآلي بسرعة مخيفة في العالم كله ، ويثور في النهاية ، ويتولى مقاليد الحكم في كل أنحاء العالم . ولكن المخطوط الاصلي الذي أنتج الانسان الآلي بمقتضاه ، أحرق ، فلم يعد في قدرته أن يتزايد ، فسخر البشر الآليون الانسان الوحيد الباقي ـ الكويست مدير التوزيدات في المصنع ـ لاكتشاف سر صناعتهم حتى يتمكنوا من التكاثر . انه كابوس مخيف عن عالم المستقبل نجد فيه العالم الطموح الملحد الذي كان يريد أن يصنع الناس . « أراد أن يشـــارك الله في قدرته . وكان ماديا مخيفا لذلك قام بهذا العمل ولم يكن له من هدف سوى أن يمدنا بالدليل على ان العناية الالهية لم تعد ضرورة ولهذا صمم أن يصنع انسانا مثلنا تماما » .

★★★

وحتى هذه المرحلة من البحث لم نتحدث عما نتج من الاتجاه نحو البحر بالمغامرات والبحث وتسخير بعض مخلوقاته وواضح تمما أن عالم البحار كان مصدرا للغموض والاثارة لدى الانسان القديم ، ولاشـــك أن وجود المنطقه العربية بين بحار العالم حمل الى الحصيلة الشعبية العربية زادا من حكايات البحر وأساطيره ، وقد استقرت في الاذهان بعض معلومات صحيحة نتيجه لسفر الرحالة ، ولتجاربهم وخبراتهم ، فقد كانوا يجوبون البحار للتجارة . وعندما يعودون يحملون معهم بجانب بضائعهم زادا متشابكا من حكايات البحر وأساطيره من كل الشعوب التي تعمل بالتجارة . ومن كل الامم التي حاولت خوض البحر ، وكلها تحكي عن دنيا البحر وعجائبه وجزره البعيدة وهي تجمع بين الحقيقة والخيال .

وربما لو استشهدنا بما أورده القزويني في « عجائب المخلوقات » خاصا بالبحر لذهلنا ، من ذلك مثلا ما ذكره من أنواع غريبة من السمك . فنوع له وجهه كوجه الانسان وبدن كبدن السمك ، وعلى الوجه نقط ، وتظهر عـلى وجهه السماء ، وسمكة تطير ليلا وتأكل الحشيش طول الليل ، فاذا كان

قبل طلوع الشمس عادت الى البحر » (٣١) . كما أنه أورد خبرا عن عوج بن عنق(٣٢) ذلك الكائن مارد من كوكب آخر ، وقيل انه أحد عمالقة كنعان تحدى موسى واليهود وكاد يقتلهم بحجر كالجبل لولا أن خف هدهد لمساعدة بنى اسرائيل .

ومن ناحية أخرى نجد أن كتب الرحالة والجغرافيين كالادريس والمسعودى وابن خرداذبه وياقوت الحموى بالاضافة الى كتاب عجائب الهند لبزرج بن شهريار احتوت على هذا اللون من الحكايات التى اختلطت بالاساطير وكانت من المصادر الاساسية للمؤلف الشعبى .

فالمسعودى (٣٣) مثلا أورد كثيرا من الاعاجيب عندما وصف البحر بكائناته الغريبة ، ويقوم هذا الوصف على بناء قصصى محكم قوامه حيوانه وعجائبه ، فقد حكى عن الاسكندر الاكبر أنه أمر الصناع بعمل تابوت له من الخشب طوله عشرة أذرع وعرضه خمسة، وجعل فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها خشب التابوت باستدارته ، ودخل الاسكندر التابوت هو ورجلان من كتابه ممن لهم علم باتقان التصوير ، وأمر أن تسد عليه الأبواب وتطلى بالقار ، وأمر فأتى بمركبين عظيمين فأخرجا الى لجة البحر ، وعلق على التابوت من أسفله مثقلات الرصاص والحديد والاحجار لتهوى بالتابوت سفلا ، وجعل التابوت بين المركبين فألصقهما بخشب بينهما لئلا يفترقا ، وشد حبال التابوت الى المركبين . وطول حباله فغاص التابوت حتى انتهى الى قرار البحر ، فنظروا الى دواب البحر وحيوانه من الزجاج الشفاف فى صفاء ماء البحر ، فاذا بصور شياطين على مثال الناس ورؤوسهم على مثال رؤوس

---

(٣١) القزويني : عجائب المخلوقات ٢٧٩ ط مصطفي البابي الحلبي سنة ١٩٥٦ .

(٣٢) السابق ص ٢٨٠ .

(٣٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر : ١ : ٣٧٢ ط السعادة سنة ١٩٥٨

السباع ، وفى أيدى بعضهم المناشير والمقاطع يحكون بذلك صـــناع المدينة والفعلة وما فى أيديهم من آلات البناء ، فصور الاسكندر ما شاهده ثم حرك الحبال فلما أحس بذلك من فى المركبين رفعوا التابوت .

وهذا الخيال الجامح يشكل به المسعودى أحداث رحلة تقول ان هناك فى البحار عالما آخر ومدنا أخرى بناسها وعمالها . وللكاتب نهاد شريف رواية تدور أحداثها تحت مياه المحيط وسنعرض لها فيما بعد .

واستطاعت حكايات ألف ليلة وليلة بما قدمته من حكايات كثيرة عن البحر أن تعبر عن الشوق الانسانى والتطلع الى المجهول وحب المعـــرفة واقترب القصاص بمخيلته من بعض حقائق عرفت فيما بعد اقترابا لا بأس به . والبحر كان قاسما مشتركا بين الحكايات ، فمنذ البداية يقف شهريار وشاه زمان أمام شاطىء ، فيظهر له عمود طويل ضخم من الدخان يتقدم نحو الشـــاطىء بسرعة ، ويهرب الملكان الى أغصان شجرة ، ليتحول العمود عندما يصل الى الشاطىء الى مارد جبار يحمل فتاة داخل صندوق . فنرى أيضا أن القصاص يربط عالم الجن والشياطين بعالم البحر وما فيه من مجهول ، وقصص أخرى تدور حول قماقم سليمان التى حبس فيها الجن العاصين وختم عليها بخاتمه ورماها فى البحر لتظل حبيسة الى آخر الزمان ، وهناك سمك البحر الذى يتحول عند الطهى الى كائنات حية آدمية تشق الجدار وتخرج منه ، وساحرة تسحر المدينة الى بحيرو وتسحر الناس الى أســـماك وعروس البحر تغرى حبيبها أن يعيش معها فى عالم كامل تحت سطح البحر وهى حين تكحله بكحل سحرى يستطيع أن يعيش كالاسماك فى عالم البحر السحرى ومدنه الكاملة المليئة بالناس (٣٤) .

ففكرة التحول من انسان الى حيوان مثلا هى أن ترش الساحرة الماء من

---

(٣٤) انظر فاروق خورشيد : فى بلاد السندباد ص١٦ ومابعدها ط دار الهلال سنة ١٩٨٦

طاسة فيخرج الضحية من صورة الى أخرى ، ويمكن أيضـــا تحويل بعض المعادن مثل تحويل النحاس الى ذهب ، وهناك الكثير من التركيبات الكيماوية لمحاليل تجلب الحب وأخرى تؤدى الى الموت المؤقت ٠

★★★

وفى قصة عبد الله البرى وعبد الله البحرى (٣٥) وصـــف أخاذ لمملكة البحار وما يزخر به قاع البحر من عجائب ، وهى تقدم لنا حقائق علميـــة عرفناها مؤخرا ، لما كان مجهولا آنذاك عن قاع البحر وعن أعماقه الحـــافلة بالأسرار ٠

وتحكى القصة عن عبد الله الصياد الفقير الذى يعتمد على الصيد ويتعيش منه ، وفى احدى المرات عندما أخرج الشبكة من الماء فوجىء بوجود « آدمى فيها ، ورآه يحرك رأسه وينظر اليه ، ثم يضحك مسرورا وهو يقول له : شكرا لك أيها الصياد ٠ فلم يسعه آلا أن ترك الشبكة بما فيها على البر ، وولى هاربا ، اذ حسب أن ذلك الشـــخص ليس ســـوى عفريت مارد من الجن ، وانه محبوس فى قمقم مسحور من النحاس بأمر نبى الله سليمان عليه السلام ، ثم انكسر القمقم أو انفتح غطاؤه » ٠

انزعج الصياد وحاول الهرب ولكنه يطمئنه قائلا : « اننى لستعفريتا بل أنا آدمى مثلك أومن بالله وملائكته وكتبه ورسله » ورجاه أن يخلصه من الشبكة ، ويطمئن الصياد اليه ويخرجه منها ويتم التعارف بينهما « أنا عبد الله البحرى لأنى من أبناء البحر وأهلى كلهم يعيشون فيه ، وهم من خيرة أهله وحكامهم ، وكلنا على دين الاسلام » وتعاهدا على الصداقة وتبادلا الهدايا كل يوم فانسان البحر يحضر له خيراته من لؤلؤ وياقوت ومرجان وانسانالبر يحضر له فواكه الأرض ٠

---

(٣٥) الف ليله وليلة : ٣ : ٩ ومابعدها ٠

وتكرر اللقاء وتبدل حال عبد الله البرى وذاع صيته وجعله الملك وزيره وانتقل الى قصره بجواهره ، وزوجه من ابنته وجعله خليفه من بعده ٠

وفى احدى اللقاءات أخبره عبد الله البرى أنه ينوى الحج والزيارة ، وهنا يدعوه عبد الله البحرى لزيارة مملكة البحر حتى يشاهد عجائبه ، ويحمله أمانة يؤديها عنه الى الروضة النبوية الشريفة ٠

ويوافق عبد الله البرى بعد تردد فدهن جسمه بدهان يستخرج من كبد نوع من السمك اسمه « الدندان » ، وهو أقوى مخلوقات البحر وأخطرها ، وحجمه كحجم الفيل ، يستطيع أن يبلع عشرة رجال دفعة واحدة ٠

ويخشى عبد الله البرى من مقابلة هذا النوع من الاسماك ولكن عبد الله البحرى يطمئنه بأنه لا يؤذى الانسان وهو يفر من رائحة الانسان وتقتله تلك الرائحة ٠

وفى صباح اليوم التالى ودع عبد الله البرى أسرته وانصرف ألى البحر لتبدأ الزيارة العجيبة ، دهن جسمه ومشى معه الى البحر وتحت الماء ، وهو متعجب لاستطاعته المشى والرؤية بسهولة تامة ٠

ويشاهد عجائب البحر ومخلوقاته ، وتهاجم المدينة جماعة من «الدندان» وعندما يقتربون منه ، يفر البعض ويصرع البعض وهم يطلقون صيحات عظيمة واستمر البحر فى هياج شديد فترة ثم أعقبها فترة هدوء ، وخرجت مخلوقات أخرى من مخابئها ترقص وتتبادل التهانى بعد زوال الخطر ٠

وعندما ينتشر خبر وصول ضيف آدمى تلقى دعوات تريد استضافته ولبى دعوة ملك أولاد البحر ونزل فى ضيافته أربعين يوما ، وقضى أربعين يوما أخرى فى ضيافة عبد الله البحرى ٠

وعندما حان موعد الرحيل ، صادفا فى طريقهما احتفالا عظيما فيه

غناء ورقص ، ويدعوه المحتفلون للمشاركة فى فرحهم ويعتذر لهم ولكن عبد الله البحرى يقول له : « لا يليق بنا أن نتخلف عن المشاركة فى هذا الاحتفال العظيم ، لانه أقيم بمناسبة وفاة كبير من أهل المحتفلين ، ولابد أنك تعلم أن التقاليد تقضى بتوديع الميت بالفرح والسرور .

وهنا يدهش عبد الله البرى ويطلعه على تقاليد أهل البر ، فهم يودعون الميت بالعويل والنحيب ويستقبلون المولود بالفرح والسرور . وهنا يغضب عبد الله البحر ويقول : انكم اذن لا تعرفون الله حق معرفته ، ولو كنتم تعرفون ما جزعتم من لقائه » ويودعه بلا لقاء آخر ويختفى عبد الله البحرى الى الابد .

وقد رسم القصاص هنا أبعادا لمدينة فاضلة بسكانها وطبائعها وعقائدها ويقارن بين ذلك وبين ما يحدث فى ممالك البشر ، فالبشر يتكالبون على الحياة وعلى المادة ولا يعرفون الله حق المعرفة . وهى تحمل وجهة نظر القاص الفلسفية من بعض الوجوه .

★★★

وما دمنا قد ذكرنا المدن الفاضلة أو اليوتبيات فلابد أن نذكر أن هذه المدن التى أنشأها الفلاسفة فى خيالهم وجعلوها جزءا مهما من تفكيرهم العقلانى كانت نواة طيبة لانشاء مدن كاملة متقدمة فى قصص الخيال العلمى ، ومن أشهر هذه المدن ما أورده فورستر فى روايته التى ترجمت الى العربية بعنوان « عصر الآلة ينهار » . ولقد أسهم بعض فلاسفة المسلمين فى انشاء مثل هذه المدن ، ونذكر منها مدينة الفارابى المعلم الثانى بعد أرسطو ، وقد كتبها فى القرن الرابع الهجرى مصورا فيها دولة مثالية تحقق السعادة والرفاهية لشعبها وتمحو الشرور بينهم ، وهذا التصور قائم على نزعة فلسفية دينية وهى مصدر قويم لحياة روحية ، والفضيلة عند الفارابى هى سبيل السعادة ، وهو يعرف المدينة الفاضلة بأنها « التى يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الاشياء التى تنال بها السعادة الحقيقية » .

والتعاون له ميدان فكرى أيضا قوامه الحكمة والعلم ويؤدى بالفاضلين فى مدينتهم المنشودة الى معرفة الله والعقل والوجود والوحى ، أو المزاوجة الفكرية بين الفلسفة والدين .

ويتضامن أهل المدينة الفاضلة ويلتزمون بممارسة الفضيلة وعمل الخير ، وهو قاعدة البناء الاجتماعى عند الفارابى « وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج فى قوامه ، وفى أن يبلغ أفضل كمالاته ، الى أشياء كثيرة لا يمكن أن يقوم بها وحده ، بل يحتاج الى قوم يقوم له كل واحد منهم بشىء يحتاج اليـــه » (٣٦) .

ويتبع هذا شرح مفصل لالوان المجتمعات ، يؤكد فيه أن المجتمع النامى هو المجتمع الفاضل السعيد .

وهو يرى أن الفضيلة سبيل السعادة ، وأن الدين والفلسفة طريقان للوصول . وقد قدم لحديث المدينة الفاضلة فى مطلع كتـابه بحديث عن الله سبحانه وتعالى واجب الوجود بذاته ثم عن الموجودات وأنواعها وكيفيةصدورها عن الخالق وعن نظام الكون وعن الانسان واتصاله بالله .

ثم يقدم الفارابى تصوره لهذه المدينة : فقد نمت حتى شملت الامة والمعمورة. والفلسفة هى تاج الانسان والاسلام هو رسالة البشرية.ويضع شروطا لرئيس المدينة ، يتحلى بالكمال فى كل شىء مستبعدا النظام الملكى فى نظامالحكم الذى استقر عليه .

والتعاون هو أساس نجاح هذه المدينة « والأمة فى تعاونها أشبه ما تكون بالبدن التام الصحيح الذى تتعاون أعضاؤه كلها على القيام بوظائف الحياة للانسان ، وفيها القلب فى مكان الرئيس ، وأعضاء تقرب مراتبها منه أهمية

---

(٣٦) أبو نصر الفارابى : آراء أهل المدينة الفاضلة ١١٧ دار الشرق بيروت سنة ١٩٨٦ .

وخطرا ، وأخرى ليس لها سوى العمل والحركة وتنفيذ ما يصدر اليها من أوامر · واذا لم يؤد كل من الرئيس والقادة ووسائل الاتصال والعمال وظيفته اختل نظام الامة ووهنت وهددتها عوامل الفساد والفناء » (٣٧) ·

ثم يعرض الفارابى صورا أخرى للمدن غير الفاضلة حرصا على اتمـــام التعريف للمدينة الفاضلة بأضدادها (٣٨) «فهناك المدينة الجاهلة» وهى التى ضل أصحابها سبيل السعادة الحقيقية ، واستبدلوا بها ملذات الجسد وشهوات النفس ، والمدينة « الفاسقة » وهى التى عرف أهلها مبادىء الخير والفضل والسعادة ، ولكنهم لم يلتزموا بها فى سلوكهم بل ضلوا سبيلها ، والمدينة « المتبدله » وهى التى كانت فاضلة علما وعملا ثم بدلتها تبديلا وانغمست فى المفاسد · والمدينة « الضالة » وهى التى فســـــد اعتقادها فى الله والعقل وخضعت لرئيس فاسد يوهم الناس أنه من أصحاب الوحى والنبوة ·

وهذه المدن الاربع تسود أهلها عوامل القهر والضعف والبقاء للاقوى ·

★★★

وهناك فيلسوف آخر يعد رائدا عربيا فى مجال الخيال العلمى ، وهو ابو بكر محمد بن طفيل الاندلسى بقصته « حى بن يقظان » (٣٩) الذى اهتدى بذكائه وفطرته ودقة ملاحظته الى الايمان بالله خالق الخلق ومصدر الوجود كله ، مرتقيا سلم المعرفة درجة درجة من خلال التحليل والاستيعاب ، وقد وجدت أصول قصته عند ابن سينا ، ولكن ابن طفيل هو صاحب القصة فى صورتها الاخيرة والتى نالت شهرة واسعة ·

ولقد تخيل ابن طفيل أن أحدا سأله أن يبثه ما تيسر من أسرار الحكمة المشرقية ، التى ذكرها ابن سينا ويود ابن طفيل أن يبث صاحبه لمحة يســيرة

---

(٣٧) السابق : ١١٨ ·

(٣٨) السابق ١٤٢ وما بعدها ·

(٣٩) انظر : أحمد أمين « حى بن يقظان » لابن ســـينا وبن طفيـــل والسهروردى ١٦ وما بعدها (ط دار المعارف سنة ١٩٦٦ ط الثالثة ·

على سبيل التشويق فلجأ الى الرمز يعبر به عن بعض الحقائق فى نسيج قصصي ، شكل قصته فى نهاية الامر .

وقد ولد « حى » ولادة مجهولة فى احدى جزر الهند ، تحت خط الاستواء ، وقيل فى ولادته أن تلك الجزيرة كانت ملكا لرجل من أهلها شديد الانفة والغيرة ، وكانت له أخت ذات جمال وحسن باهر ، فمنعها من الزواج لانه لم يجد لها كفؤا ، وكان له قريب يسمى «يقظان» فتزوجها سرا ، ثم أنها حملت منه طفلا ، فلما خافت أن يفتضح أمرها وضعته فى تابوت وخرجت به الى ساحل البحر ، ثم قذفت به فى اليم ، فدفعته الى تلك الجزيرة حيث ألقى به فى أجمة ملتفة الشجر ، ثم أخذ الماء فى النقصان وبقى التابوت فى ذلك الموضع ، واشتد الجوع به فبكى واستغاث ، فوقع صوته فى أذن ظبية فقدت ولدها ، فتتبعت الظبية الصوت حتى وصلت الى التابوت فحنت عليه وأرضعته ومازالت تتعهده وتدفع عنه الاذى .

كما قيل فى ولادة « حى » انها عن طريق التولد الذاتى وهو تخمر الطين فى درجة حرارة معتدلة ! .

وقد تربى الطفل فى كنف الظبية حتى بلغ من العمر عامين ، وكان قد تدرج فى المشى وظهرت أسنانه ، وراح يحاكى نغمة الظبية وأصوت الطير وسائر الحيوانات ، وقد ألفته الوحوش وألفها ، غير أنه رأى أن الحيوانات مكسوة بالوبر أو الشعر أو الريش ، ورأى مالها من الاسلحة التى تدافع به عن نفسها ، مثل القرون والانياب والمخالب ، وفكر وطال همه وقد قارب سبعة أعوام . وهنا اتخذ من أوراق الشجرة العريضة شيئا جعل بعضه خلفه وبعضه أمامه . ثم استبدل بأوراق الشجر ثوبا من جلد النسور التى اعتاد صيدها .

على أنه لم يفارق أمه الظبية الى أن أصابها الهزال ، ثم أدركها الموت فسكنت حركتها . وهنا يجزع الطفل جزعا شديد وحاول استطلاع سبب

ما حدث لها ، فلم يجد ، وهنا يبدأ أول درس عملى فى التشريح • ظل يبحث فى كل أعضائها الى أن اهتدى الى عضو فى الجانب الايسر من الصدر وهو القلب فجرده فرآه مصمتا من كل جهة ، فظل يقلبه فلم يعثر فيه على آفة ، فاعتقد أن الساكن فى ذلك البيت قد ارتحل قبل انهدامه ، وأخذ يستنتج أن هناك شيئا خفيا فارق الجسد ، وهذا الشىء الخفى هو الذات ، وبعد فترة أصاب العفن والفساد جسم الظبية فتعلم من الغربان كيف يواريها التراب •

وذات يوم يشب حريق فى أجمة من آجام الجزيرة ، فيكتشف النار وما يجانسها ، وقد أكد ذلك فى نفسه ما كان يراه من حرارة الحى وبرودة الميت ، ومن ثم راح يعاود عمليات التشريح فى الحيوانات •

وبمرور الوقت تتسع خبرات « حى » وتنمو معارفه ، ويتعرف على خصائص أعضاء الجسم ويتعلم غزل الصوف ، ويهتدى الى البناء ويروض جوارح الطير ، ويستخدمها فى الصيد ، ثم نظر الى ارتباط الموجودات فعلم بالضرورة أن كل حادث لابد له من محدث ، وتتبع الصور التى كان قد عاينها من قبل فرأى أنها كلها حادثة ، وكذلك لابد لها من فاعل • وعلى هذا النحو أثير لديه شوق الى معرفة الفاعل •

كذلك حاول أن يبحث فى الاجرام السماوية ، وظل يتأملها وتساءل هل السماء ممتدة الى ما لا نهاية ، ثم ما لبث أن تصورها كروية واستنتج من خلال تجربته ضرورة وجود أفلاك خاصة بالكواكب •

وعلى هذا النحو يقترب « حى » بتفكيره وفلسفته من التوصل شيئا فشيئا الى معرفة الله ، قائلا بوجود محرك لهذا العالم ، ولابد أن يكون هذا المحرك خارجا عنه اذا كان قديما • ثم يمعن النظر فى فكرة وجود الله ويتوصل الى

استنتاج صفاته للنظر فى صفات الكائنات ، وينتهى الامر به الى الايمان بالله خالق الكون ومبدعه بروحه ، حتى وصل الى أرقى درجات التصوف استغراقا وفناء فى ذات الله ، وينقطع الى حياة التأمل والعبادة ويكون قد بلغ التاسعة والاربعين من عمره .

وبعد أن اهتدى الى كثير من « الميتافيزيقيات » والحقائق الصوفية التى تقوم أساسا على الفناء فى الله ، حاول أن يقلع عن الجزيرة فى حين هبط اليها متصوف آخر يقال له «أبسال» وقد علمه الكلام ولقنه الشرائع السماوية وايقن أن الدين الذى يؤمن به ليس الا الصورة الحقيقية للفلسفة الاشراقية .

ويتفق الرجلان على الذهاب الى جزيرة مجاورة ليعرضا على مسامع الناس ما انتهيا اليه من قيم صوفية ولكن جهودهما تذهب أدراج الرياح ، واذ يخفق الرجلان ، يعودان ثانية الى الجزيرة التى نشأ فيها « حى » تاركين الناس على نصح أن يثبتوا على دين الآباء .

والقصة فى حد ذاتها جيدة البناء رغم ازدحامها بالآراء الفلسفية ، والكثير من الافكار المجردة معتمدا على دقة الملاحظة والمقارنة والاستنباط وكل ذلك من خصائص التفكير العلمى ـ وصاغها الكاتب صياغة فنية بأسلوب سلس يعجب الفلاسفة والادباء والعلماء .

واذا كان ابن طفيل يصل الى المعرفة عن طريق العقل فيرتقى بنفسه من المحسوس الى المعقول ومن المعقول الى الكشف ، فهو فى الحقيقة يبارك بصر الانسان وبصيرته ، ويتبين أن ما وصل اليه بعقله متفق تماما مع تعاليم الشرع ، غير أن الدين يأتى بأشياء لا يصل اليها العقل كالصلاة والزكاة مثلا ومن هنا يأتى دور الانبياء فى بسط شريعة الله وتنبيه الغافلين المنكرين لوجود الله عن طريق مخاطبة العقل .

وقد تأثر بهذه القصة بعض الكتاب الغربيين فكتب دانيال ديفو فى القرن

الثامن عشر قصة « روبنسن كروزو » ، وكتب جوناثان سويفت « رحلات جلفر » وادجار رايس بروزو « طرازان » على نمط قصة ابن طفيل ٠

وفى عصرنا الحديث تغيرت العقلية الانسانية بمساعدة الثورات العلمية والانجازات التكنولوجية ، وقد فاق العلم تصور أصحاب الخيـــال الحالمين بالمجتمعات ، التى تحقق السعادة المثلى للانســـــان أو المتنبئين بالمجتمعات الميكانيكية ، وبالرغم من كل هذا التقدم التكنولوجى بجانب اجتهادات العلماء فى الوصول الى حلول لاكثر المشكلات تعقدا وغموضا ، فمازال الكون أمامنا حافلا بالاسرار والالغاز ، وما زلنا نصطدم ببعض ظواهر طبيعية وبيولوجية وفلكية ، وما زالت أممنا منطقة مجهولة فى خريطة الـكون ٠ فماذا يحدث اذا وقف الانسان الحديث حائرا أمام احدى الظواهر ؟

هنا تكون الفرصة مهيأة لكتاب الخيال العلمى ليضــــعوا تصـــوراتهم وتنبؤاتهم واعمال خيالهم فى محاولة لكشف المنطقة المجهولة ، ومحاولة لفهم الكون ، انها ضرب من الفلسفة من بعض الوجوه أو هى عودة الى الاســـاطير والخرافات القديمة ، فالاسطور مازالت تعيش معنا ، ولكنها اتخـذت نغمة أخرى تساير عصرنا الحديث ، عصر العلم والتكنولوجيا وتمثلت فى قصص كتاب الخيال العلمى ، والتى تعتبر أداة من أدوات التأمل الجرىء للانسان فى الطبيعة والواقع وفى مكانه داخل الكون ، انها تساعده على اكتشـاف نفسه ومعرفة أن يكون انسانا (٣٩) ٠

ومن البين أن التنبؤ والدهشة هما هدفا الرواية العلمية ، وقد تعددت فى ذلك وجهات نظر الكتاب وأسهم كل برؤيته للمستقبل ،فالبعض متشائم ينظر الى المستقبل برهبة وذعر ، وينقل هذه المشـــــاعر الى قرائه متنبئا بنبوءات رهيبة عن النتائج المحتملة فى التقدم العلمى ويطلق على هذا النوع

---

(٣٩) انظر : راجى عنـايت : مغـامرة عـلى كوكب الزهرة : ٩ دار الشـــروق سنة ١٩٨٣ ٠

من الروايات Warning novels أو روايات منذرة ، ومعظم روايات كتاب الدول الرأسمالية المتطورة نرى فيها ذلك التشاؤم ، فهناك مجموعة من القصص عن زوار من مجرات مجهولة وكائنات مخيفة تفتقر الى ملكات عقلية وهي خطيرة وتلحق الضرر بالانسان وهي ميالة للدمار ولا يمكن قهرها ،ومن هؤلاء الكتاب روبرت شيكلي في كتابين له هما : « تبادل العقول » و « المهرجون » . وأيضا بيير بول الذى ألف كتـــابه « اليوتوبياضد كوكب القرود » وآرثر كليرك في كتابه « المدينة والنجوم » .

والبعض الآخر متفائل ونرى هذا التفاؤل عند كتاب الخيال العلمي في الاتحاد السوفيتي فهم يتطلعون الى المستقبل بلا خوف ، وحتى عندما تعترض مستكشفي العوالم المجهولة عقبات جسيمة ، أمكنهم التغلب عليها ،ويصورون الناس على استعداد لاداء مآثر وأعمال بطولية لخدمة البشرية أو يظهرون سكان الكواكب المختلفة متحدين في المستقبل كما هو الحال في رواية « اندروميدا» ليفريموف (٤٠) .

واذا كان هذا حال كتاب القصة العلمية الاوربية في علاج هذه الظاهرة فان كتاب القصة العلمية العربية ، مثل نهاد شريف وايهاب الازهرى يقفون من هذه الظاهرة موقفا وسطا ، حيث نجدهما يشيران الى أن العلم نقمة في يد الحاكم الظالم ، ونعمة اذا أحسن اســـتخدامه لنفع البشرية في أوقات الســـــلم .

ومن الموضوعات المهمة التى أثارت خيال كتاب الخيال العلمي وأثارت أيضا مخاوفهم هو « علم الهندسة الوراثية » وقد أمكن عن طريق هذا العلم تحسين انتاج النباتات والحيوانات ، ولكن الخطر هو اجراء تجارب علـــى

---

(٤٠) انظر فالنتينا ايفاشيقا : الثورة التكنولوجية والادب ٤٠ ومـــا بعدها ترجمة عبد الحميد ســـليم ط الهيئة المصرية العامة سنة ١٩٨٥ .

الكائنات البشرية وان بعض علماء البيولوجين اليوم يعملون - فيما يقررون - على تصحيح البناء الوراثى ، وذلك بمداخلاتهم المعملية فى ميكانيزم الخلية الحية ، وقد نجحوا فى خلق كائنات حية دقيقة ومفيدة •

ومع ذلك قد يؤدى هذا الى ظهور صور جديدة من البكريا الضـارة أو تخلق بكتريا عندها مناعة ضد المضادات وقد أثار هذا الموضـوع عدة آراء أخلاقية وفلسفية تناولت قيمة الانسان وكرامته وضرورة تنزيهه عن أى تغير خلقى موروث الا بقدر محدود للغاية ، ويبحثون الآن عن اجابة لسؤال هو : « اين يتوقف الانسان أثناء التجارب - قبل أن يصبح نمطا آخر من الكائنات نتيجة لتأثير هذه التجارب عليه ؟

وقو تناول كتاب الخيال العلمى هذا الموضـــوع ، ومنهـم الكـــاتب « كيت بدلر Kitpedlar بروايته « الكائن الجديد رقم ٥٩ » (٤١) •

وليست الهندسة الوراثية وحدها هى التى لفتت نظر الأدباء ، بل لفتهم أيضا ما استكشف فى مجال فسيولوجيـا المخ • والتجـــارب التى تجرى عليه وربطها بسيكولوجيا النفس والتجارب التى تجرى لتغيير الشخصية من خلال بعض التركيبات الكيمائية ، كل هذا يمكن أن يؤدى فى النهاية الى التحـكم فى خلق مجموعات من البشر اما أذكياء واما أغبياء أو متخلفين أو مسلوبى الارادة والشخصية حسب أغراض من يقودهم •

ولعل رواية « كولن ويلسن » (٤٢) التى عنوانها « شك لابد منه » سنة ١٩٦١ ، ليست الا انعكاسا مباشرا لهذه التجـــارب التى أجريت على المخ ، وأيضا له رواية اخرى بعنوان « حجر الفلاسفة » وبالرغم من أن لها مظـــاهر فلسفية عديدة الا أنها تناولت أيضا التجارب التى أجريت على فسيولوجيا

---

(٤١) انظر الثورة التكنولوجية والادب : ٢٢٣ •
(٤٢) انظر السابق : ٢٣٢

المخ واطالة عمر الانسان فى قالب من الخيــال العلمى • وعندنا أيضـــا الدكتور مصطفى محمود فى روايته « العنكبوت » والذى تناول فيهـــا أهمية الجزء الصنبورى فى المخ بعد حقنه بسوائل منشطة وتعريضـه لاشعاع معين فيصبح له القدرة على التقاط الصور والأصوات التى مرت بها البشرية ، منذ آلاف السنين ـ وسأتناول هذه القصة فيما بعد •

وهنا ترى أن كتاب الخيال العلمى ، اقتحموا أكثر المجالات دقة وغموضا ليقدموا لنا فى قالب جذاب بعض المعلومات العلميـــة الحقيقية ، أو التى فى سبيلها الى التحقيق ممزوجة بالخيال ، وذلك لتقريبها من الاذهان ، ويمكن عن طريقها متابعة أحدث الاكتشافات العلمية ، ولذا وجدت صدى عظيما فى السنوات الأخيرة •

ومن الظواهر التى أثارت مخاوف فئة كبيرة من الناس ، وروجت لها الصحف والمجلات والجمعيات العلمية ، وألهبت خيال كتـــاب أدب الخيـــال العلمى ، ظاهرة الأجسام الغريبة التى تحلق فى الفضاء وسميت « بالأطبـــاق الطائرة » • ولقد تجمعت عدة أوصاف لها ممن أكدوا مشاهدتها ، وأرجعوها الى أسباب غير منطقية ، وبخاصة أنه ترك العنان للاجتهادات الشـــخصية • وبالرغم من أن بعض العلماء فسر هذه الظاهرة بأنهـــا لا تعدو أن تكون بعض الأقمار الصناعية أو النيازك والشهب أو قد تكون خداع بصر نتيجة لانكسارات ضوئية ، فان طبيعة نفوسهم تشدهم الى كل ما هو مثير ، وتشكل مادة غزيرة للكتاب • فيصورون لقاء يتم بين كائن سماوى مع كائن أرضى ، وقد يقولون ان أهل الكوكب الفلانى أتوا لغزو أهل الارض ، وحزا هذا الحزو نهاد شريف فى أدبنا ، فلم يكن كثيرا أن يقول عنها دكتور دونالد مينزل أستاذ الفلك والفيزياء الكونية بجامعة هارفارد « انها أسطورة من الاســـاطير الحديثة التى توافق العصر الذى تعيش فيه » (٤٣) •

---

(٤٣) الانسان الحائر بين العلم والخرافة ٢٠١ •

وهناك أيضا كتابان مثيران للأمريكى بيرليتز أطـــلق على الأول « مثلث برمودا » وعلى الثانى « بدون أثر » ، (٤٤) وفى الكتاب الأول يحكى حكايات غريبة عن كائنات غير مرئية مسرحهـــا مثلث مرعب - يقــــع الى الشرق من الولايات المتحدة فى المحيط الأطلسى ، وهذه الكائنات تشيع فى أرجائه الدمار والموت فتخطف الطائرات ، وتبتلع السفن • وأما الكتاب الثانى فقدم فيه المزيد من الظواهر المحيرة التى تحدث فى ذلك المثلث ويضع أمامنا ظـــواهر يتحطم لديها نظريات العلم وقوانينه ، فمن رسالات استغاثة تحمل الغموض ، الى قوى خفية تخرس أجهزة الارسال ، الى مجالات كونية تتحـــكم فى البوصـــلات المغناطيسية ، الى بحار تتغير معالمها ، الى أجسام غريبة تحلق فى هذا المثلث المرعب ، وكلها تعنى أن هذا الكون تتحــكم فيه بعض القـــوى الخفية التى لا تبرر • ويعنى أيضا الغموض والاثارة والدهشة والناس يميلون دائما لكل ما يثير ويدهش فى هذا الكون الغامض • هذا عدا النيازك التى تشق عنـــان السماء فتضرب الأرض • ومن حسن الحظ أن النيازك الكبيرة لم تسقط بجوار المدن الآهلية بالسكان ولا شك فى أن « سدوم وعمورة » المذكورتين فى التوراة قد أهلكتا بفعل النيازك ، وفى ومضة الكارثة سخطت زوجة لوط الى قالب من ملح أو كتلة من رماد وهذا يدل على شدة قوتها التى تفوق القنبـــلة الهيدروجينية (٤٥) •

وحتى السياسة لم تسلم من الفكر الأسطورى فقد دخلها نوع الكهـانة أو التنبؤ لما سوف يحدث ، ويعتبر أوزفالت شـبنجلر بكتـــابه « أفـــول الغرب » (٤٦) الذى نشره سنة ١٩١٨ من المنجمين السياسين • فقد كشف عن طريقة جديدة يمكن اعتمادها فى التنبؤ بالأحداث التاريخية والحضارية .

---

(٤٤) انظر السابق ٢٣١ وما بعدها •
(٤٥) انظر جيرالد هوكنز بدائع السماء ٣٣٧ ط بيروت سنة ١٩٦٧ •
(٤٦) ارنست كاسيرر الدولة والاسطورة ٣٨٢ ترجمة د أحمد حمدى محمود ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٥ •

على النحو الذى يتبعه عالم الفلك فى التنبؤ بكسوف الشمس وخسوف القمر ، عندما نقد حضارة الغرب وحدد مجراها فى المستقبل ، مشيرا الى أن مولد أية حضارة هو فعل غيبى على الدوام ، وأمر خاضع للمصير ، حيث قال « تولد الحضارة فى اللحظة التى تستيقظ فيها روح عظيمة من بروتوبلازم الروح الاولى للانسانية الدائمة الطفولة ، ثم تنفصل من اللا صورة فى صورة محدودة ، وتتحول من اللا محدود والدائم الى شكل شىء فان محدد ... وتموت الحضارة بالفعل عندما تكون هذه الروح قد حققت بالفعل جملة ممكناتها كاملة ، التى تظهر فى شكل شعوب ولغات وعقائد وفنون ودول وعلوم ، وترتد بعد ذلك الى صورة الروح الأولى » (٤٧)

فكأنه ينقلنا الى جو أسطورى تمثل فكرة المصير المحتوم والجبرية ، وكلها وثيقة الصلة بالفكر الاسطورى بجانب تكهناته التى هى من نوع تكهنات المنجمين ، وشتان ما بينهما

واتخذت الأسطورة والخرافة معنى جديدا يدل على القوة والعظمة ، عكست ذهنية مجتمعية ، فيقال مثلا أسطورة هتلر الذى جمعت الشعب الألمانى ، وأدت الى انقلاب هائل فى تاريخ الانسانية ، (٤٨) وأسطورة أمريكيا التى تمثل القوة ، وخرافة اسرائيل التى لا تقهر بعد بنائها لخط بارلييف على أعلى مستوى من التقدم التكنولوجى ، ولكن هذه الأسطورة تحطمت بعد اقتحام المصريين له ، وقد تناول نهاد شريف هذا الموضوع فى قصة بعنوان « وسيظل لا يعرف » .

« وكرستوف كولوميس » جاء للقارة الجديدة بخيال مفعم بالأساطير ، وبعقل كان على أتم استعداد للعثور على جوانب سحرية غريبة فى الواقع الذى يلقاه ، وبهذا أصبحت أمريكا عنده تجسيما للأسطورة وتحقيقا للخيال

(٤٧) الدولة والاسطورة ٣٨٢ .

(٤٨) انظر د . محمد عزيز الجبائي من الكائن الي الشخص ١ : ٧٣ دار المعارف سنة ١٩٦٢ .

الغريب ، ومن هنا يظهر فى مذكراته كثير من عرائس البحـــر « والأمازونات أو النساء المحاربات والبشر الذين يحملون رؤس كلاب وذيولها ، ويمشون على أيديهم وأرجلهم معا ، أما الطبيعة فقد كانت مسحورة أيضـا بالنســـبة له ، ترضى اليوم منطق الفنان وتمتحن مدى صدقه ٠

وبذلك فان القارة الجديدة منذ اكتشافها وهى تمثل فى خيال الأوربى العالم الغريب والعجيب ، أو العالم الطفل كما أطلق عليهـــا ، ولهذا سرعان ما قرنها بالشرق الذى لم يتجاوز فى خياله ـ خاصة فى عصر التنوير ـ هـــذا النطاق ٠

★ ★ ★

والخلاصة أن الأسطورة مازالت تعيش بيننا وان اتخذت أشكالا أخرى ترضى اليوم منطق الفنان وتمتحن مدى صدقه ٠

وان الأسطورة منذ أن خطط لها خيال الانســـان الأول تحكى تاريخـــا مقدسا ، وتصور فيها مواقع تضرب فى العصور الخرافية وهى تعانق الهـــا ما ، أو تصور كائنا خارقا ، أو مفكرا حاول أن يفسر ظواهر الطبيعة ويضع أوليات المعرفة ، وحتى تلك « الملاحم » « والحكـــايات الخـــرافية » اللتين استمدتا مادتيهما من حكايات الاساطير ، احتفظتا بالكثير من القيم فى الوقت الذى تغوص فيه بعض جوانبها الى اللاشعور ، تحت وطأه التقدم الفكرى ، لتحيا الأسطورة مرة أخرى ، فى أدب الخيال العلمى ، القائم على التجربة ، واستقراء الواقع للوصول الى قوانين محددة متصلة بقضايا العصر ، وتفتح المجال للتنبؤ ، وفهم العالم واستشراف المجهول ليحذرنا مما هو آت أو ليزيد ، جرعة الأمل فينا ، فيبدو من هنا أن امكانات تشكيل العالم عن طريق الفن لاحد له ، كذلك امكانات تشكيل العالم عن طريق العلم وبمساعدة التقـــدم التكنولوجى لاحد له أيضا ٠

---

(٤٩) انظر منهج الواقعية فى الابداع الادبى ٢٩٨ ٠

الفصل الثالث

دراســــات تطبيقية

١ ـ الخيال العلمي في الفن الروائى

٢ ـ الخيال العلمى فى القصة القصيرة

الفصل الثالث

دراســــات تطبيقية

١ ـ الخيال العلمي في الفن الروائى

ان الغرض الاساسى من هذا الفصل هو فحص بعض أعمال كتابنا الذين أدلوا فى هذا النوع من القصص ، لنتبين مدى استجابتهم للاكتشافات العلمية المستمرة ، ومدى ملاحقتهم للنظريات الحديثة وتأثيرها على انسان العصر الحديث وانسان العصر القادم من خلال تخيلاتهم ورؤاهم ، وموقفهم من القضايا الاخلاقية والاجتماعية ، التى استجدت بتأثير التقدم العلمى وتأثير وثقافة العصر الذى فرضته الثورة التكنولوجية ٠

ولا شك أن المؤثرات الاجنبية كانت واضحة على نتاج كتابنا ، وبالرغم من ذلك فقد قدموا الينا أعمالا تحمل ذوقهم وأصالتهم ، فقد وجدنا فيها روح العلم ، والفلسفة ، ورؤى أدبية تحتمل التصديق ٠ الامر الذى يدعونا أن نضع هذا النوع من القصص فى مصاف قصص الخيال الجاد ، ولاتدرجه تحت قصص التسلية أو الروايات البوليسية وينبغى على النقاد أن يعيدوا النظر اليه ، لابراز قيمه الفنيه ومعاييره وملامحه المميزة لشكله الفنى بعد أن اصبح ظاهرة بارزه فى الادب القصص الحديث ٠

وتدعو طبيعة البحث فى هذا الفصل الى تناول هذه الظاهرة فى مجالين هما مجال « الرواية » ، ومجال « القصة القصيرة » ٠ أما مجال الرواية ، فان الاختيار قد وقع على روايتين للدكتور مصطفى محمود هما «العنكبوت» و « رجل تحت الصفر » وعلى روايتين للكاتب نهاد شريف ، همـــا « قاهر الزمن » ، و « سكان العالم الثانى » ، وعلى رواية للكاتب صبرى موسى هى

« السيد من حقل السبانخ » وعلى رواية لايهاب الازهرى هى : « الكوكب الملعون » .

أما فى مجال القصة القصيرة فقد وقع الاختيـــار على قصة لتوفيق الحكيم وهى « سنة مليون » ، وبعض اختيارات من مجموعات نهاد شريف القصصية ، .

أما الدكتور مصطفى محمود فانه يقدم لنا رؤية مستقبلية لما يمكن أن يحدث فى عالمنا بعد سنة الفين ، وذلك من خلال روايته « رجل تحت الصفر » ، فعقب حرب ذرية عالمية ثالثة بين أمريكا والصين ، ووقف روسيا موقف الحياد بين الطرفين تحذرهما من نشوب حرب ذرية بلا فائدة ، وبالفعل تنشب حرب ذرية مروعة ، حتى كانت الارض تخرج عن مدارها ، وكان من نتائج هذه الحرب ظهور مرض جديد أشبه بالطاعون حصد البشرية حصدا ، ونتيجة انتشار هذا المرض بدأ الناس يتوحدون أمام مشاعر الالم والعذاب والموت . ولاول مرة فى تاريخ البشرية ارتمى الجميع فى احضـــان بعضهم البعض ناسين الاحقاد والفواصل والحدود . ويجند العلماء انفسهم لمعرفة سبب الداء واخيرا يكتشف الفيرس وهو عبارة عن جزء واحد من بروتين DNA وهو البروتين النووى المعروف فى نواة الخلية الطبيعية الذى تم تخليقه نتيجة الاشعاع الذري فى مزيج الدم والطين والعفن . ثم استخرج لقاح واق ، وامكن وقف زحف الموت وخرج العالم من المحنة وقد طهرته الآلام العظيمة ، وحدة الا... والعذاب ، وبدأ العالم يقوم من العدم وتكاتفت ملايين البشر لتحقق المستحيل، واختفت الفواصل بين القارات نتيجة للتقدم السريع فى وسائل المواصلات ، فلم يعد هناك اختلاف بين الوجوه والاشباه فكأنهم جميعا اخوة أو اشقاء .

وتدور احداث رواية « رجل تحت الصفر » بعد هذه الفترة ويقسمها الكاتب الى خمسة فصول ، قدم لنا من خلالها أربعة شخصيات الفصل الاول بطله المصرى الدكتور شاهين ، الذى يستقل صاروخا هو وصديقه ومساعده

العراقى عبد الكريم من القاهرة الى لندن ، ليلقى محاضرة للطلبة فى جامعة كمبريدج ، وهو من حاملى جائزة السلام ووســـام امحوتب فى الكهرباء والمغناطيسية وروزيتا التى تحب الدكتور شاهين وهى احدى طالباته و ـــ يتزوجها فيما بعد - وأوكميا رئيس اكاديمة العلوم ٠

والراوية بالرغم من احتــوائها على كمية من المعلومات العلمية لــم يصبها الجفـــاف ، ولم تفتقد عناصر الاثارة والتشويق ، بناها على حبكة متقنة تجلى فيها الصراع ورسم الشخصيات بعناية وتفاعلت مع الاحداث ، وربط بينهما حوار لا يخلو من ظرف فى أحيان كثيرة ٠

يصل الدكتور شاهين الى الجامعة فى فترة قصيرة من الوقت ، ويلقى أمام طلابه محاضرة عما تم انجازه فى السنوات الماضية ، مستعرضا فيها مشروعات علمية خطيرة ، فقد استخدمت الطاقة الذرية لخدمة الانسان فى وسائل المواصلات ، وتم تجميد الانسان وحفظه ثلاثة أشهر كاملة وأعادته مرة اخرى ، وجرى تحطيم النيوترن قلب النواة ، ونسف الغلاف الجوى لكوكب الزهرة ، واكتشاف اقراص السعادول الاخدر ، وامكان زراعة الاجنة فى « برطمانات » ، والتحكم فى توريثه اية صفة ٠ ثم يناقشه الطلبة فى ادق التفصيلات بين معارض ومؤيد لهذه الموضوعات ٠

وتنتهى المحاضرة باعلان زواج الدكتور شاهين من روزيتا ، التى تهيم به حبا ، واعلانها انها تحمل منه طفلا سياتى الى العالم بدون « برطمان » !

وفى الفصل الثانى من الرواية يجمع عش العسل الزوجين السعيدين ، وهو معمل المغناطيسية والكهرباء الخاص بالدكتور شاهين ، الذى يجرى فيه تجاربه على المغناطيسية أو الجاذبية ، التى هى سر الوجود ٠ فهناك قانون أساسى يربط كل جسم بالاجسام من حوله ، يسميه الدكتور شاهين بالمغناطيسية وتسميه روزيتا «الحب» ، وهى تقبل الدكتور شاهين وتضغط على أحد الازرار محاولة

التقاط التغيرات المرتقبة فى المجال الكهربائىالمغناطيسى· ويدور حوار طريف بينهما · ويضحك الدكتور شاهين قائلا :

«أنت، تخرفين ياروزيتا ·· ان مجال الزوجية المغناطيسى فى جيب الزوج وفى محفظته ·· وليس للبوصلات الاكترونية دخل به ، لقد شددت المرتب من جيبى بنظرة ساحرة منذ لحظات ، على بعد أمتار وبدون لمس ، أليس يكفيك هذا دليلا على مغناطيسيتك · » (١)

ويستمر الحوار لنشعر من خلاله مدى سعادة روزيتا بزوجها الى أن تفاجأ بعبد الكريم مساعد زوجها يبوح لها بحبه نحوها فهو لا يستطيع كتمان مشاعرة أكثر من ذلك · وتعرض عنه الزوجة فلا مكان لاحد فى قلبها سوى زوجها وابنها المنتظر ، ليكتم هو مشاعرة على أمل مرتقب ·

وتحدث مفاجأة غير متوقعة فى التجربة التى كان يجريهـــا الدكتور وهى « التفتيت الموجى » عن طريق اطلاق أمواج كهرومغناطيسية · ففى أحدى الليال كان الروجان بالخارج ، وكان عبد الكريم فى المعمل فحدث انفجار ، وتبخرت ثلاث فئران من أقفاصها وشكل هذا لغزآ أمام الدكتور شاهين · ان جهازه حول الجسم الى أمواج وأطلقها فى الهواء ، كمــــا يحول جهاز التلفزيون صورة المذيع الى أمواج · ويهرع الى معمل بوليفيا ليتأكد مما وصل اليه وليتحقق من صدق تجربته · ويعاود اجــــراء التجربة ، أما « أوكومبا » رئيس اكاديمية العلوم الذى ينبهر بها فهى شىء أشبه بالسحر · ويفاجأ أيضا « أوكومبا » بأنه يريد اجراء هذه التجربة على نفسة ليتحــول الى موجة ، ويتمكن من السفر الى الكواكب البعيدة والمجرات القاصية دون أن يحمل معه طعاما ولا شرابا · وسوف يتمكن أهل الارض من مشاهدته لو ضبطت أجهزتهم التلفزيونية على موجه معينة ·

---

(١) د · مصطفى محمود : رجل تحت الصفر : ٤٤ ط بيروت سنة ١٩٧٢ ·

وهنا تهرع الزوجة اليهما بعد أن استمعت الى حديثهما راجية « أو كومبا » أن يثنيه عن عزمه ويقلع عن هذه الرحلة لانه سيدمر حياته ، ويستجيب « أوكومبا » الالحاح الزوجة ودموعها ، ويأمر باعتقاله لانه الآن مخلوق خطر، أخطر من كل الطواعين التى عرفتها البشرية

وأما الفصل الثالث فيدور فى أحد السجون ، حيث نرى الدكتور شاهين يفكر بموضوعية وبهدوء ، محاولا أقناع نفسه بالعدول عن هذه التجـربة، ولكن روح العالم تدفعه اليها دفعا وهنا يعرض عليه عبد الكريم مساعدته بغرض أن يطلعه على سرها ، ليتمكن من اجرائها بدلاً منه ، ولكنه يعرض عن فكرته شكا فى نيته ٠

ويحاول عبد الكريم استغلال هذه الفرصة السانحة ليتخلص من غريمه وينفرد بزوجته ٠ وفعلا يتمكن من مساعدته على الهروب من السجن بعد اعطاء الحراس مخدراً ، وتتذكر الدكتور شاهين فى شخصية أخرى ٠ ويتجه خلسة الى المعمل ، ويبدأ اجراء التجربة على نفسه تاركا رسالة يشرح فيها موقفه، انه يريد القيام بمحاولة لتخطى حدود الجسد والخروج من الارض ، والارتحال على شكل موجة الى فضاء السدوم والمجرات : « سوف أكون أول عين ترى باطن الشمس ، وسطح المشترى وأعماق زحل ، وسوف أكون أول من ينقاد لكم للرؤى من عالم الروح وداعا يا رفاق ، سامحينى ياروزينا والى لقاء أبدى فى عالم الظلال » ٠ واختفى تدريجيا كشبح يذوب ٠

ويعقد الفصل الرابع ، والجميع أمام التليفزيون لمشاهدة تلك الرحلة العجيبة٠ الاذان مرهفة ، والحواس مشـــحونة بالترقب ، وروزيتا تبكى بحرقة عندما تستمع الى صوته الذى يتدفق بالنشوة بعد أن عبر الحدود الى عالم آخر ليصيف مايراه فى الفضاء الكونى وانتقالاته بين الكواكب ، من كوكب ايروس ، الى جوبتر ، الى زحل ، الى تيتان ، فيماس ، انه سريع أسرع من الضوء يناقض بهذا نظرية اينشتين ٠ وتختفى صورته ، وتصاب الزوجة على اثرها بنوبة اغماء وتنقل الى المستشفى ٠

لقد انتابْ عبد الكريم الاحساس بالذنب ولكن كل شيء يهون أمام حب روزيتا ، ويعاود الكرة معها مرة أخرى ولكنها تعرض عنه • وتعود صورة دكتور شاهين وصوته مرة أخرى فهو الآن فى الحالة الابدية أو (الحالة الثالثة للمادة) انه احساس أشبه بحرية مطلقة وانعتاق كلى ، ويدخل كوكب الزهرة ويصفها بجوها البارد الذى يصل الى ٦٠ درجة تحت الصفر ، ولكن تحت غلافها الجوى أرض شديدة السخونة ، تشبه الارض حجماً وجاذبية وكثافة ثم يقترح على « أوكومبا » أن يمزق هذا الغلاف بقنبلة «النيوترون » ، ليتحول سطح الكوكب الى الجنة الاستوائية الموعودة بعد خفض درجة حرارتهـا •

وبالفعل يأمر « أوكومبا » باطلاق قنبلة « نيوترون » تجاه كوكب فينوس، ويشاهدها الدكتور شاهين وهى تسير ببطء ، انه الآن « يتسارع » مقتربا من كوكب عطارد ، ويتسارع أكثر مندفعا نحو الشمس تجذبه قوتها الهائلة « وأنا أشعر شعور العائد الى المنبع •• ومعى معاشر من آلاف مؤلفة وملايين لا تعد من الامواج عائدة فى حنين الى النور الأب » •

وهنا يودع الاصدقاء ، ويودع روزيتا ، ويشكر عبد الكريم لمساعدته التى قدمها له • ويختفى الصوت ، وتجمدت روزيتا ، وأخفى عبـد الكريم وجهه بيديه ، فقد شعر انه افتضح أمام الجميع

وأما الفصل الخامس ففيه يبدع الكاتب فى وصف أحاسيس عبد الكريم الذي ينتابه عذاب النفس والضمير ، ويطلب منه المجلس الاعلى للقوانين المثول امامه للاعتراف ، أما روزيتا فقد تاكدت تماما انه هو الذى حرمها من حبها ولن تغفر له ذلك •

ويتقدم عبد الكريم معترفا بجريمته ويختار عقوبة تتناسب مع مكافئته العلمية ، وتتناسب مع تضحية الدكتور شاهين فى ان يكون أول من يحمل بذرة الحياة الى جوبتر • وهكذا يتم تجميد جسده الى درجة الصفر الى ان يصل بعد ســتة أشهر الى المشترى فيتم اعادته الى الحياة عن طـريق التدفئة تدريجيا

وقد نجح الكاتب فى توظيف رؤيته واستشرافه للمستقبل فى قالب درامى، فقد دلت الاجهزة الأوتوماتيكية المركبة فى جسم عبد الكريم أنه مات بالفعل، ولن يبعث للحياة مرة اخرى • لقد أراد أن يحمل بذرة الحياة الى الكوكب فلم يحمل اليه سوى كفنه •

وقد نجح الكاتب فى توظيف رؤيته واستشرافه للمستقبل فى قالب درامى ، كما نجح الى أبعد حد فى رسم شخصياته وجعلها تنبض بالحياة والحركة ، وأبرز حقيقة الصراع بين نفوس البشر اينما وجدوا وفى اى زمان ومكان، وبين حقيقة صراع العالم الذى تدفعه رغبة ملحة تمكن داخله بحب العلم والمغامرة ، فاختار أن يضحى بنفسه وبزوجته فى سبيل اجرائها ، ولم يعبأ بنصائح رئيس الاكاديمية ، ولم يأذن أمام رجاء زوجته ودموعها ، لقد تسرب من وراء اسوار السجن ليقدم على اغرب تجربة بعد اكتشاف « الحالة الثانية للمادة عن طريق تحلل الجسد الى المكافىء الموجى له • وعن امكان حياة هذا المكافىء الموجى ، حياة العقل المجرد ، والارادة الحرة حيث يمكن ان يسافر الانسان بهذه الحالة الثانية للمادة عبر متاهات الفضاء ليصل الى الكواكب فى دقائق أو ثوان دون يخشى برودة أو حرارة ، ودون أن يحتاج الى غذاء أو هواء •

وأيضا اكتشافه « الحالة الثالثة للمادة » ، وهى ظاهرة التسارع التى حطم عن طـريقها كل مقولات العلم القديم ، فسرعة الضـــوء لم تعد الحد الاقصى لجميع السرع وبامكان الارادة الحرة فى صورتها الموجية أن تحقق هذا التسارع الذى يحملها عبر حافة الضوء ويتجاوز بها ســـرعته التقليدية لتتخلص نهائيا من حدود الزمان والمكان ، وتحقق بذلك انعتاقها الكلى وحريتها المطلقة ، وتبلغ اللازمان واللامكان والخلود •

وحقق نجاحه فى اثبات هذه التجربة وما كان يحلم به فى خدمة العلم والبشرية ورسالته المقدسة نحوهما •

أما عبد الكريم مساعده فيتنازعه روح الانسان عندما تتحكم فيه غرائزة ، ضاربا بكل القيم والمثل عرض الحائط فيطمع فى زوجة صديقه ، وعندما لاحت له فرصة ذهبية فى التخلص منه ، قدم له يد العون ليخلو بها وحده بالرغم من أنها لم تعبأ بمشاعره ، وتجاهلته عندما صارحها بحبه لها كان يريد أن يمتلكها ليزل كبريائها ونقائها اللذين حركا فيه شهوة امتلاكها ، وكان مصيره الاحتقار من نفسه ومنها عندما كشفه زوجها أمامها وأمام الجميع . وعندما أراد أن يتطهر ويكفر عن جريمته اختار عقوبة تتناسب مع مكانته العلمية . ومع تضحية الدكتور شاهين ليضع أول بروتو بلازمة حية على كوكب المشترى ولكنه مات قبل أن يصل الى غايته أيضا .

أما « روزيتا » فهى تحمل مشاعر نبيلة لاستاذها الدكتور شاهين ، متيمه به ، دائما شاردة فى محاضرته ، وتناقشه فى أخطر قضية معضلة - من وجة نظرها - وهى قضية «الحب» ويدور هذا الحوار بينهما :

- هل تعتقد يادكتور أن هناك عشاقا فى هذا العصر ؟

- نعم ياروزيتا .. للاسف هذا هو الشىء الوحيد الذى لم يتطور .. فقد تطورنا فى عقولنا واخلاقنا وحياتنا المدنية . ولكننا لم نتطور كثيرا فى مشاعرنا نحوكم . وهنا قالت « احمدوا لنا » (٢) .

وعندما يستمر الدكتور شاهين فى شرح نظرياته عن النجوم وتصادمها وكيف انها ستنصهر وتذوب وتتحول الى عجينة من المادة الاولية التى بدأ بها الخلق تنظر الى أستاذها بهيام وتقول فى داخلها :

« أنا التى أذوب .. وأذوب . لماذا تفكرون فى ملايين السـنين الكونية وتنسون اعماركم القصيرة . فليذهب الكون الى الجحيم مادامت فى قلوبنا ذرة حب .. لماذا لم يفكر عالم واحد من علماء الطبيعه فى ذرة الحب»

وعندما ينبهها الدكتور شاهين ويسألها عما تفكر فيه تقول :

---

(٢) رجل تحت الصفر : ٢١

- افكر فى معضلة علم الطبيعة ٠

- حقا ٠٠ اية معضلة ؟

- اننا فكرنا فى جميع الذرات ٠٠ ودرسنا خواص كل ذرة ٠٠ ماعدا ذرة واحدة مهمة جداً

- أى ذرة ؟

- ذرة الحب ؟ يضحك متسائلا :

- ذرة الحب ؟

- صدقنى انها الذرة الحقيقية التى يتألف منها الكون ؟

- على العموم فكرة لتخصص جديد يمكن أن تنفردى به ٠

- (فى هيام) صدقنى أنا متخصصه فيه جدا ٠٠ (تهريج من البنات والاولاد) ٠

وعندما يتم زواجهما تظل بتلك المشاعر وتصمد للنهاية أمام محاولات عبد الكريم - بالرغم من انشغال زوجها عنها - وعندما يقدم على تجربته تتحرق لوعه وأسى تناجيه وهو بعيد عنها تعاتبه فى حرارة ورقة وعذوبة :

« لماذا سكنت الشمس ياحبيبى ، وقلبى أكثر اتساعا لك ، وأكثر ضوءا، وأكثر حنوا عليك من الشمس ٠٠ لماذا لم تدرك بعلمك العظيم أن مجال المحبة أقوى من مجال أى مغنطيس ٠٠ واقوى من مجال أى نجم وأى كوكب ؟ ٠٠» ٠

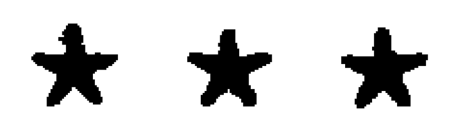
وتهمس فى الغروب قائلة :

أيها النور الاب ٠٠ متى تأخذننى اليك ؟ أريد أن القاه لأحادثه وأهمس فى أذنه ٠٠ فان هذا العالم العظيم مكتشف الحقيقة ، لم يكتشف أنوار قلب امرأة كانت تعيش بجواره ٠

وعندما يتحرك جنينها فى أحشائها تناجية مناجاة تحمل وجة نظرها فى الحياة وفى الكون تقول :

« ياسيد الكل ·· ياساكن الغيب ·· ياساكن ظلمة المستقبل ، متى تخرج لتقول لهم أن ينظروا لحظة داخل نفوسهم بدلا من أن يوجهوا مناظيرهم الى متاهات الفضاء ·· تقول لهم ، انه من الداخل يخـرج كل شىء · من الداخل خرجت انا ·· وربما ايضـــا خـرج ذلك الكون العظيم الذى أفقدكم العقل ·· » (٣) ·

وقد استطاع الكاتب أن يرسم لنا بانورآما للفضاء عارضا لبعض خواص الكواكب وأنسبها لسكنى الانسان ، مقربا الى اذهاننا بعض المعلومات العلمية الدقيقة فى قالب درامى · والامر الذى يثبت أننا بحاجة ملحة الى هذا اللون من الفن الذى يستطيع الكاتب من خلاله أن يوصل المعلومة العلمية الى أذهان القراء · فى ذلك القالب الفنى الممتع · أما نظرياته التى توصل اليها مثل « الحالة الثانية للمادة » ، و « الحالة الثالثة » فهذا ما سوف نتركه للزمن، ربما تحقق هذا على أيدى العلماء فى الازمنة القادمة ·



وتجلى أيضا الدكتور مصطفى محمود فى رواية أخرى أطلق عليهــا « العنكبوت » ، رأينا فيها ملامح الطبيب الفنان ، الطبيب الذى يقدم لنا حالة مرضية غريبة يعرض من خــلالها لمعجزة المخ البشرى ، متناولا الجـــزء الصنوبرى الذى يعتبر قطعة زائدة فى المخ بلا وظيفة معروفة وكان يعتقد فى الماضى أنه مركز الاتصالات الروحية ، وقد كان اعتقادا خرافيا رافضه العلماء ·

---

(٣) السابق ص ١١٣ وما بعدها ·

تجول بنا فى ثنايا هذا الجزء العجيب ، ونقف أمام حقية الاسرار ومفتاح الرؤى السحرية ـ كما يقول ـ دارسا ومتعمقا ، معتمدا على الملاحظة الملاحظة والادلة والبراهين ٠

وهو بذلك يوصل الينا أثر التقدم التكنولوجي والتقدم فى أجهزة الكشف عن أمراض المخ ٠ ثم يطلعنا على معجزة اكتشاف جديد ، هو امكان القيام برحلة فى الزمن الماضى ، عن طريق حقن الجزء الصنوبرى فى المخ بسوائل منشطة بجانب تعرضه لاشعاع معين فيمكنه التقاط الصور والاصوات التى مرت بها البشرية منذ الآلاف السنين ، وبذلك يمكن للانسان أن يحيا حياة فى عدة صور متباينة ٠ كل ذلك فى رواية مثيرة ذات حبكة متقنة ، اعتمدت كثيرا على المصادفات ، وقد وضعنا الكاتب منذ اللحظة الاولى أمام رموز وعلامات استفهام كبيرة وخطوط متشابكة شدت انتباهنا ؤ وتشوقنا لمعرفة الحل فى نهاية الامر لنراه اكثر اثارة ٠

والرواية فى اطارها العام ، مذكرة كتبها أحد الاطباء المشهورين فى جراحة المخ والاعصاب هو الدكتور م داود الحاصل على الدكتوراة من جامعة برلين ، وقد بلغ الستين من عمره ٠ وسطر هذه الاوراق بسرعة عندما شعر بدنو أجله ليفضى بسر رهيب ظل يحمله بين جنبيه طوال ست سنوات ، لعل البشرية تنتفع به فيما بعد

فقد حضر اليه شاب نحيل ، مرسول من أحد الاطباء للكشف عليه للاشتباه فى ورم بالمخ ، وبالكشف الدقيق عليه طمأنه الطبيب ، بأن كل شيء يبدو طبيعيا ، ودون الطبيب عدة ملاحظات عنه : اسمه : راغب دميان ، مهندس كهرباء ، يعمل فى وحدة أبحاث الراديوم فى القصر العينى ، خاطبه ، وفى طريقه الى الزواج ، مسكنه : ١٥ ش ابن الوليد بحدائق القبة ٠

وعندما طلب الطبيب منه وصف أول حالة صداع المت به اخذته غيبوبة بعد لحظات من حديثه ، وراح يتنفس بحشرجة ٠ وقد اتسعت حدقتاه وشرع

يتكلم بلغة أسبانية سليمة عن صديق اسمه « دون سباستيان كاميللو » مصارع في حلبة ثيران · مشهد غريب أذهل الطبيب ، وعندما أفاق يعرف منه أنه لم يتعلم الاسبانية ، ومنذ تلك اللحظة اصبحت حالة راغب دميان شغل الطبيب الشاغل ، فهي حالة غامضة لم ير مثلها من قبل ليست هي حالة صداع ولا حالة ورم فما تفسيرها اذن ؟

عشرات الاسئلة تلح عليه · ماسر هذه النوبة ؟ ما حقيقة هذه الاصوات ؟ « ن الاصوات ·· جميع الاصوات في هذا الكون لا تفنى ، وكل الوان الطاقة يتحول الواحد منها الى الاخر ولكنها لا تفنى · الكهرباء تتحول الى حركة والحركة الى حرارة ، والحراة الى ضوء ، والكبريت ، حينما يحترق ويختفى هو في الحقيقة لا يختفى ولكنه يتحول الى غازات ونار وأبخرة كل شيء باق لا شيء يضيع في هذه الدنيا ·· وانما قد يتحول ويتبعثر ويتشتت »

ويتوصل الى أحد الاحتمالات ، « قد يكون في مخ ذلك المريض العجيب راغب دميان توليفه عصبيه · خاصية تمكنه من جمع هذه الاصوات ، كما يجمع الراديو الامواج اللاسلكية من الهواء ويعيد نطقها » (٤)

ويكشف الرسم الكهربائي للمخ الذبذبة العالية غير الطبيعية ، وتبلغ قوتها ٩٠ ميكروفلت كما يكتشف أن عظام جمجمته ارق من عظام أي جمجمة اخرى وعلى ذلك فحجم المخ أكبر من أي مخ آخـر ·

تأخر دميان عن موعده ، وهنا يقرر الطبيب الذهاب اليه في عنوانه ، ليضعنا المؤلف في مواقف اكثر غموضا ، فهو الآن أمام جريمة قتل للخطيبة في شقته أو « حالة وفاة طبيعية نتيجة فزع فجائى ، توقف له القلب وشلت الاعصاب » حسب تقرير الطبيب الشرعي ·

دفعه فضوله للذهاب الى مقبرة الخطيبة بعد أن راودته فكرة أن ماحدث في مخ راغب دميان قد يكون حدث في مخ الفتاة · ليكتشف أيضا لغزا آخر

---

(٤) رواية العنكبوت ١٧ ط بيروت ·

وهو أن الجثة بلا رأس سبقه اليها راغب دميان · وقد عرف الطبيب من قبل اثناء تجوله فى منزل دميان انه عبارة عن معمل مجهز بأحدث الميكروسكوبات ومحول كهرباء وأنابيب اختبار ، وقد وضع تحت الميكروسـكوب شريحة لنسيج حى من المخ أخذها مع احدى منكراته ، ليكون التساؤل : ما علاقة راغب دميان بكل هذه البحوث المتشعبة فى الكمياء والتشريح والباثولوجى وهو مهندس كهرباء فى وحدة أبحاث الراديوم ·

وعن طريق احدى الصحف القديمة اكتشف _ بالصدفة ايضا خبرا يحكى عن سرقة عشر ابر راديوم من وحدة الابحاث وقد أبلغ عن الحادث راغب دميان وعلى هذا فكر فى شراء عداد جيجر وعن طريقة يكتشف مكان دميان · وتمكن من دخول فيلته بطريقة تحفها المغامرة والمخاطرة ، وفى معمله وجد مخ الفتاة وعدة امخاخ مقطوعة طوليا ومنزوعة الجسم الصنيورى · وعن طريق مذكرة قرأ بعض ملاحظاته ، وتبين من كلماتها أنها تدور حول اكتشاف سر الحياة ، وسر التفاعلات الكهربائية الكيميائية فى الخلية العصبية· ثم رآه يدخل ومعه شخص اخر أجلسه تحت جهاز كبير وسلط على رأسه اشعته ، بعد حقنه بسائل أزرق مدعيا عـلاجه من الصلع ، يتابـع هذا المشهد وهو مختبىء ، وكان عليه أن يفعل شيئا لانقاذ الرجل فقطـع التيار الكهربى ·

وبعد فترة رأى دميان يحقن نفسه بالسـائل الازرق ، ويجلس تحت الجهاز ، فتنتابه حالة تشنج يتكلم بعدها باللغة الاسبانية ، وكانت المحادثة هذه المرة بين اثنين أولهما «سباستيان كاميللو»،وثانيهما « دون فارجا »، وكانا أسيرين فى الحرب الاهلية الاسبانية ، والحديث كان مجرد ماض بعث على لسان دميان ، الذى كان أشبه بوسيط عن طريق هذا الجسم الصنوبرى ، الذى استطاع دميان أن ينبهه بقذائف الاشعاع وبالمادة الكيميائية ، التى يحقنها فى الدم ، فاذا به يتحول الى حاسة مرهفة ·· عين داخلية ترى وتسمع من خلال الماضى · انه أمر يثير العجب حقا ! ·

ومرة أخرى يدخل خلسة ويشاهده وهو ينزع قطعة هلامية بيضاء من

غدة لعابية لعنكبوت ضخم ويضعها فى أنبوبة اختبار ، ويضيف اليها عدة محاليل ليخرج فى النهاية بعده سنتيمترات من سائل أصفر ، هادفا من وراء تجارية تلك ، الحصول على المادة الباعثة للحياة • والنماء والنشاط •

وفى نهاية الرواية يجد نفسه فجأة أمام راغب دميان وجها لوجه وهو فى حالة أشبه بالغيبوبة أو حالة احتضار ، ويحاول الدكتور شاهين معرفة سر تركيب الاكسير ولكنه يموت ومعه سره •

وهنا تسيطر على الطبيب فكرة معرفة ماذا حدث بداخل مخ دميان ، الذى أصبح يرى الماضى ويخترق حجب الزمن • وبضربة مشرط انتزاع الجزء الصنبورى ليجده ثلاثة أضعاف حجمة ، وأن خـلاياه فى حالة انتفاضة ونشاط • وأراد أن يتذوق التجربة بنفسه ليعيش مليون سنه كمـــا قال له ، وهنا يحقن نفسه ويجلس تحت الجهاز ليستولى عليه فزع « وكأنما قد فتح ستار فاذا عـالم مخيف •• تيه تضل فيه الحواس » ، عالم غريب ، ثم أصبح مألوفا لديه ليعيش بعده شخصيات وأسماء خلال حقب التاريخ • ثم يعود بعدها الى الواقع بعد توقف الجهاز ، وتملكته رغبة قويه قاهرة فى معاودة التجربة مرة اخرى فقد ادمنها •

وعندما عاد الى عالمه ولاحظ تحلل بقية المحـــلول السحرى ــ جـن جنونه حيث لم يعد يؤثر فى المخ،ان العودة الى العالم المسحور غدت مستحيلة• وهنا يحقن نفسه بالباقى منه ويموت فى النهاية ويشعل المعمل ، ويعثر البوليس على مذكراته تلك •

ويلاحظ أن الشكل الذى اختاره الكاتب قد نجح فى أحتواء تلك التجربة العلمية الانسانية ، بخصوبتها واتساعها من ناحية وتعقدها من ناحية أخرى ، واتخذ ذلك النسق الدائرى الذى يبدأ بلحظة الازمة وينتهى عندها مركزا على شخصيتين رأيسيتين هما شخصية الطبيب وشخصية راغب دميان المريض ، واضعا القارىء فى قلب الحدث مباشرة والذى غلفه بالغموض والالغاز ووضع بين يدينا من المسببات التى شكلت الأزمة وعقدت مساراتها • ثم بدأ يكشف عنها لحظة بلحظة •

وابرز الكاتب الصراع والذى يتمثل فى التضاد بين شخصيتين متعارضتين هما الطبيب والمريض · الطبيب الذى عرض عليه حالة مرضية لأحد المرضى، وكانت من الحالات النادرة التى مرت بالطبيب فى حياته العملية ، فالمريض تنتابه نوبات ينطق بعدها بلغة أسبانية ويتمثل بشخصيات وجدت فعلا فى الماضى · يحار الطبيب فى أمر هذه الحالة · وأراد أن يكشف أمرها ، وحاول أن يتتبعها فيذهب الى منزله المريض ليفاجأ بجريمة قتل خطيبته ، ويعرف أن المريض له اهتمام كبير بالمخ وبخاصة الجزء وصنوبرى منه · يندفع بفضوله للبحث عن دميان الذى ذهب ومعه رأس فتاته ، وأخيرا يهتدى الى مكانه ويتبين حقيقة عملياته واكتشافه سرا من أسرار المخ البشرى بعد اختراعه اكسيرا معينا · ويدور هذا الحوار بينهما ·

« انا عندى اكسير من يأخذه يعيش مليون سنه ·· يعيش الماضى الذى مات ·· ويقلب صفحات كتاب الدنيا كله ، أن المخ شىء عجيب ·· هل تريد أن تقلب أوراقك ؟ هل تريد أن تعيش تاريخ كل الازمان ·· ؟

ويدافع المريض عن نفسه أمام الطبيب قائلا · « انا لم اقتل أحدا ·· أقول لكم انا لم أقتل أحدا ·· أنا وهبت كل واحد مليون سنة ·· مليون سنة ·· القتيل الحقيقى هو انا » (٥) ·

وأراد الطبيب أن يعرف سر الأكسير ولكن المريض يموت ومعه سره · وتملكت الطبيب رغبة عارمة فى معايشة التجربة بنفسه وينجح فى البداية فيعيش بعده شخصيات وأسماء مختلفة ، ويدمن هذه التجربة ويعاود حقن نفسه بباقى المحلول الذى فسد ، فيموت فى النهاية تاركا مذكراته ·

أما المريض « راغب دميان » فيموت صريعا نتيجة لجرية وراء أبحاثه ، فمن سرق « ابر » الراديوم من وحدة الابحاث ، ـ وهذه «الابر» هى التى كشفت مكانه فيما بعد ـ ومن أجلها قتل خطيبته وقطع

---

(٥) السابق ٩٣ ·

رأسها ليجرى عليها تجارية ومن أجلها يخدع العوام من الناس ويوهمهم أنه يخدم البشرية باضافة سنوات كثيرة الى عمرهم ومعترفا أنه لم يقتل أحدا بل « القتيل الحقيقى هـو أنا » ويموت بعـد ذلك ومعـه سـر تركيب اكسير الحياة ·

اهتم الكاتب بدقة الوصف ، وصف حالة مريضه ، وصف الاجهزة وطريقة استخدامها · كذلك اهتم بعنصرى المكان والزمان والحوار الذى أوضح لنا سمات كل منهما ·

والكاتب هنا يحلم بتطور فى جراحات المخ بحيث يضاعف من قدرته بعد اكتشافه سرا من اسراره ، فيصبح بامكان الفرد أن يعيش أكثر من حياة ، وأن يحوز فى عمر واحد خبرات وأعمار الاخرين · والفكرة جديرة بالتأمل ، فلماذا يحصر الانسان نفسه فى حياة واحدة ؟لماذا لا نعيش كل يوم حياة جديدة وفقا لرغبتنا ؟· وقد توغل كتاب الخيال العلمى فى هذا المجال وعلى رأسهم أرثر كلارك·وهناك من حاول من العلماء توحيد نصفى المخ والربط بينهما بحيث تتضاعف قدرات الانسان على التفكير والتذكر،وفى نفس الوقت يتضاعف محيطه الروحى والنفسى ، وقد أجريت بالفعل مثل هذه العملية على القرود ، دون الوصول الى نتائج إيجابية ، وهذا بعد أن أورد هذه الفكرة الكاتب « جون كامبل » بنحو ثلاثين سنة · وأحلام الانسان حول اثر العقاقير بجانب الاجهزة الالكترونية على المخ لاتنتهى فحلم بالوصول الى عقار يوقف الاحساس بالالم، والعالم « لابورى » نجح فى العديد من المركبات الكيميائية الصالحة للتأثير بأشـكال خاصة على المخ البشرى ، بعد أن توصل الى دواء يعمل تهدئة المصابين بخلل عقلى يدفعهم الى العدوانية (٦) ·

وعلى هذا فقد أسهم الدكتور مصطفى محمود فى هذا الميدان بروايته « العنكبوت » ، وبروايته السابقة « رجل تحت الصفر »وكان على مستوى جيد من الاداء الفنى وبالرغم من كل هذا فقد توقف عن كتابه هـذا اللون من القصص واتجه الى كتابه أنواع أخرى ، مع ان هذا النوع من القصص يتناسب مع تخصصه وفنه ·

---

(٦) أنظر احلام اليوم حقائق الغد ٦١ وما بعدها ·

(٢)

أما الكاتب نهاد شريف فله رواية بعنوان « سكان العالم الثانى » والتى كتبها سنة ١٩٧٧ ، وهى تدور حول حلم البشرية فى استغلال قيعان البحار والمحيطات لحل مشاكل الغذاء والمياه والسكن ٠

ويقسمها الكاتب الى أربعة أقسام : الاول بعنوان برقيات لا سلكية شاردة والثانى بعنوان مدينة القاع ، والثالث بعنوان مع الانسان لا ضده والرابع بعنوان رسائل خمسة بعضها معطر ٠

والرواية تبدأ بعرض عدد من الاماكن المختلفة على سطح الكرة الارضية. يتلقى سكانها برقيات غامضة بمختلف اللغات فى يوم واحد تقريبا ، وهو يوم ٢٩ – ١٩٩٩٥ ، وكانت البرقيات موجهة الى « قادة الاساطيل الحربية الثلاث – الامريكى والسوفيتى والصينى – بأعلى البحار للعلم ٠٠ وحتى لا تتم الضربة مفاجأة وانما لتأخذوا فى الحسبان ابعاد العنصر البشرى منعا للضحايا ٠٠ ففى تمام الساعة ١٢ ظهرا ٠٠ وبالتوقيت المحلى لجرينتش من يوم ٣١ – ١٩٩٩٥ سوف تنسف اكبر قطعة بحرية لكل أسطول من الاساطيل الثلاث أينما كانت بهدف اغراقها حتى تختفى كلية تحت لجة البحر الذى يبتلع كل لقمة سائغة دون ماشفقه أو رحمة »(٧) ٠

وهنا تحدث ردود فعل مختلفة ، وتتوالى الاتهامات من جانب كل دولة ، يقلق البعض ، واعتبرها البعض الاخر مجرد دعابة ثقيلة ٠

ولكن تحدث المفاجأة ، ففى الموعد المحدد تسلط حرارة بالغة السطوة على كل من فى جوف الحاملات لاهم قطع أسطول كل دولة من الدول الثلاث الكبرى ، ففى الحاملة الامريكية « لم يحدث انفجار ولم يشتعل حروق وبين نظرات الهلع والذهول أخذت المياه الفائرة تبتلع جسم الحاملة بنهم وشراهة.

---

(٧) سكان العالم الثاني ٢٣ (مطبعة الأمانة سنة ١٩٧٧) ٠

وقد تركت آلاف الابدان دون احداث البشرية التى أحرقت الحرارة المخيفة جلودها بدرجات متفاوتة بدون احداث وفيات وخلفت وراءها أكواما من الحطام والعدد وقطع الاثاث والملابس » (٨) ٠

والشيء نفسه حدث لاهم قطع الاتحاد السوفيتى البحرية (الطـــراد النووى او المارد » وأيضا درة الاسطول الصينى حاملة الطائرات الدووية « درع الجنوب » ٠

وسارت فى انحاء العالم تكهنات واتهامات عن وجود قوة رابعة ، ترى من مصلحتها اشعال حرب نووية بين القوى الثلاث العظمى ، للسيطرة على الكرة الارضية ، ويظن أنهم من كوكب المريخ ، وسكانه هم الذين يرتقبون أهل الارض ويوجهون أسلحتهم التى لا قبل لانسان أرضى بها ٠ ووجه فلكيو العالم مراصدهم تجاه الكوكب الاحمر ، وجاءت التقارير تثبت خلو المريخ من أى أثر للحياة ٠

ثم وصلت برقية جديدة مجهولة المصدر الى سكرتارية المنظمة الدولية بنيورك ، تعلن عن السماح باستقبال ممثلين عن دول الحياد الثلاث مصر والهند ويوغسلافيا للذهاب الى المقر السرى لهم ، ولمعرفة كل شيء بوضوح ثم يعودون ويقدمون تقريراً متصلا بكل مشاهداتهم وانطباعاتهم وآرائهم ٠

ويقع الاختيار على الدكتور « شادى الصادق » الطبيب ، المفكر والصحفى ٠ واختارت الهند ممثلا من كبار شعرائها وحكمائها وهو « راجى كوما » ، أما ممثل يوغوسلافيا فهو مهندس من خيرة علماء الذره وهو « يوسيب يوفان » أو يوسف كما اطلقوا عليه فيما بعد ـ وحملتهم غواصة ذاتية الحركة ليقوموا بأعجب رحلة تاريخية الى مدينة القاع ٠

وفى القسم الثانى من الرواية يحملنا نهاد شريف بخياله الخصب وفكره المتجدد ، مع ممثلى دول عدم الانحياز الثلاث الى مدينة القاع لنتعرف على

---

(٨) الســـابق ٣٥ ٠

سكانها ، ومدى تقدمهم عن طريق المشاهدة والحوار والاستفسارات والوصف الدقيق لمعالم هذه المدينة فنعــرف أنهم مجموعة من العلماء الشــبان من مختلف التخصصات والجنسيات ممن يعانون المرارة والاسى لعجزهم عن تحقيق مثلهم العليا ، فهم يرفضون الاوضاع السائدة على كوكب الارض · ومن أجل هذا فقد تفاهموا وقرروا الاختفاء عام ١٩٧٩ ، كى يقوموا بانشاء المدينة النموذجية أسفل المحيط مستغلين تقدمهم وتفوقهم العلمى ، لتكون مدينة فاضلة أسفل أعماق البحار ، مستخدمين شتى الوسائل للحفاظ عليها من العنف ، وفى حالة فشلهم - بالرغم من كل الاحتياطات - فســيعجلون بتفجير كوكب الارض ما دامت هذه هى نهايتهم المرتقبة ·

وجاء هذا القرار عقب مؤتمر دولى للعلم فى خدمة الانسان عام ١٩٧٩ حيث بحثوا فيه مصير الانسان فى ظل تلوث البيئة ، والسباق نحو التسلح ، والحروب ، وازدياد السكان ، وقلة الموارد · وكانت تثار عدة اسئلة : منها ، لماذا جيلنا بالذات ؟ لماذا كتب عليه أن يطول أساه وأن يعرف الحساسية والتوتر والقلق والارق وضعف المناعة الجسدية ، وآلية الحياه ، والتفــكك الاسرى وانفصال الانسان عن تراثه وجنون الضوضاء ؟

واختبأ العلماء فى مكان ســرى لتهيئتهم للعمل لخدمة الانســان واسعاده ، وعندما لجأوا الى قاع البحر - ليظهروا بعد عشرين عاما - كشفوا كنوزه من التى احتوت على كل معادن الكرة الارضية ·

ويقدم لنا نهاد شريف الجهاز السياسى الذى يحكم مدينة القاع ، ففى القمة مجلس الحكماء ، ويتكون من أربعة أفراد يتم اختيارهم بالانتخاب ، ليحكموا أربع سنوات ، ويتولى أحدهم رياسة المجلس فى كل سنة منها · ثم المجلس الاستشارى وعدد أعضائه ثلاثون ، يتم اختيارهم بالانتخاب ، ثم اللجان التنفيذية ، والفنية ، والقوانين المطبقة ماخوذه من مصدرين القانون الفرنسى وأحكام شريعة الدين الاسلامى (٩)

---

(٩) السابق ١٤٥ ·

ويبدع الكاتب في وصف المدينة منذ انشائها والظروف التي مرت ، وكيف تغلب هؤلاء الشبان على المشاكل التي اعترضتهم ، مثل مشكلة المياه العذبة، وذلك عن طريق جلب كل الجليد من القطبيين وتخزينها ، حتى قاموا بتصميم محطة يديرها مفاعل نووى لاعذاب المياه المالحة · وتغلبوا على عدة مشاكل أخرى مثل الطعام ، والدواء ، والعزلة عن العالم ، وافتقاد أشـــعة الشمس واخفاء كل اثر يرشد اليهم ، وتحصين مدينتهم باكتشاف الجـدار الموجى حاجب كافة الاصوات والاشعاعات ، وجذب مجموعة أخرى من العلماء عن طريق نشر الدعوة سرا · واكتشاف مادة من مزيج المدائن والزجاجيات لها قدرة مزهلة على مقاومة الماء ، وهي شديدة الصلابة وفي نفس الوقت طيعة التشكيل واطلقوا على هذه المادة « مادة الغد » ، ومنها شيدت معظم منشآت المدينة والتي شـــيد اكثرها بواسطة الآليون للمحافظة على البشر وازدياد رفاهيتهم · وقد تطورت صناعة الانسان الآلي تطورا مزهلا بعد اضـــافة حاستي البصر والسمع ، واصبح في مقدرهم التصرف على نطاق ضيق فيما يصدر اليهم من تعليمات ·

ويدور حوار بين شادى وبين المهندس رقم سبعه (٧٠) عن توقعات المستقبل والخوف من سيطرة الجنس الالي على صانعيه ، ويطمئنه المهندس قائلا : « انه خوف ليس له مايبرره علميا فالاليون سيظلون والى الابد محرومون من وقدة التفكير والتصرف المطلق · ثم أين هي قدرتهم الزاتية على التكاثر ؟ نها في يد الانسان الذى يوجد هم أو يدمرهم حسب هواه أو حاجته » (١٠)·

ثم ماذا بعد تعمير قاع المحيط ، لا مفر من أن يعمر الفضاء أيضا ان آجلا أو عاجلا · وهنا تجتاح مخيلة راجى برؤى مبهرة ساحرة « شاهد من خلالها مجالات الارض الثلاثة ، وقد عمرت كلها بنمازج متباينه من البشر ، ولا أدرى كيف شابت قامات الناس بعض التغيرات باختلاف مجال عن آخر ·· فتحت البحر نبتت لهم زعانف بدل الاطراف ·· وفي الاجواء العليا ظهرت

---

(١٠) السـابق ١٣١ ·

لهم أجنحة » أما على سطح الارض فقد ظللوا على حالهم وان اتضحت لهم ذيول قصيرة مريبة » (١١)

ويمر راجى مندوب الهند بازمة صحية ويثبت الكشف الطبى وجود أربع حصوات من أملاح الاوكزيلات تشغل اكثر من نصف كليته اليمنى . وتكون الفرصة مهيأة للكاتب ، ليستعرض مدى تفوقهم فى مجال الطب وتقدمهم فى العلاج فكل شىء يقاس بالآت دقيقة . أما الجراحات وعمليات العلاج فتتم بأشعة الليزر ، وتساعد فى توجيهها أجهزة مراقبة تلفزيونية يتحكم فيها حاسب الكترونى مهول . وأيضا نجاحهم فى القضاء على الامراض ، مثل السرطان وامراض الحضارة كالحساسية والارق النفسى والاعياء والشيخوخة . وكلها تهدف الى تخليص الجسد الانسانى من كل الامراض واكساب الجسم مناعة كاملة فى المستقبل .

وعقدت مناقشة بين شادى يوسف مع كبير الحكماء حول موضوع البحر بالنسبة للبشر ، هل هو مصدر خير أم مصدر شر وخطر ووبيل ؟ ودارت مناقشات ووجهات نظر وتصورات مبهرة ليقام حضارة للانسان فى قاع البحر أو ما يسمى بالفضاء الداخلى ، حضارة بحرية تخالف فى مقوماتها ومظاهرها ماعرف عن كل الحضارات الانسانية السابقة . ووسط هذه المناقشات جاء خبر عن راجى ينزل الحصوات من كليتيه وأنه استيقظ من سباته الطويل وقد شفى تماما .

ويقوم شادى ورفيقته « ماهيتاب » فى يوم بزيارة مبنى حضانة أطفال قاع البحر ، وهى معدة اعدادا جيدا من أجل ١٨ طفلا لم يروا مايعلو سطح الغلاف المائى قط .

وفى اثناء الزيارة يقع زلزال يهز مدينة القاع وتنشأ عنه أضرار يسيرة ، وتظهر جزيرة صغيرة تبعد عن مدينة القاع بحوالى تسعه أميال ونصف ، ويستقل شادى وماهيتاب غواصة لزيارة الجزيرة الوليدة . وهنالكتمكنا من

(١١) السـابق : ١٥١ .

الطيران بواسطة « جهاز الحمالة النفاثة » وبينما كان شادى يحلق طليقا فى اتجاه الجزيرة تخيل انسان الغد الذى سيتمتع بتحرره الكامل من معوقات الجاذبية « انسان الغد هو طائر جناحاه العلم ودفته الفكر ومساره الطموح ، أما مجال انطلاقة ٠٠ تألقه وبزوغة ٠٠ فلا يعلم مداه سوى خالقه » (١٢) ٠

وحدد يوم ٥ يوليو عام ١٩٩٩ فجرا لعودة الأقطاب الثلاثة ، فقاموا بوداعهم بعد تسلمهم رسالة موجه الى المجتمع الدولى تحمل مطالبهم ووجهات نظرهم وان يوقفوا الفناء بعضهم البعض ويعملوا على مجابهة مشاكلهم المصيرية

وهكذا ينتهى هذا الجزء من الرواية والتى تعمد مؤلفها أن يكتبها على شكل مذكرات يدونها شادى ويصف من خلالها رحلته الى مدينة القاع ، وبدا من خلالها أيضا أن كل أبطال الرواية جذبهم عالم ما تحت البحر ، وقد حكى تفاصيل كثيرة ومخلوقات وكائنات تعيش هناك ٠ ومثل هذه الرحلة أشار اليها المسعودى فى كتابه (مروج الذهب) وكان بطلها الاسكندر الاكبر (١٣)٠

أما الجزء الاخير من الرواية فكتب على هيئة رســـائل متبادلة بين شادى الذى عاد الى سطح الارض بعد رحلته المثيرة ، ومرافقته ماهيتاب التى ربط الحب بينهما ، وذلك عن طريق رسول من مدينة القاع ، كان يتردد على القاهرة من وقت الى آخر ٠٠ ومن خلال هذه الرسائل حكى لها عن رحلة العودة الى نيويورك ، حيث قدموا تقريرا على رحلتهم وحاصرتهم الاسئلة والاستفسارات ٠ ثم قامت لجنة دولية عالية بفض الرسالة التى حملوها ، ونشرها من خلال اذاعات العالم ٠ وقد نصت على مطالب مدينة القاع على عقد معاهدة سلام عالمية ، تلتزم بها دول الارض كافة ،مع فرض عقوبات رادعة لمن يخترقها ٠ وأيضا العمل على اتلاف المخزون من القنابل والاقتصار على

---

(١٢) السابق ١٠٦ ٠

(١٣) انظر ص ٤

استخدام الذرة فى مجالات السلم فقط · ثم استخدام عقار الحب على النطاق العالمى اجباريا ، بحيث يتناول الاطفال جرعات منه منذ عامهم الاول الى سن ١٤ سنة كما نصت المعاهدة على السماح لعلماء مدينة القاع بنقل بعض مظاهر حضارتهم على دفعات الى منطقة غرب استراليا ، لتحـــويل المنطقة الصحرواية الى نموذج واقعى لانجازات الجماعة المخلصة ·

وتعترض بعض الدول على مطالب الجماعة ، وتكون النتيجة انذارا بتوجيه احدى القنابل المدارية الامريكية التى تلف السماء ، بعد السيطرة عليها بحيث تصيب وادى الموت ، وهو منطقة فى صحراء موجافى الامريكية بشبه جزيرة كاليفورنيا فتمحوه ، واهل مدينة القاع لا يملكون أسلحة تدميرية ولكنهم يغيرون اتجاه الاسلحة التدميرية الى من انتجها · وعندما تم تنفيذ تهديدهم عاد مجلس الامن الى الاجتماع ووافق على مطالبهم كلها ·

وتتبادل « ماهيتاب » وشادى الرسائل وتبث فيها حنينها وشوقها اليه . وتعترف له بقلقها ومخاوفها وشكوكها من الغدر أو الانتقام ، وهل ستنفذ بنود الاتفاقية بكل أمانة ؟ وتطمئنها عالمة معها بأن المخزون بترسانات السلاح فى هبوط مستمر كما تقول الأجهزة الالكترونية ذات الحساسية المذهلة · ومن ثم تقدم لشادى صورة العالم وهو ينعم فى ظل السلام : « ستكون الصورة – فى تقديرى – على ربوع كوكبنا فيها العرق وفيها الاشراق ·· سوف ينفض ابن آدم عنه آلامه المبرحة ·· سيتوقف نزيف دمه ·· وتلتئم جراحة ، وتهدأ فى النهاية روحه البائســـــة » (١٤)

ويحدثها شادى بتفاؤل عن مشروعاته فى مصر فى نهاية القرن العشرين – وهى أيضا حلم الكاتب الذى طالما تحدث عنه فى كتاباته عن مصر العلمية المتحضرة ـ ســتكون مصر ثالث دولة فى انتـــاج البترول ·· وان مشروع منخفض القطارة سيكون قد تم انجازه ، وتتقدم الوسائل المسموعة والمرئية·

---

(١٤) الســـابق : ١٥٤ ·

وفى النهاية يحدث المحظور ، ويقع سكان المدينة الفاضلة ضحية غدر لقوى الشر ، نفذته نفاثات مجهولة الهوية ، على مكان تجمع سكان مدينة القاع ، الذين توجهوا الى صحراء استراليا ، وعلى غواصاتهم التى كانت تنقل آخر افواجهم ، ولم ينج منهم الا ستة أشخاص من بينهم « ماهيتاب » وكبير الحكماء وأربعة آخرون كانوا على ظهر جزء من غواصة تنفصل الى ثلاثة أجزاء فى حالة الخطر ، ومن حسن الحظ أنهم كانوا فى الجزء الذى لم يصب بسوء ·

ويجزع شادى لتلك النهاية التى كانت أقسى عليه من طعنات الخناجر — كما يقول — ·وحتى بائعو الصحف كانوا يرددون « واخيرا ·· قد قضى على الوباء » ويطرح بعد ذلك عدة تساؤلات ، هل سيظل الغدر سمه الانسان ؟ هل كتب على البشر أن ينساقوا وراء أطماعهم ؟ هل فى أعماق ابن آدم مغناطيسية تشده دائما الى مافيه هلاكه ·· تدميره ·· محوه من الوجود ؟ ·

والكاتب لا يتركنا مع هذه النهاية المتشائمة ، ولكنه يضع لنا بصيصا من الامل والتفاؤل « طالما بقى سر مدينة القاع مغلقا مجهولا ، وطالما وجد أناس يتخذون من العلم والضمير الحى أقوى سلاح لهم ·· ولن يكرروا خطأ وقعوا فيه حتى عن حسن نيه » (١٥) ·

تلك كانت رواية نهاد شريف بخطوطها العريضة ، وهى رواية قوية الحبكة لا افتعال فيها ، مرتبة حوادثها ترتيبا زمنيا بحيث تثير ، جمع فيها بين دقة العالم وأناقة الفنان وشفافيته وقد نجح فى المصالحة بين العلم والفن ولم يشعرنا بجفاف المادة العلمية بالرغم من كثرتها ، اليها بأسلوب تقريرى ، وبخاصة عند حديثه عن القضايا المصيرية للانسان ·

وقد شد معه انتباه القارىء منذ السطور الاولى لروايته ، التى بدأها بداية غامضة · وقد شكلهـــا على هيئة مذكرات ورســـائل متبادلة محدد الزمان والمكان ، الذى دارت فيه الاحداث ، سواء أكانت على سطح الارض

---

(١٥) السـابق : ١٩١ · ذ

أم فى قاع البحر . وبرؤية « طوباوية » يتقدم الكاتب الى عالم المحيط ، ويجرى معه حوارا علميا وخياليا فى آن واحد ، استجابة للتحدى الحضارى بعد أن أصبح التقدم العلمى أكبر تحد لواقعنا المعاصر ، وبخاصة فى بلدان العالم الثالث . ويقيم الكاتب أسس الصراع الدرامى داخل الرواية كلها القائمة على التنبؤ وعلى ما يمكن أن يحدث للانسان وللعالم خلال السنوات القادمة . فهناك « صراع » على مستوى دول العالم الكبرى الثلاثة « وتسابق » على أسلحة الفتك والدمار ، وهناك صراع على المستوى الفردى لدى بعض الافراد الذين انسحبوا من العالم الخارجى بأرادتهم بعد أن صدموا بالواقـــع المعاش ، قادمين من بلاد مختلفة من أجل تحقيق فكرة السلام العالمى الذى لم يدم سوى فترة قصيرة .

ثم ينشب بعد ذلك الصراع بين هؤلاء العلماء أو الحكماء أصحاب المدينة الفاضلة المقامة تحت أعماق المحيط ، وبين الدول الكبرى المتصارعة بعدما اذاعوا تهديدآتهم اليهم وارسالهم شروطهم .

اما « الشخصيات » فالبطل هو شادى وهو مصرى الجنسية ـ راوى القصة فى الوقت نفسه ـ اما جوزيف ـ أو يوسف ـ اليوغوسلافى فكان مجرد « شخصية مساعدة » وتعمد الكاتب أن يخفى راجى الهندى طيلة أجـــزاء كبيرة من الرواية بحجة اجراء عملية جراحية له .

وقد قامت بينهم وبين الحكماء علاقات وثيقة ، وقد حولهم نهاد شريف الى رموز أو أرقام حيث يكون الانسان رقما فى مدينة القاع . فالاشباه واحدة والملابس موجـــدة ، والسلوك الانســـانى بينهم واحد ، وكل شىء يسير بنظام وانضباط ، حتى المشاعر والاحاسيس التى يـمكن تنمو بينهم يجب السيطرة أو سحقها ،وأحيانا تخفق تلك المحاولات كما حدثت مع احدى العالمات الشابات وهى رقم ٢٠٥ وشادى . ولنتبين أن حقيقة النفس البشرية واحدة سواء أكانت على سطح الارض أم فى أعماق المحيط . وقد دار حديث ودى بينهما بلغة شاعرية رقيقة ، وطالما أبعدنا نهاد شريف عن جفاف المادة العلمية

يمثل هذه المواقف التى أثرت عملة الفنى :

« لا معلومات لدى أكثر من قوام بديع يحمل أرقاما مبهمة ، اثنين وصفر وخمسة ، بل حتى اسمك فاننى أجهله ·

همست ببطء ، اسمى ماريان بلجيكية ·· قد توفيت أمى فى حادثة ، عندما كنت فى الثانية ، ولحقها أبى وأنا فى العاشرة ··

ـ سرنى تمكن الوصول الى ما وراء أحد أرقام مدينة القاع ، فهذه أول مرة أنفذ فيها الى خلفيتهم · وطلبت المزيد ·

ـ وبالطبع فأنت على ما يبدو ·· غير متزوجة ·· غير مرتبطة بأحد · خفت صوتها حتى ميزت كلماته ببعض الجهد ، بالنسبة للاولى لا اما بالنسبة الثانية فنعم ·

سألت بلا هدف ، رباط من أى نوع ؟ لم تجبنى على الفور ·· وانما اغمضت عينيها لتعيش لحظة حالمة ومن بين شفتيها وهى مغمضة العينين انسابت همسة ·

ـ رباط الحب ·

رحت أحاورها دون قصد : أشـاب بلجيكى هو ؟ فتحت عيناها فلمحتهـا تائهتين · بل انه بمدينتنا ·· بقاع البحر ·

ـ اذا فهو عالم من زملائك ·

ـ لا · · · انه أنت ··

هزتنى كلماتها ·· جعلتنى انتفض كورقة شجر تعصف بها ريح قوية · بدا الاستنكار واضحا فى نبرات صوتى وأنا أريد :

ـ كيف وأنا المصرى القادم من بلد ينأى عن بلدكم ويختلف أهله فى كثير عنكم ·· أنا دون غيرى ·· الذى تختارين ؟ رمقتنى بنظرة مستعطفة : وهل يميز الحب شيئا مما تذكر ؟ ·

ـ ولكن

قاطعتنى : أرجوك ، اننى امنحك أصدق ما يملك المرء أن يمنح فلا تؤلمنى بكلمة تصدر عن قصد .

ويشتعل موقف الحب بينهما ويستسلم لها شادى فى البداية صاغراً . ولكنه نحاها جانبا لتؤنب نفسها عما بدر منها قائلة :

- كان الاجدر بى أن أتمالك مشاعرى وأن أقيدها ، ثم اسحقها كما تسحق غالبية تطلعاتنا عبر هذا الكون . وهنا يهدئها شادى قائلا :«أن الصداقة يامريان أبقى على مر الايام (١٦) .

فى حين أنه أحب الفتاة ما هيتاب حبا رومانسيا نقيا يتناسب مع المبادىء الانسانية التى ينادى بها الكاتب ، ويتمنى أن تسود مع نهاية القرن العشرين . وتمت بينهما لقاءات ، ناقشا من خلالها أمالا وأحلاما عريضة ، وتبادلا الرسائل بعد عودة شادى الى بلده . وحملت هذه الرسائل الكثير من الاحلام التى أراد لها أن تتحقق وتحقق منها بعضها وتخبره فى رسالتها الاخيرة بما حدث لها ولجماعتها من غدر .

وقد غلب التشاؤم على نهاية الرواية ، ولكن الكاتب لم يبخل فيه علينا بومضة أمل « وقريبا سيعود الناس الى حياتهم اليومية الرتيبة فى كل مكان .. لكن وقدة الأمل لن تخمد اطلاقا فى صدورهم ما بقى سر مدينة القاع مغلقا مجهولا ، ما بقى أناس مثلك ياما هيتاب ومثل كبير حكمائكم ، أناس يتخذون من العلم والضمير الحى أقوى سلاح لهم ، ولن يكرروا خطأ ماوقعوا فيه حتى عن نية حسنة . وحينئذ فان يقظة ضمير العالم ستكون أكثر عنفا وأكثر ايلاما » (١٧) .



(١٦) السابق ٥٩ ، ٦٠ .
(١٧) السابق ١٩١ .

أما روايته الثانية فهي بعنوان « قاهر الزمن » (١٨) وقد عرضت مؤخرا في فيلم سينمائي · وفي هذه الرواية _ مهما تكن قيمتها سينمائيا _ يترك المؤلف عالم البحار ليستقر فوق الارض بموضوع دقيق شديد الاثارة ، وهو في كلمات قلائل « الى أي حد يمكن تجميد الانسان لينتفع ببعض أعضائه في المســـتقبل ·

وهو تصور علمي لم يأت من فراغ ، لانه مستند أساسا الى فكرة علمية يمكن _ الى حـــد ما _ أن ترتبط بعملية التحنيط التي درج عليها المصريون القدماء · ومما يجب ذكرة أن عملية تبريد الاجسام أصبحت مؤخـرا علما تطبيقيا يستغل الىحد بعيد في اجراء بعض العمليات الجراحية في القلب ، أو في المخ ، أو في بتر بعض الاطراف ، التي يصبح وجودها خطرا على الانسان ، وبخاصة اذا كان مريضا · وقد انتهى الامر فيه الى امكان حفظ الخلايا أو الانسجة الرقيقة « حية لفترات قد تطول ، وذلك باستخدام التبريد الشديد ، بعد معاملة الخلايا بمواد خاصة حتى لا يتحول ماؤها الى بلورات دقيقة من الثلج قد تدمر جزئياتها الاساسية تدميرا » (١٩) ·

واكثر من هذا ففي أمريكا حاليا جمعية شعارها « جمد الجسد وانتظر ثم اخرج مرة اخرى الى الحياة » أسست سنة ١٩٦٤ ، ويوجد حتى الآن حوالي أربعة عشر جسدا أمريكيا محفوظا في كبسولات تحت درجة حرارة منخفضة جدا · ولا يعرف مصيرهم بعد ذلك اذا نجح التجميد فتره من الزمن وطال عمرهم ثم عادوا الى الحياة مرة أخرى هل في استطاعتهم التكيف مـــع عصر آخر وناس آخرين ؟ وهل عمليات التبريد هذه في صالح البشر حقا ؟ ثم ما مصير العلاقات الانسانية ، هل سيصبح الانسان هو السيد بعد أن تسيد الزمن طويلا ؟

---

(١٨) انظر مقال الدكتور عصام بهي بمجلة فصـــول ٥٧ وما بعدها العدد الثاني سنة ١٩٨٢ ·

(١٩) د · عبد المحسن صالح : التنبؤ العلمي ومستقبل الانسان ٢٢٥ عالم المعرفة الكويت سنة ١٩٨١ ·

ان هذا الموضوع يمثل رؤية فنان مبدع ، وعالم يتابع كل ما يصدر عن العقل البشرى من ابتكارات ، مع مقدرة فائقة على التحرير من جفاف المادة العلمية محاولا التوفيق بين ما تحتاجه هذه المادة فى دراسته وبين ماينشره الفن من رقة الاسلوب وعذوبته وانطلاق خياله دون أن يحدث خللا ما فى بناء الرواية العلمية أو نقصا فى اقناعنا .

وتبدأ الرواية من المستقبل ، لتعود بنا الى الماضى فهى تبدأ بتقرير يقدم من باحث تاريخى سنة ٢٣٠١ من خلال مذكرات وأوراق عثر عليها : « وقد وجدت المجموعة كلها فى حالة يرثى لها وقد التهمت النيران أجزاء كبيرة من أولها الى آخرها (٢٠) . وقد تم العثور عليها فى منطقة حفائر المرصد المصرى القديم فى حلوان ، وبعد قراءة الرواية نتبين أن هذه الاوراق ما هى الا المذكرات الشخصية للصحفى كامل بهنسى ، الذى كان يدون أفكار الدكتور حليم صبرون ، عن أبحاثه الخاصة بالتبريد ، وقد حاول الباحث أن يحقق ويحذف ويضيف ليخرج لنا هذه القصة .

غير أن تلك البدنية تبدو غامضة مثيرة لانتباه القارىءواختار الكاتب طريقة السرد المباشر لقسمين الرواية، هما الاول والرابع ، واختار أسلوب المذكرات لقسيميها الآخرين وهما الثانى والثالث . وأضفى على عمله عنصرى الاثارة والتشويق .

أما القسم الاول منها وهو « على الطريق» فنتعرف فيه على الصحفى «كامل بهنسى » وقد وصف بأنه « أحد المتطلعين الى مزوالة مهنة الجرى المضنى وراء الأحداث .. أحد العاشقين للقلم المغرمين بمداده الذى يعمر أفئدة الناس بالحب والأمل على مر الايام » . وهو يعد بحثا عن تاريخ الفلك فيختار مرصد حلوان مكانا لانجاز بحثه ، يساعده فى ذلك أحد أصدقائه ، وهو يعمل بالمرصد . وفى طريق عودته ليلا يصادف عربة تندفع بخيولها بسرعة فائقة حتى لتكاد تدهمه تحت عجلاتها وتلقى به الى هوه سحيقه ،

---

(٢٠) نهاد شريف : قاهر الزمن ٧ دار الهلال سنة ١٩٧٢ .

وتمضى العربة مخلفة له بداية خيوط تشده لملاحقتها الى حيث تتجه ، ويجذبنا معه خلال عالمه ، لنتابع تفاصيل مغامرته · وهيأ الكاتب المكان الذى تجرى فيه الاحداث بتفصيل دقيق ليشعرنا بواقعيتها ·

يحـاول «كامل بهنسى » أن يستفسر من فيـلا ترقدفى حضن المقطم ، محاطه بالاسرار ، مؤكدا وجود علاقة بين هذه العربة المجهولة وبين الفتاة التى قابلها فى السوق وهو مع صديقه رؤوف ، والتى شعر نحـوها بشـعور غامض ، وأحس أن مأساة تكمن وراءها · الجميع يتحاشون الكلام عن الفيلا · وصاحبها الدكتور حليم صبرون ، وعن تجاربه الرهيبة ، فهم دائما يسمعون صرخات تدوى فى سكون الليل · حاول كامل بهنسى أن يخترق بخياله جدران الفيلا ، ليعرف ما يدور بداخلها متخيلا ملامح الدكتور وصورة فتاته التى يبحث عنها ·

ودوت صرخة أتت من ناحية الفيلا ليجدوا أن الاستاذ رشاد مدحت عالم الفلك فى المرصد ملقى وراء التل تجاه الفيلا ، وقد حدثت مثل هذه الجريمة منذ خمس سنوات ، ويرجح أنه أراد أن يكتشف أسرار الفيلا فقتلوه بالقائه الى قاع الاخدود ·

لم يهدأ كامل وأصر على اقتحام الفيلا للكشف عما فيها عن أسرار وكذلك عن فتاته ·

والكاتب هنا يقدم وصفا دقيقا للفيلا ، ويقترب كامل من سورها ويسمع حوارا دار بين الفتاة والدكتور حليم ، تتضرع اليه بعدم اشراكهافى مثل هذه التجارب ، وبعدها يتلقى كامل بهنسى ضربة هائلة على مؤخرة رأسه فيسقط فاقداً الوعى ، وتجره العربة ذات الخيول وتلقى به فى الاخدود ولكنه ينجو من هذا الحادث ، ثم يفاجأ بزيارة الدكتور حليم له فى منزله ·

ويتم التعارف بينهما ، ويطلع الدكتور حليم كامل بهنسى على جانب من ماضيه ، وكيف أنه تربى فى كنف أحد الباشوات من أثرياء الاسـكندرية

وتزوج من ابنته وسافر الى الخارج لاستكمال دراسة الطب ، وقد ماتت الزوجة بالخارج فى ظروف مريبة ، وعند عودته يموت الباشا فى ظروف أكثر غموضا ، ويصبح هو الوريث الوحيد له . ثم يبيع ما ورثه لينزوى فى فيلا الجبل بحلوان ، مع استغلال مستشفاه فى جلب المرضى واجـــراء تجاربه عليهم

ويعرض على كامل العمل معه وتدوين تجاربه وابحاثه ، شريطة الاقامة الكاملة فى الفيلا ، لحين اتمام تجاربه قائلا « سوف تقنعك الايام يا أستاذ كامل بأهمية أفكارى بالنسبة للجنس البشرى بأسرة » (١)

★ ★ ★

ثم يبدأ القسم الثانى ويحمل عنوان « الترويض » نتعرف من خلاله على فيلا الجبل من داخلها،ونتعرف على الاشخاص الذين يعملون فى خدمة الدكتور حليم ، وكلهم أناس غرباء فى سلوكهم ومظاهرهم ، ونشـــارك البطل منذ بداية اقامته فى الفيلا لحظات الخوف والقلق والتوجس ورهبة المغامرة وماتحفها من أخطار ، ليكتشف بنفســـه حقيقة ما يجريه الدكتور حليم فى معمله ، فالطبيب يقوم بتجاربه العلمية على الحيوان أولا ، فاذا نجحت ينقلها الى عالم الانسان ، وقد أودى بحياة البعض . ولهذا كان عليه التخفى عن أعين الرقباء والشرطة ، لمواصله أبحاثه الاجرامية .

ويثير الكاتب من خلال الرواية احدى القضايا التى تضمها هذه التساؤلات: هل للطبيب مهما بلغت أستاذيته الحق فى ان يستخدم جسد الانسان حقـــلا لتجاربه ، دون أن يحفل بما تسببه التجارب من عذاب ؟ وهل يمكن أن تدفع البشرية الثمن ؟ وهل يمكن أن نضحى بحياة آنسان واحد فى سبيل تجربة علمية ؟ وهل تباع الجريمة باسم العلم ؟.

وهنا يتذكر كامل منطق النازية وفظائعها خلال الحرب العالمية الثانية ،

---

(٢١) الســـابق : ٥٩ .

وحرقهم جثث القتلى فى الافران بعد اجراء التجارب العلمية على أصحابها حتى الفناء · فهل حليم صبرون مجنون آخر على شاكلة هتلر ؟ ·

ويواصل الدكتور حليم أبحاثه مستنداً الى فلسفته قائلا : « ألم تسمع عن طائر البطريق الذى يصنع بعض أفراده جداراً من أجسامها فى مواجهة العاصفة الثلجية ، ويظل الجدار صامداً أمام الريح الصرصر و « الصقيع المتراكم ساعات وساعات حتى يهلك أصحابه من أجل الابقاء على بقية القطيع ؟ » ·

اذا فالذين يموتون فى سبيل التقدم العلمى للانســـان ، أشبه بالذين يحمون ظهور اخوانهم فى المعركة أو الطلائع الذين يموتون فى سبيل حماية الزاحفين خلفهم · وهنا يقسم حليم بأنه لا يجرى تجاربه الا على أشخاص كان مصيرهم الموت حتما ، سواء أجريت لهم تلك التجارب أم لم تجر ·

ثم يشاهد تجربة عملية لتبريد « مرزوق » مساعده بعد تبرعه باجراء التجربه عليه ، وأصبح فى سبات التجميد فى جهاز « حليم رقم ٣ » لمدة أربع ساعات واستعاد بعدها قواه ماعدا لون بشرته الباهت هذا ، بعد أن دفع غاز الاكسجين بقوة الى رئتيه مع سائل معدى الى المعدة (٢٥)·

★ ★ ★

أما القسم الثالث « أفاق مذهلة » فينقلنا الكاتب فيه الى عالم المستقبل من خلال فكر حليم (بعد أن رأينا أبحاثه وتجاربه) أو عصر حليم المنتظر ·

التبريد سيحل جميع المشكلات ، والتبريد يطيل عمر الانسان ويحفظ الجسد بعيداً عن أية مؤثرات ، لتجنب الامراض أو الحروب ، أو العصر الجليدى ، وللتغلب على مشكلة المسافات خلال السياحة عبر الكون ، ستصبح أجهزة التبريد فى متناول الجميع ، سيجمد النبات والحيوان ايضا ، والعلماء سيتم ايقاظهم بواسطة العقول الالكترونية فيعودون الى مزاولة أعمالهم ·

---

(٢٢) انظر السـابق : ١٦٩ ·

واذا كان أهل الكهف قد ناموا فى الماضى ليستيقظوا فى الحاضر ، فان عملاء الدكتور حليم ينامون فى الحاضر ليستيقظوا فى المستقبل ، واذا كان أهل الكهف قد ناموا هربا بدينهم من اضطهاد واقع عليهم ، فان أهل قلعة النائمين عند الدكتور حليم يناسون انتظارا لاكتشاف علاج لهم أو لاجراء جراحات خطيرة أو للاستفادة بذكائهم ومخاطبتهم وتلقينهم المعلومات لان الذهن لن يتوقف بالتجميد !! ٠

وبطريق المصادفة يكتشف كامل ما تعمد حليم صبرون اخفاءه عنه وهى القاعة التى يحفظ فيها الجثث المجمدة : جثث العلماء والعباقرة ، الذين سبق أن قرأ فى فيلا الجبل عن غيابهم أو مصرعهم ، ووجد أربعة أجهزة خالية ولكنها تحمل بطاقات لاسماء أصحابها ، فهل هم فى الطريق اليها ؟ ويتملكة الذهول لوجود أسماء « زين » و « دام العز » و « وحسنين » واسمه على الاجهزة الاخرى ٠

ثم يكتشف أيضا شخصية مرزوق ، فهو الطبيب الجراح حسنين عبد الهادى ، المجرم الهارب من العدالة ، والذى قرأ عن قصة هروبه من سجن طره ، منذ أكثر من عشرة أعوام ، والذى تسبب فى وفاة عدد كبير من مرضاه ٠

ويتفق كامل مع زين على الهرب بعد هذا الاكتشاف ، وبعد أن ربطت بينهما عاطفة صادقة ، كان طريق الهرب قاسيا ، انطلقا عبر طريق جبلى وعر ووقفا على قمته لالتقاط الانفاس ، ليجدا مفاجأة فى انتظارهما : ثلاثة رجال اقوياء ، يرافقهم كلبان أسودان ٠ فلا فائده الآن من الهرب بل يجب العودة للقاء مصيرهما ٠ بعدها يسجن كامل ويتملكه الحزن واليأس فيبدأ بتدوين مذكراته بدون تاريخ لتشابه أيامه ٠ ويتقابل مع الدكتور حليم الذى يعترف له بحبه لزين ، ويذهل حينما يكاشفه بامر العلماء فى قلعة النائمين ٠



اما القسم الرابع ويحمل عنوان « الابدية » فيعود الروای فيه ليروى

لنـا ـ بعـد أن فـرغ كامل من مذكراته ـ كيف انتهت كل شخصـية الى مصيرها . وتكون النهاية قد جاءت لكشف الغموض . ونعرفه أن (زين) قد أخذت مكانها فى (جهاز حليم ٤) : « كأنها ملكة أسـطورية يحيط بها رعاياها وعبيدها » ، ونرى مواجهة ساخنة بين مرزوق أو حسنين الهارب من العدالة ، وحليم صبرون الذى افنى ثروته وعمره من أجل قهر الزمن ، وكلاهما يسعى لامتلاك سر الاكسيد ، الذى يعيد الحياة للجسد بعد التجميد وكلاهما يقاتل من أجل امتلاك زين على مرأى من كامل المختبىء فى أحـد أركان المعمل بعد أن حطم باب سجنه . وتقاتلا ليدمرا معا حلما تكلف الكثير من المال والارواح . اندلعت النيران فجأة لتقتل «حليم» ، ويجرى مرزوق ووراءه كامل ومعه مجلدات ثلاث ثم حدث انفجار مروع أطاح بالفيلا وتطاير كل شىء وفقد كامل وعيه ، ليتم استجوابه وبعد أن استرد قواه يخبرهم عما حدث فى الفيلا ويحكى عن تجارب التبريد فلا يجد الا السخرية والتعجب ، ويصر على الذهاب معهم الى الفيلا ليؤكد لهم صدقه ، فـلا يجد الا آثار الدمار والحريق . وكان اهتمام كامل منصبا على مؤخرة الفيلا حيث ترقد زين فى قلعة النائمين . وفشلت الجهود فى العثور على شىء ، وفقد كامل الأمل فى العثور على زين ، وهكذا انطوت صفحة من حياته الى غير رجعة .

لقد انتقم الزمن من الذين أرادوا قهره واسترد سلطانه ، وقضى عليهم لتكون النهاية بعد تدخلهم فى مشيئة الله وارادته .

ومازالت الأجيال تروى هذه القصة جيلا بعد جيل ولم ينسوا الزاهر الغريب الاطوار ، الذى يعيش بين أطلال الفيلا وقد اسموه «الحلوانى» .



تلك كانت الخطوط العريضة لهذه الرواية ومن الواضح أنها تقدم «خيالا علميا» يرتكز على حقائق معينة،وتركيز الخيال هنا فى كيفية حفظ جسم الانسان

عن طريق التجميد ووقف خلاياه بالتبريد لزمن معين ، وبجانب هذا • فان الرواية بالرغم من تعرضها لكثير من الحقائق العلمية والمعلومات التاريخية لكن ذلك لم يضر البناء الروائي أو يعوق تقدمه أو يصيب الرواية بالجفاف• بل ظهرت في بناء فني متماسك الاطراف لا افعال فيه، معتمدة على حبكة تقليدية متقنه، فأحداث الرواية مترابطة نامية منذ البدنية ، تتناول وجهة نظر الصحفى كامل بهنسى الذى تشكل مذكراته الشخصية القسمين الثانى والثالث من الرواية • وعلى الرغم من أن القسمين الاول والرابع يرويهما راو محايد ، فهو يلتزم متابعة كامل فى حياته فى المرصد قبل الانتقال الى فيلا الجبل ، ثم يعود فى النهاية لنعرف منه مصير كامل والشخصيات الاخرى ، ولهـذا لا نعرف شيئا عن ماضى الدكتور حليم مثلا أو ماضى مرزوق ، كما أننا لانعرف شيئا عن حياة زين _ الا بقدر ما يعرفه كامل فقط •

وهناك ايضا اكثر من « مستوى للصراع » بالاضـــافة الى الصراع الأساسى أو الواضح ، وهو محاولة كامل بهنسى أن يتعرف على ما يدور داخل الفيلا ، للكشف عن اسرار تجاربه ، وهناك أيضا الصراع بين الدكتور حليم ومساعده مرزوق أو حسنين ، الذى ينتهى بتحطيم المعمل وتدمير كل شيء وصراع داخلى يدور فى نفس «زين» لعدم اقتناعها بوجودها داخل الفيلا واشراكها فى تلك التجارب رغما عنها •

اهتم الكاتب بابراز عنصرى « الزمان والمكان ، فحدد الأزمنة ، ولم نجد فيها أى تداخل ، فيما عدا مشهد الحلم الذى ينتقل فيه كامل الى المستقبل وهو مازال فى حجرته سجينا ، حتى ان القارىء لايدرك انه حلم الا فى نهايته « وشعر بعضلاته وأعصابه تتيبس تحت جلده وبدا وكأن الخجل المر يلتف حول عنقه دون رحمة ، فمد أصابعه يفتح أزرار ياقته وهو يتمتم فى تبتل : ترى اين انت الآن يازين •• اين أنت ياصغيرتى المسكينة » ؟•

وجاءه صوتها ناعسا حلوا يجيبه من بعيد فى رنين واغراء لا يقاوم : اننى أرقد هنا فى رحاب قلعة النائمين ، أرقد فى قلب فراش التجمد البديع••

وسترقد أنت أيضا بداخل فراشك بجوارى ·· سيكون جسدك على بعد خطوات من جسدى وستتعانق روحا وتندمجان فى وحدة أبدية لا تنفصم طالما ظل جسدانا مجمدين ·· لأن كلا منا سيتجمد ، وأفكاره مركزة على الآخر ومنطبقة علية » (١) ·

ولبى نداء زين ·· فتقدم يكشف لهم عن ذراعه ليدفعوا فى وريده بالاكسير الوردى ، وارتدى القناع الذهبى ودلف بدوره الى داخل الجهاز الرطيب الحانى ، بعد أن تجرد من ملابسه وارتدى السروال القصير ، ودون تردد أشار لهم بأن يغلقوا فتحة الجهاز عليه ، وحين بلغ سمعه صوت الأقفال وهى تحكم الجهاز حول جسده ـ لم يكن يشعر باى ضيق أو انزعاج ·

« وبدأت الكبسولة القابضة عليه تئز فى خفوت حتى شملته رجفتها الرتيبة ،فأحس كأنه موشك على التفكك والتبعثر الى أشلاء متناثرة ، ثم تقدم ذلك الهواء الثقيل ، أو ذرات الرمل غير المنظورة لا يدرى ·· لتطبق عليه·· وتظل تضغط وتضغط من أعلى ومن أسفل ، وكأنها تريد أن تسحقه أو تحوله قزما مشوها ، رباه ان آلآمه لا تطاق » ·

فمشهد الحلم فحص به الاكتشاف المذهل واستشف من خلاله صورة المستقبل ، وما يمكن أن يتحقق للبشر من رفاهية وتقدم حضارى · كما أن المستقبل يتمدد بطول الرواية ويدفع كل شخصية الى الحركة الى أمام وكل منهم يحاول أن يصل اليه ، لكنهم فى النهاية يخفقون فلا يصلون ، الا بأفكارهم وأحلامهم فقط · ولم يتمكن أحد من الوصول الى « يوتوبياه » لأنه لم يخلص لحلمه أو زرع هذا الحلم فى نفوس الآخرين ·

تميز الكاتب أيضا بدقة الوصف ، فوصف الطبيعة بأسلوب شاعرى واحساس مرهف·«وكان السكون يخيم على المكان . تقطعه بين الحين والحين زقزقة عصفور أو نقرات طائر آخر على فرع شجره دانية ، وفتحت باب

---

(٢٣) السابق : ١٨٨ وما بعدها ·

الشرفة ليطا لعنى منظر ساحر ٠٠ كانت هامات الاشجار بامتداد الحديقة تكاد تتوه معالمها وسط غلالة رقيقة من دخن الضباب المتحـــرك ٠٠ بينما كسيت قمم التلال على امتداد البصر بقلنسوات أرجوانية تضيئها الأشـــعة التى لم يتضح مصدرها بعد ٠٠ ».(١) ٠

كما وصف الاماكن التى جرت فيها الاحداث ، وقد بدأ بداية هادئة فهيأ الأذهان لجو القصة الخاص دون أن يكشف عن موضوعها ، لتهيئة الجـــو النفسى والعقلى لوقوع أحداثها ٠ ثم ما يلبث أن يبدأ الاحداث بطريقة مثيرة يكون بدايتها حادث العربة على الطريق ، بعدما تتشابك الاحداث ويشوبها الغموض ـ ويمكن القول بأن «حبكة» هذه الرواية من نوع الحبكة المعقدة » Plot Comptiation Stotg فرواية الحكاية فيها ، تعتمد أساسا على تلاقى الاحداث ، وتشابكها فى نقطة معينة ، تتحقق فيها هذه الحبكة ٠

وكذلك عنى الكاتب باظهار « الشخصيات » ، بخصـــائصها وسماتها ، بحيث بدت قادرة على تحـــريك الاحـــداث ودفعها الى الامـــام : فحليم صبرون من هؤلاء الابطـال الذين يقعـــون ضحية تطلعاتهم وأهـــدافهم الطموحة ٠ انه بطل معذب يقف فى وجه القدر ، يتمرد على مصيرنا جميعا وهو الموت ، فكل أبحاثه تدور حول هذا الموضوع ، ـ بحيث يبدو وكأنه طاقة حماس لا تنضب ـ كرس له حياته وعزل نفسه فى معمله ،، وبين جدران فيلا الجبل فقد القدرة على التعامل مع الحياة ، يرى العالم الخارجى خطرا يهدد وجوده لو عرفت حقيقة أبحاثه ٠ وقد استعان « بشخصيات غير سوية» ليتمكن من السيطرة عليها فى تسهيل مهماته الخارجية ، أجل حياته كلها الى المستقبل ، حتى حبه لزين كان صامتا ، فهو على علم بأن حياته لا تروقها بل تخنقها ، هذا فضلا عما يرتكبه من جرائم يحاول تبريرها باسم العلم ،

---

(٢٤) السابق : ٦٦ ٠

وهو يجرى التجارب الفاشلة على مرضى مستشفاه ، الذين يدخلون معمله أحياء ويخرجون منه أمواتا • يعيش فى أزمة داخلية ولكنه لا يستطيع التراجع عن عزمه ويفصح عن حقيقة لكامل قائلا : ولكن أفهمنى •• فانى لست على كل السوء الذى تتمثله •• فلى كذلك الجانب الخير فى شخصيتى والذى يناقش أفعالى ويطالبنى عنها الحساب •• غير أنه للاسف الجانب الاضعف •• وفى الحقيقة فانك حين تبدى اعتراضا على عمل من أعمالى فانت دون أن تدرى تنصر جانبى الضعيف هذا » (٢٥) •

وكامل بهنسى من الشخصيات التى رسمها الكاتب بعناية ويمكن القول أنها « الشخصية المحورية » فى العمل : صحفى مثقف محب للمغامرة ، والبحث ينفتح له عالم الدكتور حليم الغامض مستهينا بحياته فى سبيل الفوز بأسرار حليم وبرزين التى تعلق بها فيكشف عن مواقفه البطولية •

وحين يتوصل الى حقيقة الدكتور حليم تستولى عليه الدهشة ، وحب الاستطلاع ، مع عدم الاستسلام له فى كل أعماله ، فهو يثور عليه عندما يستخدم مرضاه كحيوانات تجارب ، ويناقشه ليعرف حقيقة التبريد قائلا : « ألا يكون التبريد تدخلا سافرا فى مشيئة الله » — يذكره دائما بالقيم الدينية والخلقية وينبهه اليها •

ويصف نفسه قائلا : « كنت أحس احساسا قويا ، ربما كنت الشخص الوحيد — فى تلك البقعة القصية عن الانظار — الذى لا ينطوى تحت سلطان الدكتور ونظامه الصارم ، يتيح لى فرصة التصرف دون تحيز أو فقدان لشخصيتى المحايدة والتى تأبى الانصياع لاى عمل اجرامى ، خاصة أننى احس أن ثمة امورا مريبة لا تزال تجرى من وراء الكواليس » (١) •

وعندما تتشابك أحداث الرواية بحيث لا يجد امامه سوى الهرب هو وزين • وتخفق محاولتهما ، فقد كتب عليهما سجنا أبديا لافكاك منه • فقد

---

(٢٥) السابق ١١٢ •

أصبحا معلقين فى الزمن ، فلا هما يعيشان الحاضر فى حرية ، ولا هما يستسلمان للمستقبل استسلاما كاملا · ثم يطارده بعد ذلك الحاضر بقسوة بعد حادثة انهيار الفيلا ، وتحاصره نظرات السخرية وعدم التصديق ، فلا يجد الا المستقبل ملاذا له فى نهاية الرواية ·

أما زين فهى ربيبة الدكتور حليم ، الفتاة الهادئة التى تبدو على ملامحها مظاهر الحزن ، مجبرة على الحياة فى هذا المكان بلا ارادة · يسيطر عليها الدكتور حليم الذى يشركها رغما عنها فى اجراء تجاربه ، وتجد من يخرجها من سجنها ، ولكنها تعود اليه صاغرة لتستقر فى أحد توابيت قلعة النائمين·

ومرزوق أو الدكتور حسنين طريد العدالة ، يستسلم للدكتور حليم ويتولى أمر المرضى فيسوقهم اليه أحياء من المستشفى ، ثم يتخلص من جثتهم بعد ذلك · كان يأمل أن يجد فى المستقبل ملاذا من جرائمه ، وتغلب عليه نزعته الى الشر فيحاول الاستيلاء على المعمل ليدمر كل شىء فى النهاية ·

وهناك أيضا « شخصيات ثانوية » فى الرواية ، مثل رؤوف صديق كامل منذ صغره ، الذى ظهر فى بداية الاحداث واختفى بعد ذلك ليظهر فى آخر الرواية ، فكان من الممكن أن يلعب دورا اكثر ايجابية بأن يتولى البحث عن صديقه مثلا عندما تنقطع أخباره عنه ·

والرواية تثرى وتمتع بأسلوبها وفكرتها وشخصياتها الحية النابضة·وهى جديرة بالاهتمام ، بجانب أنها حملت أفكار الكاتب وتطلعه الى المستقبل ، فهو يحلم بمصر العلمية التى تتزعم العالم حضاريا وفكريا فى يوم ما عندما يحدثنا عن المبانى الزجاجية الشفافة المستديرة ، والسحابة البنفسجية الواقية من عواصف الجو ، والانوار الفسفورية التى تلف كل شارع وكل ميدان ، وقد اضاءت حانية كالطيف الرقيق الهفهاف فكأنها خيوط أسطورية فى رشاقتها وانسيابها ·

وعرض لنا أيضا مخاوفة وفزعة من تمزق العلاقات الانسانية وفقدان القيم الروحية والاجتماعية .

(٣) السيد من حقل السبانخ (٢٧)

هذه الرواية بقلم صبرى موسى ، يحاول فيها أن يقدم رؤية مستقبلية لما يمكن أن يحدث فى عالمنا بعد أربعة قرون ، فما صورة الحياة والطبيعة فى أعقاب حرب الكترونية نشبت فى بداية القرن الواحد والعشرين ؟ ويقدم لنا أيضا تخطيطيا لمدينة فاضلة ، قامت فى أعقاب هذه الحرب بعد نجاة مئات من العلماء الذين نجحوا فى تغطية مساحة من الارض بغطاء زجاجى هائل وما دون ذلك ترك على حالة بعد أن غطى النشاط الاشعاعى الكثيف سطح الارض القديمة نتيجة للانفجارات الذرية والهيدروجينية . وقد حدثت تغيرات رهيبة فى الصحارى والمحيطات وقيعانها ، وظهرت كائنات حية غير مالوفة ذات أجنحة ضخمة ، وتستطيع الطيران رغم ذلك . هذه صوره من خارج الغطاء الزجاجى . أما الصـــورة من الداخل فيقدم لنا مجتمعا منظما يقوم على التخطيط العلمى ، ويصل الى أعلى درجة فى استخدام الالكترونات وتطورها . نجح فى توفير الهدوء والامن للانسان ، وهيأ له كل أسباب الراحة فى توزيع العمل والطعام الذى يصله الى موقعة عن طريق أنابيب تمر داخل الجدران ، وفر له الدفء والسكن والتعليم ، والكماليات وتمكن من القضـــاء على الميكروبات ، كما أمكن تنظيم عمليات الولادة التى تتم داخل الانابيب ، وحسب احتياج المجتمع لها ، وبذلك تخلصت المراة من متاعب الحمل والولادة . واصبح الانسان الآلى يتولى مهمة النظـــافة وترتيب أعمال المنزل ، وكان آخـــر انجاز علمى توصل العلماء اليه هو خلق ذرية من الخلايا الجسدية للكائن الحى بدلا من الخلايا الجنسية .

---

(٢٧) انظر دراسة لطلعت رضوان . بعنوان السيد من حقل السبانخ رؤية مستقبلية ، مجلة ابداع العدد السابع يوليه ١٩٨٧ ، وايضا مقال لمدحت الجيار بعنوان مشكلة الحداثة فى رواية الخيال العلمى ، بمجلة فصـــول .

ومعنى هذا أن هذا المجتمع وفر كل أسباب السعادة والراحة لسكان هذه المدينة الفاضلة بهذا التقدم العلمى ، بحيث أصبح جديرا به اطلاق اسم « عصر العسل » عليه · ولكن بالرغم من كل هذا فالانسان هو الانسان فى أى مكان وفى أى عصر ، لا شىء على الاطلاق يستطيع أن يقتل احساسه ومشاعره وذاتيته ، لاشىء على الاطلاق يمنعه من القلق أو التوتر أو ان يحتج ويعترض ، ويبدو مهموما ويتشوق الى شىء يفتقــده أو يحلم به حتى ولو كان هذا الحلم ارتدادا الى الماضى المتخلف · ويبدو أن بداخل النفس البشرية شيئا ما يمنع الانسان من الاستغراق فى السعادة ، والبعــد عن الحزن ، ويرغمه على تعديل موقفه لصالح تطوره النوعى المستمر ، فيثور على كل نعمة حوله ، ويتملكه احساس باليأس والتعاسة ·

وهذا ما نلاحظه ونحن نتابع تفصيلات تلك الرواية التى بناها الكاتب بناء دراميا محكما ، ووصل بها الى مستوى فنى طيب ، بالرغم من حشده كمية من المعلومات العلمية ، والتكنولوجية ، والاعتماد على بعض مصطلحات علمية اخترعها بطريقة بسيطة منها مثلا « حقل الاستنبات الضوئى» و «المتحف الطبيعى للاطعمة » و « محطة القضاء على الاعاصير وتوجيه العواصف » و « وتوليد الحرارة من الغيوم الكثيفة »·ورغم كل ما صاحب هذه الرواية من تنبؤات علمية لم تفتقد روح الاثارة والتوتر اللذين توافرا فيها الصفحات الاولى ·

وتبدأ الرواية ببطلها السيد « هومو » لحظة انصرافه من « حقل الاستنبات الضوئى » لانتاج أوراق السبانخ الخضراء » الى السيارة الهوائية التى تنقله ، مع باقى العاملين الى مسكنه » وبعد عشر دقائق تتوقف السيارة فى الهواء وتطلق الكبسولة التى يجلس فيها فتهبط به فوق ذلك البرج الشاهق الممتد من الارض » (١) · انتابته لحظة تمرد فيها ، توقف مفكرا فى أيامه

---

(٨) صبرى موسى · السيد من حقل السبانخ : ١٠ ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٧ ·

المتشابهة ، وهذا الروتين القاتل الذى يعيش فيه ، فلم يركب آخر سيارة محاولا الانقلاب من تلك البرنامج اليومي الثقيل · وهو لا يدرى أن هذا التوقف وهذا الخروج عن تيار الحياة اليومى سيؤدى فى نهاية الامر الى مأساة أو كارثة وانضم الى حالات مشابهة كحالته أنتابها نفس الاحساس ·

شعر باللذة والارتياح وهو يسير مستخدما قدميه ، حتى وصل الى ميدان السفر الخارجي · وتقلق عليه السيده « ليالى » زوجته التى تعمل فى « محطة القضاء على الاعاصير وتوجيه العواصف » فتدير مفتاح جهاز الاستخبار الشخصى ، وتضبط قناته على « شفة » صديقه دافيد فلا تجده ، فتستعين بموظف الاســتخبارات فى المركز الفرعى لاستخبارات القطاع السكنى وتبلغه بغياب زوجها · فيبدأ البحث عنه من خلال الشاشة الكبيرة ، ويعثر عليه جالسا على الارض فى ميدان السفر الخارجي · ويستفسر الموظف عن حالته النفسية من الزوجة أن كان قد سئم الحياة الزوجية ، وفى تلك الحالة يصدر قرار محلى بانفصــال الزوجين لاعادة تزويجهما بزملين آخرين ـ وتؤكد له الزوجة انها لم تلحظ شيئا غريبا عليه من قبل ·

وفى الصباح يتوجه السيد هومو الى مكان عمله ، فيرى الضــوء الأحمر على لوحة التعليمات أمامه ، فهو مطلوب للاســتجواب فى مركز التحقيق الآلى ، وعن طريق شاشة تلفزيونية يوجه اليه مندوب النظام العام، ومندوب الصحة ، ومندوب الأمن المركزى أسئلتهم عن هذه الحالة التى وصل اليها ، ومن حقه الامتناع عن الاجابة ، وفى تلك الحالة سينقل المقعد الذى يجلس عليه انفعالاته بالأسئلة · كان عليه أن يقدم تبريرا لموقفه بعد أن متوقف عن تيار الحياة اليومى ، هل هو نتيجة سامه من الحياة الزوجية أم هــو نتيجة ارهاق فى عمله · وفى كل مرة يجيب : ليس هناك ضيق أو خلل أو مرض كل ما هنالك « اننى تصرفت بطريقة عفوية على سجيتى ·· أليس من حقى أن اتصرف مرة بطريقة عفوية ·· على سجيتى ؟ » (١) ·

---

(٢٩) الســابق ٥٠ ·

ويتابع الناس هذه المناقشات ، ويزيد المعارضون لنظام واحداً . وفي ملاهي المناقشات يتناولون مشكلته ويتعرض النظام للنقد .

ثم تظهر في الرواية شخصية أخرى وهي شخصية « الدكتور بروف » ، الذي كان عضواً في الهيئة العليا للتكنوقراط وانسلخ عنهم عندما تعسف هذا النظام وقرر المعارضة . فيتبنى حالة السيد هومو وكل الحالات المماثلة، ويدافع عنهم بحماس شديد متهما النظام بقتل الملكات الفردية للانسان بسبب سيطرة العبيد الآيين ، الذين اصبحوا - في حقيقية الامر - هم السادة ، وتحول الانسان الى عبد ويصيح ، انه اذا كانت أول ثورة اجتماعية هي ثورة العبيد ضد السادة ، فلتكن ثورتنا هي ثورة الانسان ضد العبيد الاوليين، ويشخص حالة السيد هومو بانها ليست قضية الحرية بقدر ماهي قضية الجمال ويصف هذا العصر - اى عصر العســل - بانه « عصر الخيبة الحقيقية للبشرية » (٣٠) .

فالذين توقفوا عن « تيار الحياة اليومي » تملكهم شعور بالاحتجاج العاطفي والروحي بعد فقد الانسان بقدرته على الابتكار ، وارادوا العودة الى بشريتهم ، انهم يرفضون صورة الانسان المكررة « الذى يرى صورته في شخص آخر ويعرف انه يفكر بنفس تفكيره ويتصرف بنفس الطريقة التى يتصرف هو بها » (٣١) .

ويشعر النظام بخطورة الموقف ويدعو الى اجتماع عام بالصالة المعلقة، والتى تعتبر معمارية وهي مجهزة بشتى وسائل الاســتمتاع ، وهي تتسع لآلاف الأشخاص . ويحضر الاجتماع هومو وزوجته ليالي وصديقه دافيد، ويتقابل مع الدكتور بروف وشخصيات كثيرة أخرى . ويقدم مندوبو النظام مشروعهم الثورى تمهيداً للانتقال الى الكواكب الأخرى ، وهذا المشروع يتضمن الغاء فكرة الزواج الذى انتهى دوره الاجتماعى منذ عدة قرون ، بعد أن انتفت مظاهر تكوين الاسرة لان معامل الولادة تقوم بولادة الاطفال حسب

(٣٠) السابق ١٦٤ .
(٣١) السـابق ١٦٨ .

احتياجات المجتمع · ومن لم يقضى نهائيا على اخطر البذور التى تثمر المشاعر الفردية ، ويصبح الانسان اجتماعيا بعد أن يتحول شعوره الى ابنه المجهول الى كل الابناء فى المجتمع · والغاء الزواج سوف يستتبعه بالضرورة الغاء المساكن واستبدالها بالفنادق المجان والاكتفاء بصالونات الحب · وكان عليهم اخذ الأصوات بالنسبة لهذا المشروع بعد استراحة قصيرة ·

وتزعم الدكتور بروف وجماعة المعارضين موقف الرفض ، كل يدافع عن وجهة نظرة ، وينتقد النظام ويناقش قضية الارادة ، وقضية حرمان المرأة من تجربة الأمومة ، التى دفعتها الى البحث عن السعادة فى صالونات الحب. وهنا ينتاب هومو شعور خاص ، فهو موزع النفس الآن بين شعوره الغريزى الغامض ومدركاته العقلية · وتستمر المناقشات ثلاثة ايام بلياليها بين عناصر المعارضة وعناصر المؤيدين ، وفى النهاية يكون التصويت لصالح المشروع ، فكان على الرافضين التقدم لمعالجة عقولهم كيميائيا ، ولكنهم قرروا «الخروج» · « اسمحوا لنا بالخروج الى الطبيعة » ·

لم يعبأ هومو وزملاؤه بتحذيرات العلماء مما سيلقونه من أهوال اذا هم خرجوا اليها ، لم يعبأ أيضا بتوسلات زوجته ونصائحها ، بعد أن أصبح رمزا لهم فكيف يتخلى عنهم الآن · وفعلا يتم الخروج عن طريق بوابة ضخمة، عملت خصيصا لحوالى مائة وخمسين شخصا بينهم ستون امرأة فى سن الشباب · يركبون مركبات مزودة بأحدث الاجهزة ، يلبسون ملابس معدة لتخليق الاوكسجين وتعادل الحرارة · كل شىء تم بدقة متناهية وكان فى فى وداعهم حشد من الناس · ومن لم يتمكن من الحضور عند البوابة تابعهم من خـــلال شاشـات التلفزيون ، وقد نكست الاعلام تشيعهم موســـيقى مع دموع زوجة هومو ·

ويصف الكاتب بعد ذلك رحلة الخروج وما وجدوه من أهوال ، وما أحدثته الحرب من تغيرات ، رأوا الحياة وهى تتدفق عنيفة وصاخبة ودموية، كل شىء فيها صار متوحشا · النبات والارض والهواء · انه عودة الى صراع من

أجل البقاء وعودة الى شعار البقاء للأقوى بعد قطعت الانسانية كل هذه الرحلة الطويلة في تقدم علمي وانجازات تكنولوجية ، انهم يمثلون الآن حـركة رجعية مرتدة ، ليضع الكاتب بعـد ذلك نهاية لها بعد ان اجتاحت هومو مشاعر الندم والحسرة والخطأ الفادح ، يترك بروف مع زملائه في تقدمهم رغم كل هذه المصاعب ، ويعود في اليوم الرابع الى باب الخـروج ليدقه بلا مجيب ، وعندما جاءتهم رسـالة عن طريق البث الرئي « وهـو يقف منهارا أمام البوابة الخارجية ، يدق على زجاجها السميك بقطعة من الحجر ويصرخ طالبا بأن يفتح له » (٣٢) ٠

وتعرفت عليه امرأة كانت تتنزه مع رجلها قرب البوابة ، من خلال الزجاج السميك ، تقول في أسف « أما زال يدق الباب ؟ هل نسى أن الزمن لا يعود الى الوراء ؟ » وتكون هذه العبارة خاتمة للرواية ٠

تلك كانت الخطوط العريضة للرواية بعد أن تعمدت أن أسقط منها الكثير من التفصيلات والتي تنقد نظام المجتمع في نواحيه المختلفة ٠ وتبدو الرواية بهذا الشكل مفعمة بالحياة والحركة والاثارة والتوتر والصراع ، وتقـدم لنا صيغة جيدة لمجتمع مثالي أو يوتيبيا منقدمة ٠ والشخصيات فتحـرك داخلها بسهولة مـرتبطة ارتباطا وثيقـا بفكرة الرواية التي تنطوي على ديناميكية خاصة من ايقاعات الحدث الدرامية والتي ترصدها حـركة الشخصيات معتمدة على الخط البيائي للحدث في نموه وتصاعده الى لحظة المأساة : وهي لحظة خروج هومو ورفض المجتمع له عندما حاول العودة اليه نادما ٠

والحركة الدرامية تعتمد أساسا على الادراك الاجتماعي للكاتب ووعيه ورؤيته الثقافية والايدولوجية للوجود وللانسـان والعالم كله ٠ ليقدم لنا ادانة للواقع الموجود في عالمنا أيضا ، انه يحذرنا من اختراع الانسـان

(٣٢) السابق ٢٢٦ ٠

لوسائل الدمار ، وسيادة الآلة وبرمجة الانسان وتحول المشاعر الانسانية الى موضوعات قديمة ٠

ولقد رسم الكاتب شخصياته بعناية وبخاصة شخصية بطلة هومو ـ الذى يمثل رمز التمرد هنا ـ وقد اختار له اسم هومو بمعنى الانسان HOMO وهو الذى خرج على النظام ذات يوم ليبدأ زلزلة النظام ، وعليها يقوم الحدث الرئيسى للرواية وهو خروجه فى لحظة نزوة على البرنامج اليومى وبدأ يتمرد على اسلوب الحياة التى تصنعها الآلات فاذا هو ينتهى الى مأساة ٠ محاولا الرجوع ايضا الى مشاعر الانسان الاولى ، فان الماضى لم يكن مفقودا بداخله ، وفى لحظة من اللحظات ينهار موزع النفس بين الالتزام بالواقع وبين المثول لقوانينه وبين ارادته وشق طريقه بنفسه والعودة الى الماضى فى مواجهة هذا المجتمع اليوتوبى ، فنراه يلجأ الى العقل الالكترونى منهاراً ويسأله : من أنا ؟ فيجيبه ويطلعه على حقيقته : « أنت الذى قتلت أخاك هابيل وخنت أباك ٠٠ ودفنت أختك فى رمال الصحراء وهى وليدة ٠ أنت لست فردا ياهومو ، ولم تكن أبدا فردا حتى فى تلك الحضارات التى تصرفت فيها كفرد ، وأشعت الفردية من حولك ولوثت تاريخك بالدم والخراب ، ولم تكن تفعل ذلك بوحى من فرديتك وانما بوحى من غريزة المجموعة القديمة التى كنت تنتمى اليها منذ ملايين السنين » (٢٣) ومع ذلك نجده مشـدوداً بقوة الى الماضى لانه مازال محتفظا بداخله بالجوهر الحقيقى للبشرية ٠ وعندما يمارس تجربة الخروج بكامل حريته وبرغبته يكتشف خطأه لقدومه على تلك التجربة ، فنراه يحاول العودة طائعا نادما لنفاجأ بقسوة مندوبى النظام ، ورفضه له بعد أن خرج على نظامهم وعلى قوانينهم وليكون عبرة لمن تخالجهم أنفسهم بالعودة الى الطبيعة او الى الماضى مرة أخرى ، فان قوة التقدم ترفض قانون التضحية ببعض الافراد مقابل المجموع ٠

---

(٢٣) السـابق ١٨٥ ٠

أما الشخصيات الاخرى فى الرواية رغم انها تعتبر تجسيدا لصـــور فلسفية قدمها الكاتب بطريقة مقنعة ، مثل شخصية الزوجة عندما صورها فى قلقها وحيرتها على زوجها المتغيب ومحاولاتها العثور عليه ، وتبرير موقفها لموظف الاستخبار ، ومحاولتها انتشال زوجها من كآبته عندما عرضت عليه الذهاب الى صالون الحب الذى يشرف عليه النظام ، لأن هناك فتيات بارعات متخصصات فى فنون الحب وقتل السأم ، ولكنه يرفض لانه انسان فى حين انها شعرت بالارهاق ذات ليلة فاحتضنت صديق زوجها فى رحلة من الحب الآلى ، ثم اخبرت زوجها بتفاصيل ما حدث بعد ذلك دون أن يشعر بالغيرة، لان الغيرة انتهت من حياتهم ، وهى تقف بجانبه وتحاول اقناعه بضرورة التصويت لصالح المشـــروع الثورى ، فيرفض ويطلب منهـــا أن تتصرف بارادتها الحرة وتدعه وحده يواجه مشكلته ٠

وهناك أيضا دكتور بروف ، متبنى حركة المعارضـــة والعالم ببواطن الامور وصاحب النظرة المدققة لاغراض النظام والذى يتفوق على خصومه بمناقشاته ، فهو ضد هذا المشروع الثورى ، ويتهمه مندوب الصحة بتلاعبه بالألفاظ الرنانة المؤثرة على الرأى العام والنظام ، فلا يعبأ وهو الذى يقودحركة الخروج غير مهتم بالاخطار التى تحيطهم ، وواصل مسيرته فى حين تراجع هومو ، فهو فى معركة من اجل البقاء ، ومن اجل استثمار جميع امكانياته البشرية ، بطريقة طبيعية مكتسبا قيمة اخلاقية جديدة بالاعتبار فى جهاده ومقاومته من أجل هدفه ٠

وهناك مندوبو النظام الذين يرأسون هذا المجتمع المبنى على الديمقراطية، يفسحون صدورهم للمناقشات ، ويتابعون حالات الخارجين على « تيار الحياة اليومى » ينطلقون بوعى لتثبيت دعائم نظامهم على اسس علمية ، عارضين برنامجهم الثورى الذى يقضى من خلاله على الغرائز وعلى المشاعر الفردية وعلى غريزة التملك ــ وهذا ضد الانسان ــ تمهيــدا للانتقال الى الفضـــاء

الخارجي ، يقفون امام دعوات التخلف والرجعية ، التي يمثلها هومو ودكتور بروف ومن لف لفهم · ففي رأيهم أن « العـــودة الى الوراء تعني التخلف ، والدفاع عن التخلف يعني الدفاع عن الفوضى ، وبذلك فان الدفاع عن الحرية في هذه الحالة ، يعني الدفاع عن التخلف » (٣٤) · وكان راى مندوب الأمن أن تتم اجراءات استئصال الملل دون اذن من المواطنين ، بجانب اسـتخدام التكنولوجيا المعاصرة لتحويل كل المواطنين الى كائنات مطيعة ــ ولكنــه لا يستطيع أن يفرض رأيه هذا · وعندما تحتدم المناقشة بين بروف ومندوب النظام يقول له « أنتم محظوظون لأنكم لم توجدوا في عصور القهر والاستبداد فعلا ، حيث كان من السهل اعتقالكم جميعا ·· والقاؤكم في غياهب المعتقلات والسجون بتهمة العمل ضد النظام » ثم يلتقط انفاسه « كيف غاب عن عقلك أيها السيد بروف أنه قد كان باستطاعة النظام ، التقاط تلك الحالات الطارئة لرجل ، السبانخ وأمثاله ، ومعالجة عقولها كيميائيا أولا بأول ، دون أن يشعر بذلك أحد ·· ولا حتى هم أنفسهم ·· وكنا قد وفرنا كل هذا الوقت الضائع وكل هذه المناقشات التي تخوضها منذ ليال ثلاث ؟ » (١) ·

وعندما أصروا على الخروج أخذوا على عاتقهم تأمين رحلتهم · ولكنهم وقفوا موقفا متشددا مع هومو ، عندما أراد الرجوع اليهم طائعا ، هومو رفض النظام،والنظام الآن يرفضه،او كما قال أحد المواطنين المدافعين عن فكرة النظام بأن هومو يرفض النظام الذى هو القانون الطبيعي للكون ، ألم يتأمل في نظام المجرات ؟ ألم يتابع النظام الدقيق للافلاك منذ بدأ هذا الكون ؟ ان كل نجم يخرج عن مداره يحترق ويهوى في الفضاء اللانهائي » ·

ومعنى هذا أن الكاتب قدم لنا مضمونا كبيرا ، وحشد فيه فنيته لابرازه واستطاع ان يخلق البطل يبحث ويبحث ، والبحث احدى قضايا الانسان

---

(٣٤) السابق : ١٩٤ وما بعدها ·

قديما وحديثا • ولكنه هنا لا يتطلع الى امام بل يرتد الى التخلف ليبدأ منجديد بعد أن قطعت الانسانية شوطا كبيرا من التقدم والرقى ، فكان مصيره الضياع الابدى فازداد من هنا الحس المأسوى فى الرواية ، مبرزا أيضا حقيقة الصراع بين التقدم والتخلف فان قوى التقدم لابد أن تنتصر فى النهاية كحتمية تاريخية امام قوة التخلف ، التى تمثل حركة رجعية وكل ذلك فى أسلوب أدبى ممتع ولغة راقية وحوار على مستوى رفيع ، ولا يضير الكاتب هنا وجود تشابه بين روايته هذه وبين رواية « نحن » ليوجين زامياتن » وبخاصة فى طريقة بناء المدينة •



٤ ـ الكوكب الملعون (٣٥)

يرسم ايهاب الازهرى فى روايته (الكوكب الملعون) رؤية أسطورية حديثة ، ويجتهد فى تشكيل عالم الفضاء ، ويجرى حوارا علميا وخياليا فى أن واحد ، معتمدا على انجازات العلم الحديث ، واستجابة للتحدى الحضارى الذى يواجه البشر •

وكان وعى الكاتب ذا أثر بعيد فى تشكيل رؤيته لهذا العالم ولمادةالرواية التى اكتسبت بعدا رمزيا وجعلها اسقاطا من بعض الوجوه على انسان هذا الزمان،حيث تتداخل فيه العوالموتتجاور فيه الاشياء البعيدة من أجل الوصول الى تفسير لمصيره •

فقد بنى الكاتب روايته على عقد لقاء بين سكان كوكب الأرض ،وسكان كوكب المريخ فى سنة ١٩٩٢ ، حيث يتلقى عالم الآثار « على المصرى » رسائل

---

(٣٥) الكوكب الملعون ، ط دار الزهراء ١٩٨٧ ، ايهاب الازهرى له تمثيليات اذاعية من خلال برنامج « أغرب من الخيال » مارس من خلاله هذا النوع من الكتابة العلمية •

ذهنية من مكان ما،دفعته الى اكتشاف حجرة مدفونة بجوار الهرم ،تحتوى على معدن براق يقاوم أعلى درجات الحرارة ، وأعتى الأحماض الشديدة ،ويكتشف أيضا نوعا من الوقود لا مثيل له أطلق عليه فيما بعد « مصر » ،وتمكن من دراسة لغة نقشت على ألواح فى هذه الحجرة • وكان لهذه الاكتشافات أثر كبير ، فقد ترك الأجداد للأحفاد هذا المعدن ليصنعوا منه سفنا تنطلق بهم الى عوالم اخرى • وفعلا يتم صنع سفينة منه ، ويستقلها ثلاثة رواد أولهم على المصرى وثانيهم وحيد عبد اله ، وثالثهم كمال اسكندر ، قاصدين كوكب المريخ لاخذ عينة من تربته • وكانت انظار العالم تتطلع الى تفاصيل الرحلة المثيرة، وتتابعهم مراقبة أرضية يشرف عليها رفاعه الطهطاوى » ويعاونه « الدكتور فاروق البـــــاز » •

هبط الثلاثة على سطح المريخ فى زمن قياسى وبسرعة رهيبة • وانطلقوا لاخذ عينة من تراب الكوكب ، ولكن لفت نظرهم وجود اثار لمبانى قديمة أيقنوا انها من صنع الانسان ، وصلتهم تنبيهات من المراقبة الارضية بضرورة العودة الى مجال الكاميرات ، وقبل أن تفرغ أنابيب الاوكسجين فتباطأوا • وهنـــا تسيطر عليهم قوة مجهولة كالتى سيطرت على على المصرى من قبل ودفعته الى اكتشاف الحجرة • ثم شعروا أن الارض تميد بهم وأنهم يهبطون أعماق المريخ ، ليصلهم صوت آلى يرحب بهم • وتستقبلهم مجموعة أجساد نحيفة على شاكلة أهل الارض • وهنا ينقطع الاتصال بينهم وبين المراقبة الارضية تمــــاما

ووضح لهم كبير العلماء و « ماشادوا » معلمهم الاكبر بعض ظروف هذا الكوكب من خلال بعض الافلام ، التى تناولت حياتهم المتقدمة على سطح المريخ، والذى تحول بفعل القنابل الذرية والحرب الهيدروجينية الى أطلال بعد تهور دوله فى استخدامها ، وهم الآن يعيشون حياة صناعية فى قلب المريخ بعد أن

حطمت الانفجارات الغلاف الجوى العامر بالاوكسيجين وذرته فى الفضـــاء الفسيح ، فأصبح كوكب المريخ العامر كوكب ميتا لا غلاف له ، يتحكم فيه ملك مستبد هو « سام يو الثانى » الذى يمد رئات شعبه بالاوكسجين من خـــلال حجرة فى قصره يطلق عليها حجرة «واهب الحياة»،ومن غضب عليه يتعرض لعذاب الرئات أى تقليل كمية الاوكسيجين أو زيادته • وهذا الملك انتزع الملك من الملك الشرعى ويطلقون عليه « الرجل ذو الشعر الابيض » وقد زج به فى السجن • وبالرغم من هذا فهو يخشاه ويخشى تآمره عليه وهو بداخله، ولذا يعرضهم جميعا لهذا النوع من العذاب بين حين وآخر • وهو يعزل نفسه دائما وراء حواجز زجاجية شفافة لا ترى حتى لا يقترب منه أحد •

وعند لقاء الرواد الثلاثة بالملك استطاع على أن يقرأ أفكار الملك ويتبين حقيقة ما ينتوى عليه ، فينتابه الفزع والذعر ، لان الملك لديه خطة لارسال سحابة سامة تقتل أهل الارض جميعا ، ليحل محلهم سكان كوكبه ، وعندما يأمر الملك بالذهاب الى سطح المريخ ليحضر قطعة من المعدن البراق وبعض الوقود لمعرفة عناصرهما ، يجدها فرصة للتضحية بنفسه من أجل الوطن رافضا وعد الملك له بأنه سيصبح زعيما للكوكب الاخضر اذا نفذ ما طلب منه •

وعندما دخل « مركب الشمس آمون » خاطب المراقبة الارضية وشرح لهم باختصار الموقف ، ولكن الرسالة لم تصلهم ، لانه لم برداء الفضاء ، ثم فجاة يشاهدونه وهو ينطلق بعيدا عن سطح الكـــوكب ، وفى نفس اللحظة كانت أسنانه تطحن كبسولة « السيانايد » ، وتمتمت شفتاه بالشهادة وتصـــدمه السرعة العالية ، ويستسلم للنهاية • كل هذا على مشهد من المراقبة الارضية التى ستصلها السفينة بعد ذلك عن طريق التوجيه الآلى لتحمل معها جثمان على • وعلى مشهد من الملك ـ الذى جن جنونه ـ ورفيقيه وشـــعب اهل الـــكوكب •

وقد نجح الكاتب فى رسم أبعاد شخصية على واكسبها بعدا رمزيا وخطط لها منذ البداية ، حين جعله يتلقى رسائل ذهنية تدفعه الى اكتشاف خطير ، أى اتصال بدون كلام أو اشارات وهى التى أطلق عليها آرثر كلارك من قبل التخاطر Telepathy أو قراءة الافكار Mindreading فى روايته « المدينة والنجوم » سنة ١٩٣٥ ، حيث ربطها بالتقدم فى اعجازات الفكر • ويروى أن المستقبل سوف يفهم أرفع الناس فكرا بعضهم بعضا حتى ولو كانوا على مسافة بعيدة وذلك بفضل براعتهم الخارقة فى قراءة الافكار فهم يبعثون بها ويستقبلون أفكارا اخرى (٣٦) •

ويكسب الكاتب بطله أيضا عمقا انسانيا عرفناه فى بعض شخوص الانبياء رمز التضحية والفداء ، مفضلا مصلحة الوطن على نفسه ، وحياته ومستشهدا فى سبيلها بعظمة تضع على صدره وساما ومجدا • وكان لهذا الموقف البطولى أثر رائع على أهل الكوكب ، فقد دبت فى نفوسهم مشاعر ماتت من قديم أيقظها على بهذا الموقف البطولى • كلمات قديمة لم يعد لها معنى اندثرت بعد التدمير الذى جاء مع الحرب الهيدروجينية ، شعروا بحاجتهم اليها الآن ككلمات الحب والتضحية والدين والموت • شعروا بأنهم بشر فقدوا كثيرا من آدميتهم بسبب الحرب المدمرة ، ويجب عليهم استعادتها ، أصبحوا يقولون « قبل على •• وبعد على » دفعهم موقفه هذا الى نبش الماضى لمعرفة تاريخهم ، وكيف وصلوا الى هذه الحالة ، فبدأوا يتجمعون ويخططون فى سرية تامة للاطاحة بالملك الظالم المغتصب فى سبيل بلدهم بعد غضب الملك على رفيقيه والقائهما فى السجن فترة ثم يفرج عنهما بعد ذلك لمصلحته •

وتتوالى أحداث الرواية بعد ذلك فيكتشف « توندو » عضو الهيئة العلمية من خلال قراءته عن تاريخ الكوكب أن الملك « سام يو الاول » كلف

---

(٣٦) انظر الثورة التكنولوجية والادب : ١٥٢ •

هيئة الآثار باعداد كبسولة من تلك المعدن ، ليختبيء فيها هو وزوجته وأولاده اذا نشبت حرب الكترونية • ويفرح الملك بهذا الخبر ويشجعه على العثور عليها ، لان وجودها سيوفر عليه استدعاء آخر لسفينة أخرى مصنوعة من هذا المعدن من مصر • ويتم العثور على الكبسولة ويتم احضارها الى القاعدة الكبيرة بالهيئة العلمية ، ويشاهد الملك هذا المنظر من خلال شاشات عرض خاصة،ويلتف الجميع حول الكبسولة ويحاولون فتحها،ليجدوا مفاجأة بداخلها تنتظرهم وهى تمثال لتوت عنخ آمون ، ثم جثة الملك سام يو الاول ومعه سيدة يكتشف بعد ذلك - عن طريق شريط مسجل وجد معهما - أنها عشيقته وأنه خنقها بيديه عندما نقصت كمية الاكسيجين داخل الكبسولة ، ثم مات هو بعدها •

شعر الملك بالارتياح بعد عثوره على هذا النوع من المعدن ، وروادتهفكرة الانتقال الى العالم الارضى وهو بملابس « توت عنخ آمون » ، وينال تشجيع العلماء على هذه الفكرة • ثم يأمر (وحيد) (وكمال) - بعد الافراج عنهما - بالقاء بعض الدروس ، عن الكواكب الاخضر عن طريق الارسال المصور لتهيئة الشعب للانتقال اليه •

ويفرج أيضا عن « عاد حور » الشاب ، الذى قدم اليه مشروعا بإعادة الغلاف الجوى ، الذى بددته الانفجارات والصعود على سطح المريخ ، وقتها ثار الملك عليه عندما علم بمشروعه وألصق به تهمة أخرى وهى التآمر عليه ويرمى به فى السجن ، وكان كبير العلماء على علم بمشروعه الذى اراد عرضه على الملك وانه مظلوم فلم ينفذ فأصدر عليه اقسى عقوبة وهى عقوبة قطع اللسان ، مكتفيا بسجنه ، على ان يتظاهر أمام من فى السجن بانه لا يستطيع الكلام ويكفيه لعنه البشر بعد صدور هذا الحكم عليه •

وعند خروج « عاد حور » من السجن يفكر فى تقديم الشكر للملك ، ويتفق هو وزملاؤه من الثوار على اقامة حفلة له فى قصره تلقى فيها اشعار

المدح وبعض الأغانى . وفى الحفلة يحتسى الملك الخمر ويشعر بانتشاء شديد ، ويبعث فيه شعر المدح فخرا ، وأحس بداخله أن الماضى يبعث من جديد . وحدث مالم يكن متوقعا ، فقد قام الملك يغنى مع الأطفال « ياحبيبنا ياسام يو » ويترنم بحب نفسه ، ويترنح وهو يرقص !

وهنا تبودلت النظرات بين الارضيين وماشادوا وروندو والجميع ، الذين كانوا يحضرون الحفل ليبدأ تنفيذ خطتهم بعد دراستهم موقع الزجاج الذى يحميه ومعرفتهم مكان غرفة « واهب الحياة » ، ويتمكنوا من دخولها، ويجد الملك نفسه فجأة محاطا ، وتنطلق صفارات الانذار ويحاول الملك قطع الاكسجين عن السجن ظنا منه أن الرجل ذا الشعر الأبيض هو الذى دبر كل هذا ، فيمنعه كبير العلماء ويتصدى له ، وأخيرا تنجح الخطة وينهار الملك امامهم ويقبض عليه ويتجمهر الشعب فى الطرقات فرحا ويخـــرج الملك الشرعى من السجن ويطلب الغاء « غرفة واهب الحياة » وازالة الحواجز ، الزجاجية ، ويتبنى مشروع « عادحور » فى اعادة الغلاف الجوى والصعود الى سطح المريخ وتحويل السجن الى دار للعبادة .

وتم اتصال بين وحيد وكمال والدكتور رفاعة الطهطاوى الذى اتصل بكل البلاد لتقديم مساعدتهم لاعادة الغلاف الجوى لكوكب المريخ قائلا : « أعيدوا الغلاف الجوى للمريخ ، فقد تحتاجون يوما الى المـــريخ لاعادة الغلاف الجوى للارض » . وتوافق كل الدول الكبرى على تقديم المســـاعدة لأهل المريخ ، وليلتقوا حول المريخ بسفنهم التى ذودت بالمعـــدن « مصر » والذى اكتشفه على منذ اكثر من عام .ثم بدأوا عملية اعادة الغلاف الجـوى القديم لكوكب المريخ عن طريق استغلال املاح مياه البحر التى تحتاج الى تفاعلات كهربائية بسيطة ليطلق منها كميات هائلة من الاكسجين النقى .

ويدعو الملك ابناء شعبه أن يعمروا الحياة الجديدة ويعيدوا ما انهار منها، وأن يهتموا بزراعة النبات الاخضر فى كل مكان ، هذا النبات الذى يحفظ عصيره الشباب ، وأراد الملك أن يسمع ضحكات الاطفال التى حرموا منها

طويلا ، فطلب منهم أن يتزوجوا ويعقبوا كثيرا كثيرا • أشياء كثيرة حلم بها وتمنى أن تتحقق ، وكان أولها تمثالين أولهما جديد والاخر عمره خمسة آلاف سنة ، وصفا فى أول مبنى على سطح المريخ ، مبنى الصداقة ، التمثال الأول « لعلى المصرى » ، المعلم الاول الذى فتح عيونهم على حقائق غابت عنهم منذ وقت طويل ، والثانى تمثال توت عنخ آمون ، رمز الصداقة بين شعب الكوكب الاخضر _ على مر السنين _ وبين شعب المريخ العظيم • وقد كتبت على لوحة كبيرة من المعدن القديم بين التمثالين عبارة بثلاث لغات « المريخية والعربية والهيروغليفية » « حلت اللعنة على كوكبنا ، لاننا سمحنا للاقزام ان يحتلوا مكان العمالقة واليوم امامنا عمل كبير لاعادة البناء ، الذى افسده الاقزام » (٣٧) لتكون مناسبة لخاتمة الرواية •

واذا كان الكاتب قد جسد بعناية شخصية على المصرى ، فانه أيضـــا قد وفق فى رسم شخصية الحاكم الظالم المستبد ، الذى تمكن من الاستيلاء على عرش الملك الشرعى ، والقاه بعد ذلك فى السجن ضاربا بعرض الحائط كل القيم والمبادىء والأخلاق ، وبالرغم من ذلك يتملكه الخوف فيحيط نفسه بأسباب الحماية ، مستغلا سلاحا رهيبا يتحكم به فى حياة افراد شعبه المغلوب على أمره ، فيذيقهم منه بين فترة وأخـــرى ، ليخضعوا له ومن ثم يحطـــم معنوياتهم عن طريق الخوف والارهاب •

وفى سبيل المحافظة على ملكه يقف أمام كل فكرة ناهضة ، ويتهم أصحابها ظلما ، ويرمى بهم فى غياهب السجن بعد التشهير بهم • وهو حين يرضى يعفو عنهم لمصلحة ايضا ، وحين تطرأ على ذهنه فكره جنونيه يطلب تنفيذها فورا بلا دراسة أو استشارة • يساعده على ذلك من يحيطون به • كما حدث مع الملك « سام يو الأول » الذى وصفه « ماشادوا » بانه كان « متخلفا عقليا » وان كراهيته لمن هم أكثر منه ثقافة كانت لا حدود لها بهم ، وحين فكر الشعب

---

(٣٧) الكوكب الملعون : ٢٥٤ •

فى عزلة كان قد اكتسب قوة وتأثيرا فى كل المجالات ، بالتعاون مع إمثاله ، فاصبح هو ورجاله يحكمون بلا علم ومعرفة بالتاريخ أو الخيال الذى يكشف لهم المستقبل • فكانت النتيجة تدمير الكوكب لأن الشعب سمح للاقزام أن يحتلوا مكان العمالقة •

كما جسد الكاتب شخصية كبير العلماء الرجل العالم السياسى المحنك المخلص لوطنه ، والذى يتمكن بدهائه أن يرضى غرور الملك ـ فى نفس الوقت ـ بتنفيذ أوامره ، ولكن فى الصالح العام وحين لاحت له فرصة التـــآمر عليه وقلب نظام الحكم لم يتردد ، وساعد الثوار بكـــل ما أوتى من حكمــة وخبره •

وهناك أيضا شخصية « ماشادو » المعلم الاكبر صاحب مدرسة التعليم والذى يعترف الجميع بفضله عليهم • ينال إحترام وتقدير الجميع بمن فيهم الملك ، محتفظا بكراهته الى أبعد حد ، فعندما انقلبت الاوضاع بعـــد عن السياسة فلا نجده الا هائما بين الحقول ، يتأمل ويعيد على تلاميذه واتباعه تاريخا فاتهم ، وكان يخطط لهم تفاصـــيل المؤامرة بدقة ، لأنه يفهم تماما نفسية الملك ورد الفعل عنده ، كان يحدثهم عن علاقة كوكبه مع كوكب الأرض عبر السنين ، كان يعترف دائما بتأثير على عليه ، فـــان النيل علم عليا التضحية ، لذلك ضحي بنفسه من أجله ، ولذا يصرح قائلا : « قبل على لم أكن أستطيع أن أبتسم كما ترونني الان ، أو أواجهكم بابتسامتى ، لاننى أعلم أن قلوبكم ليست خالصة ، وانما هى مثقلة بأشياء كثيرة ، وهموم لا نهاية لها ، أفهمها واقدرها ، لقد علمتكم وعلمت أولادكم أشياء كثيرة ، وأنا أطالبكم اليوم أن تتعلموا منى هذه الابتسامة ، ابتسموا مثلي الآن •• واطردوا من نفوسكم الحزن والشجن ، واقبلوا على الحياة ، فالمستقبل امامنا مشرق حافل بالسعادة » (٣٨) •

---

(٣٨) السابق ص ٢٠٥ •

كما وفق الكاتب فى رسم شخصيتى وحيد وكمال اللذين قدرا موقف زميلهما على ، وحزنا عليه ، فهذا اعتبراه فارسا من فرسان القرون الوسطى لا يفكر فى شىء سوى حبيبته . ولم يقلقا على مصيرهم فى هذا الكوكب الغريب، لأنهما أحاطا نفسيهما بصداقات كثيرة وتميزا بالايجابية وباستعدادهما فى تقديم اية مساعدة . وفعلا أصبحا من العوامل المؤثرة فى الهاب مشاعر الجميع بعد المناقشات التى كانت تدور معهما والمعانى الجديدة على اسماعهم وهناك بعض الشخصيات النسائية التى أثرت العمل الفنى فى بعض المواقف مثل ماتسة الطبية ، وابنة كبير العلماء وعضو الهيئة العلمية ، وهى التى اقتربت من على منذ البداية ، وقامت بالكشف عليه بواسطة أجهزة متقدمة ، وتاثرت كثيرا بموت على ، وطلبت من والديها أن يفسر لها معنى الحب والتضحية لتفهم بعدها مشاعر الأبوة والبنوة التى كان القدماء يرددونها . بعدها كانت تناديه لاول مره بكلمة «أبى» وينتابها شعور بالراحة والاطمئنان لم تشعر بهما من قبل : « على هو الذى علمنا ، تصرفه هو الذى أيقظ هذه المشاعر داخلى وداخلك وداخل كل انسان .. أبى أبى الحانى اننا نعيد الحياة الى قلوبنا ، مشاعرنا الانسانية ونعود الى بشريتنا فنحن بشر أليس كذلك »؟ (٣٩) .

وخفق قلبها « لرونتدو » الشاب عضو الهيئة العلمية ، الذى إكتشف وجود الكبسولة وعثر عليها ، وتقدم ليطلبها من والدها وتحن « ماتسو » و« لاناندا » زميلاتها وتعاود علاقة الصداقة معها وتنضم معهم ، وتعترف نانوا بحبها لوحيد ولكنه يعتذر لان ظروفه الآن لا تسمح ..

تجلى أيضا الصراع فى هذه الرواية ، الصراع من اجل هدف سام ويمثله على بتنفيذ فكرته من أجل التقدم العلمى واصراره على نجاح تجربته

(٣٩) السابق ١٢٣ .

ثم التضحية فى سبيل وطنه ثم الصراع المرير الذى يعرق فى اعماق الملك من أجل الحفاظ على عرشه ثم الصراع بين الدول المتقدمة روسيا وأمريكيا وفرنسا لمعرفة تفاصيل رحلة على والتكالب على سماع أخباره بعد تضحيته وتركه للرسالة • وهناك من باع لهذه الدول رسائل مزيفة ، وعلى هذا يأمر الدكتور رفاعة الطهطاوى الى السفر لهذه البلاد ليطلعهم على حقيقة الأمر بعد أن طلبوا توضيحا من مصر ، على أساس أن كل دولة من هذه الدول شاركت بشكل أو بآخر فى التجهيز لرحلة مركب الشمس آمون ، ومناقشتهم فى أمر ما وصلهم من رسائل مزيفة • ثم اطلعهم على حقيقة الامر فى اجتماع تم فى القاهرة •

وقد عمد الكاتب الى اختيار لأسماء شخصياته المصرية من الشخصيات التى كان لها دور فى التاريخ وأصبحت نماذج تحتذى مثل الدكتور رفاعة الطهطاوى الذى تسمى باسم رائد التنوير المصرى ، والدكتور فاروق الباز الذى له اليد الطولى فى المحافل العلمية واستخدامه للأسماء الفرعونية مثل آمون وتوت عنخ آمون ، وكلها أسماء تستحق الخلود وتستحق أن يتأمل الجميع أدوارها •

وللكاتب بعض ايماءات طريفة وقفنا من خلالها على وجهة نظره ، فقد تناول بعض مشكلات كوكب الارض بالنقد أحيانا وبالسخرية أحيانا أخرى ، كنقده مثلا لمذيعات التليفزيون المصرى بعد أن عقد مقارنة بين مذيعات التليفزيون المريخى « والتقيا بفتيات تلفزيون الارض ولكنهن لا يتكلمن كثيرا ولا يحتجن الى مساحيق كالتى يحتجنها فتيات تلفزيون الارض ، لأنهن لا يكبرن ، ولا تتكرمش منهن الوجوه فلا يحتجن الى المساحيق لاخفاء عيوب الوجوه » (٤٠) •

وعندما اراد الثائرون سرقة بعض افلام سينية من حجرة الملك ضحك وحيد وقال : « ان لدينا فى الارض مجموعة من الخبرات فى مسائل السرقة

(٤٠) السابق ٢٠٥ •

والسطو والتسلل ، ولدينا افلام عديدة تعرض على الناس وتلقى نجاحا عظيما ، وضحك كمال وقال : واحد من أكبر مؤلفينا له كتاب صنع منه فيلما سينمائيا ناجحا ، كان اسمه « ياعزيزى كلنا لصوص » .

ثم ينقل تجاربنا فى صرف اذهان الناس عن شىء لاتمام شىء آخر، وهو اقامة حفلات مليئة بالأغانى والتصفيق والهتاف والقاء الشعر فيها ، واغراق الاحاسيس « فى اغانى المريخ ، وكلمات موزونة تلهج بالثناء العاطر على الايادى البيضاء ، فالتصفيق أصاب أناسا بالعمى عما يجرى حولهم من أحدث ، والاغانى أصابت الاذان بالصمم عن الاصوات الاخرى ، كل هذه الاشياء ، كانت خمورا ومخدرات أفقدت النـــاس الاحســـاس بحقيقة الأشياء كل هـــذه أمور يمكن أن تصرف الأذهـــان عما تريدون أن تصرفوا اذهان بعض الناس عنه » (٤١) .

ويقدر الكاتب دور وزارة الأعلام الهام فى نشر الثقافة والعلم فيطلق عليها فى روايته « وزارة البحث العلمى للذكاء والاعلام » .

والكاتب على دراية تامة بما يحدث اثناء الاجتماعات الدولية ، والالتزام بكل الضمانات لمنع تسرب أخبار الاجتماعات الى الخارج ، فعند عقد الاجتماع الدولى فى القاهرة فى أحد الفنادق الكبرى تعودت بنات الهوى الجميلات الراقيات أن يحمن حول « اللوبى » فى الفندق ، ومن أجل تنظيم هذه الاجتماعات عهدوا الى أحد رجال المخابرات السابقين الذى اكتسب خبرة فى هذا النوع من العمل لضمان عدم تسلل اخبار الاجتماع . وقد استطاع أن يمنع دخـول هـــذا النوع من بنات الهوى الى « اللوبى » ، واستطاع أن يجند بعضا منهن ليضمن أن اهتمامهن الوحيد هو ممارسة أقدم مهنة كانت تمارسها المرأة فى التاريخ(٤٢) ويضيف أيضا أن سبب اختياره هو بالذات لانه لم يكن يعرف أيه لغـــة

---

(٤١) السابق ٢٣٠ .

(٤٢) الســابق ٢١٧ .

أجنبية ، فلن نفهم أى شىء يدور داخل الاجتماع • ويتعرض لبعض المشاكل التى تعوق الانتاج مثل لمشكلة كثرة الانجاب وزيادة العدد ، واحالة الموظف للتقاعد في سن الستين • وعندما يعلم ماشادوا ان سن التقاعد هو سن الستين يتعجب من ذلك وتقول : « كيف تقدمتم علميا ، ما دمتم تتركون الخبرات الناضجة وتوقفونها عن العمل ؟ •• انكم تبعثرون الخبرة هدرا فى الهواء » (٤٣)

هذا بجانب أننا نرى حلم الكاتب وتفاؤله بمصر ، وهى تخوض عصر الفضاء ، وتسابق الدول الكبرى فى غزو الكواكب وتدعوهم الى مساعدة سكانها •

ويتضح من كل ما سبق أن روايات الخيال العلمى بهذا الاسلوب لا تدعو الى الاثارة أو التسلية فقط ، بل تتسع لمناقشة الكثير من المشكلات فتستوعب رؤى الكاتب وفلسفته ووجه نظره ، من خلال الكثير من المواقف التى أثرت العمل الروائى • وعمد الكاتب الى الوصف وتحديد الزمان والمكان ، وبخاصة أنه جعل كوكب الارض مقابل كوكب المريخ فاهتم بالاحداث التي دارت عليهما بالتناوب ، واهتم أيضا برصد المشاعر الداخلية للشخصية، واهتم بالحوار كل ذلك بلغة سهلة يسيره مستخدما أسلوب الروای الذى كان يسود صياغتها اللغوية ، وقد بدا ذلك فى غلبة الوصف والسرد على التعبير فيما عدا الاجـزاء التى قدم فيها الحوار بين أفراد الجماعة

أنه يبدأ روايته بمقدمة يدعو فيها الى تغيير العبارة التقليدية التى تقول : « كان ياما كان فى سالف العصر والأوان » واطلاق عبارة سيكون فى قادم العصر والقرون » على هذا النوع من قصص الخيال العلمى : وهذه العبارة مناسبة تماما • وأرى أن الكاتب قد قدم لنا مضمونا لا شك أنه كان كبيرا احتشد فيه فنيته ووقفنا فيه على وجهة نظره فى بناء درامى شديد الاحكام •

---

(٤٣) السابق ٢٠٠

الخيال العلمي في القصة القصيرة

١ ـ في سنة مليون لتوفيق الحكيم :

وفيما يتعلق بعناية الكتاب بالخيال العلمي في القصة القصيرة ، نجد أن الكاتب توفيق الحكيم له فضل السبق في هذا النوع من القصص القصيرة بقصته التي تحمل عنوان « في سنة مليون » (١) وهي تحمل رؤية غريبة لما يمكن أن تحدث للعالم بعد مليون سنة ، فلا حروب ، ولا مرض ، ولا موت بعد أن تغلب العلم على الموت ، لم يعد هناك قوم يموتون • العلم هو الذي يجهز بكتريا النسل الآدمي في معامله ، أصبح البشر شبـأنهم شأن عناصر الطبيعة الخالدة التي لا تتغير ، كلمة الشيخوخة لم يعد لهـا مدلول في لغة ذلك العصر ولا كلمة الشباب •

وفجأة يعثر أحد علماء طبقات الارض على جمجمة آدمية ، فيقدمها الى صديقه الكيميائي الذي يقف مندهشا أمام هذه الرأس التي تجردت من اللحم والدم والشرايين « وظهرت على وجه العالم الكيمائي عين الحيرة التي ظهرت على وجه قابيل يوم رأى الموت لاول مرة ينخر في هابيل المقتول »

ويرجع عالم الجيولوجيا ان هذا انسان • ولكن كيف وصل الى هذه الحالة ، حاول أن يكتشف السر ، ويتطرق مع العالم الكيميائي في مناقشات عن الحركة ، والجمود ، والمستقبل ، فكلمة المستقبل عجيبة الوقع على آذان القوم في ذلك العصر فليس هناك غد ، ولا ليل ، ولا نهـار ولا نوم •• فالضوء الصناعي أغناهم عن الشمس ، انهم في حركة دائمة كحركة القلب

---

(١) توفيق الحكيم : مجموعة أرني الله : ١٣ ط دار الهلال ١٩٨٤ •

لا تعرف الهمود ولا الجمود ، لا تعرفون الا الحاضر الذى يبسـط جناحيه الهائلين على أحقاب تبدو لكيانهم الخالد كأنها يوم واحد ٠

وهنا تبرز عند عالم الجيولوجيا كلمة العدم ، فيفر العالم الكيميائى من أمامه كالهارب ذاهبا الى دار هيئة العلماء ، ليعرض عليهم الامر وما نطق به من ألفاظ غريبة المعنى مبهمة المرمى ٠

وتلقوا الخبر بدهشة ، وطلبوا حضوره ، فلما مثل أمامهم سألوه بيانا عى تصريحاته ٠ فيعرض عليهم فكرته عن الموت بقوله : « ألم يشعر أحدكم مرة باغفاءة طارئة عابرة كخفقة الجفن ، أحس خلالها لذة وراحة من نوع غريب ؟ ٠٠ هذه اللمحة يمكن أن تطول ، ويمكن أن تمتد على مر الزمن حتى تصبح « عدم وجود » ٠٠ وتنقلب الى ذلك الشىء الذى أسميه الموت » (٢) ٠

أيقن العلماء أن زميلهم جمح به الخيال وطالبوه أن يقدم برهانا فيظهر لهم الجمجمة فيفحصونها دهشين ٠ ثم ما لبثوا أن تبادلوا نظرات السخرية والشك ٠ وأجمعوا على أن أقوام ماقبل التاريخ كانوا يصنعون الهيكل الآدمى صنعا ، وهذه العظام كانت «مشروع» خلق آدمى لم يتم صنعه ٠ ويحذره العلماء من المضى فى مثل هذه الترهات خوفا على بسطاء العقول فى المجتمع ٠

وهناك يلجأ عالم الجيولوجيا الى النوع الالطف والارق من البشر الذى كان يطلق عليه « الانثى » منذ خمسمائة ألف سنة ، وقد زالت الفروق بينهما على مر السنين ، فقد صار أشبه بنوع واحد ، ولم يعد المجتمع يميز بينهما الا بالرقة واللطف فى التركيب ٠ ويروى لصديقه انلطيف القصة ويعرض عليه الجمجمة مع تصوره عن فكرة الموت ٠ ويجد صعوبة فى أن يصور لصديقه ما يخامره من أحساس لانهم لا يعرفون الحدود الزمنية ، فهم بلا ذاكرة لايعرفون

---

(٢) السابق ص٦٥ ٠

الماضى ولا التاريخ ، حتى كلمة الحب فقدت معناها منذ مئات السنين ، بعد انعدام الميل الغريزى بين الذكر والانثى ، بعد أن تولت المعامل افراخ النسل ، وبزوال الحب زال الشعر والفن • ولم يبق مكان للعاطفة غير عاطفة الزمالة أو الصحبة ، وقلما التهبت هذه العاطفة ، حتى صارت الى هذا اللون الغامض، الذى يربط عالم الجيولوجيا بصديقه • لقد زال اتصال القلوب وحل محله اتصال الافكار •

يعجز الصديق عن فهم العالم لانه مضطرب الفكر ، وحاول تصور فهم « اللانهاية » أو الموت وكأنه يستعين بالهامه الخفى وباشراقه الداخلى •

وينتهى اللقاء بينهما بعد أن وصلا معا الى معنى الموت وما يحققه من سعادة • ويشجعه الصديق اللطيف بنفس كلها ثقة ورجاء •

ذاع خبر العالم الجيولوجى ، وانضم اليه الكثير ، وكأنه أول نبى ظهر منذ مئات الالوف من الاعوام ، فانهم فى تعطش الى راحة مجهولة ولكن كانت أمام العالم عقبة ، هى أشبه بالمعجزة ، يطالبه بها الجاحدون لافكاره فكيف يميت لهم الحى • لابد أن تعينه قوة خفية اذا كان حلمه حقا ووحيه صدقا والهامه صحيحا • وهنا يعود الشعور بوجود «الله» الاكبر الى الظهور فى النفس الانسانية من جديد • . .

وتقع المعجزة فعلا ، فاذا بنيزك ضخم من نيازك السماء يضرب وجه الارض ، فيسحق رأس انسان فوق سطح بيته بجوف الارض • ويهرع النبى وأتباعه اليه ليراقبوا ماحدث له ، وتسرع الحكومة لاستخلاصه من أيدى الاتباع لاعادة ترميمه • وترفض تسليمه ، وتقع الفتنة ويحدث شغب هو الاول منذ عشرات الالوف من السنين • وتنتصر الحكومة ويعتقل النبى ويقدم للمحاكمة فيصفه زملاؤه العلماء بأنه مخبول ، وأن خياله خطير ، فيحكم عليه باستبدال

رأسه ، وهى عقوبة تعادل اطاحة الرأس فى الاوقات القديمة ، فقادوه الى معمل كهربائى ٠٠ وسلطوا على خلايا تفكيره أشعة خاصة ، فاذا هى تضعف ، فأحلوا محلها تفكيرا آخر هادئا دمثا بسيطا ٠٠ لا شخصية فيـــه ولا عنف ولا ارادة ٠

وينشر صديقه وأتباعه فكرة خفية عن الحكومة ، مؤكدين للناس أنهم رأوا الموت فى شخص ذلك الانسان المسحوق الرأس ، لولا أن الحكومة سارعت باخفائه لشهدوا المعجزة ٠

وبمرور الوقت تشتعل العقيدة ليصلوا الى فكرة «الله» الاكبر الذى فى مقدوره منح الانسان سعادة روحية ، وراحة علوية ٠ ويصل الاتبـــاع الى فكرة تحطيم النظام القائم على سلطان الاله القائم على «العلم» الذى أعطاهم جبروت العقل وسلبهم نعمة القلب ولذة الغريزة وأحاط الجسد بسياج من حديد ويعنى بخلود الجسد ٠

حطموا الآلات فاضطرب النظام ، وسادت الفوضى وتعذر وصول الغازات المغذية الى كثير من السكان ، فظهرت أعراض المرض على البعض وتوالت هجمات الاتباع ، واستطاعوا التجمع والاعتصام بناحية من الارض ٠

وبمرور السنين يظهر «الموت» ، وبظهوره يظهر «الخوف» ثم غريزة المحافظة على النوع ، وبدا النوع يتفرع من جديد الى ذكر وأنثى ، وظهر «الحب» ، وبظهوره ظهر «الفن» و «الشعر» ٠ وهكذا حكمت الطبيعة بوجود الاله الاكبر مرة أخـــرى ٠

هذه القصة التى قدمها لنا توفيق الحكيم بأسلوب بارع رشيق ، تحمل لمحات وتصورات لما يمكن أن يحدث للعالم بعد آلاف السنين ، وبعد سيادة الآلة على العنصر البشرى وقد خضع لها الجنس البشرى كله ـ أقصد الجنس البشرى

فقط - فلا يوجد حيوانات بعد أن انقرضت منذ مئات الالوف من السنين ، أبادتها الحروب الذرية والكيميائية ، التى سحقت وجه الارض وأبادت كل حيوان ونبات وطائر ، فاضطر الانسان الى سكن جوف الارض بمصانعه ومعامله ، يتغذى عن طريق الآلة التى ينبعث منها غازات كيميائية تطلق فى البيوت وتستمد موادها من عناصر الجو واشعاعات الاجرام .

يقدم لنا الحكيم شكل الانسان الكائن فى تلك الحقبة من الزمن ، فليس هناك فرق بين ذكر وأنثى ، فلم يحتفظا بأى فروق بينهما بانتهاء الوظائف العضوية ، أصبحا صنفا واحد من الانسان يطلق عليه اسم «قاطن الكوكب الارضى» ، اختفى الفم واختفت الاسنان فلم يعد لهما حاجة بعد أن أصبح الغذاء عن طريق الآلة والكلام عن طريق نقل الافكار من رأس الى آخر وأصحابها جلوس فى صمت . « ضمرت معدته القديمة واختفى جهازه الهضمى فاذا هو رأس يفكر ، وأنف يستنشق به غذاءه من الهواء ، وطعامه من الغازات ويدان ضعيفتان وساقان هزيلتان لقلة الاستعمال . لم يعد هناك فرق بين انسان وبحر وكوكب .. انه مثلها خالد .. ومثلها لا حاجة به الى أن يعمل بيديه ليعيش .. بل انه شبه اله لا يلد ولا يولد .. يجهل الموت ويعرف الابد ولا يدرك الامس ولا الغد (٣) .

المجتمع الآلى بهذه الصورة لا نعتبره الا حربا على الانسان وعلى مشاعره وعلى عقله وما فطره الله عليه بعد أن أصبح أشبه بالآلة ، يجد حاجته دون مشقة ، انهارت كل المثاليات المرتبطة بالعاطفة والحب ، طالت الاعمار بلانهاية افتقر الانسان للحافز ، وفقد الحس والجمال . غير أن هذه الآلية وان سيطرت على الحياة لم يتركها الحكيم لتعم كل الناس بل أكد أن وسط هذا المجتمع الراكد وجد الانسان الذى يعمل بعقله ويصل الى الحقيقة بفطرته ،

---

(٣) السابق : ٦٨

الى الجوهر عن طريق المكاشفة والوجد ، واعتبره أتباعه نبى هذه الأمة التى سيقودهم مجتمع الانسانية .

والقصة فى اطارها العام وفى حبكتها تعتبر «قصة رمزية» يلتقى حولها المفكر وغير المفكر أو القارىء المتخصص وغير المتخصص ، حاول من خلالها أن يوائم بين الفلسفة والدين مثبتا فيها أن الانسان هو الانسان فى كل زمان ومكان حتى يمكن أن يصل الى الحقيقة بذاته ، أو تشير الى تجربة ذاتية يستشعرها الانسان اذا بلغ مرتبة عقلية سامية فيصبح متصلا بالملأ الأعلى الذى يدرك عن طريقه أسمى المعارف الانسانية ، فالبطل هنا فى هذه القصة يعتبر رمزا للعقل فى صراحة مع العالم المادى ، بعد أن وصل الى فكرة معينة وحاول نشرها وكون أتباعا له آمنوا بفكرته ولم تحل محاولات القوة دون نشرها ، فتغير وجه الانسانية وبعثت فى هذا الزمن وحكمت الطبيعة بالهها الاكبر وعادت الاديان السماوية وعاد الشعراء ينشدون ويقولون (٤).

أيها الخالق الازلى .. لك أنت وحدك الخلود والجبروت .

أما نحن فلا نريد أن نكون سوى بشر .

لنا جسم مرتو ، وقلب متقد ، وعقل متئد .

أيتها الطبيعة الرحيمة .. لك أنت وحدك عمر الابد ..

أما نحن فلا نريد غير عمر الندى ..

يهبط من السماء عند الفجر ..

ويصعد الى السماء عند الضحى ..

اذن فالحكيم يجعل «طريق الخلاص» على يد العقل ، بعد أن فقد البشر كل صفاتهم الانسانية ، وصاروا كالآلات الجامدة ، كانوا بلا مستقبل ، لا يشعرون بالزمن ، ولا يقترب الموت منهم ، أصبحوا الآن ينشدونه لان فيه

---

(٤) السابق ٧٤ .

راحتهم وسعادتهم . فالطبيعة الانسانية لا تتوافق مع الخلود ، فلابد للانسان أن يجوع ويعرق ويمرض ويموت ، لتصبح نسبته الى البشرية .

وللحكيم أيضا مسرحية تدور حول الحياة والزمن وتبنى على فكرة : هل يرضى الانسان بالخلود اذا توصل اليه ، وعالج أيضا فكرة الثروات باعتبار أنه خاصية من خصائص البشر وذلك فى مسرحية « رحلة الى الغد »

٢ ـ قصص قصيرة لنهاد شريف (٢) :

ولنهاد شريف ثلاث مجموعات قصصية قصــيرة وهى : رقم ٤ يأمركم (١٩٧٤) ، وتضم عشر قصص ، «والماسات الزيتونية » ١٩٧٩ ، وتضم احدى عشرة قصة ، و «الذى تحدى الاعصار» ١٩٨١ ، وتضم ثمانى قصص · وقد حرص على أن يقدم كل مجموعة باهداء يشير الى التطور المذهل لعالمنا الذى نعيش فيه ، وهى يحمل لنا هموم الكاتب الحقيقية ومشاعره تجاه ماسيحدث للعالم من تغيرات خلال السنوات القادمة ، فهل العلم سيحل كل المشكلات ، انه يبدى قلقه وتوجسه من الفناء الذرى المتوقع ، يتساءل أيضا عن بشاعة الصورة وهولها حين تقوم حرب نووية عالمية ثالثة ، وصورة الحياة فيأعقابها أو صورة الحياة اذا حل العصر الجليدى المتوقع ، وكانت أيضا للخوارق وكائنات العالم الآخر نصيبا فى قصصه ·

وتدور خصص المجموعة الاولى من قصصه القصيرة «رقم ٤ يأمركم» (١) على فكرة الصراع بين قوى تستخدم العلم لقهر الانسان ، وأخرى تستخدمه للقضاء على هذا القهر ، والانتصار يكون غالبا فى جانب القوى الاخيرة · انه يريد أن يكشف القنــاع عن أخطار التقدم العلمى والتكنولوجى فى مجالات الفتك ومجالات الدمار والافناء ، فهناك ثلاث قصص تدور حول هذه الفكرة وهى «حذار انه قادم» ، و «لكى يختفى الجراد» ، و «رقم ٤ يأمركم» ·

فالقصة الاولى «حذار انه قادم» تدور فكرتها على ســـيادة الانسان الآلى على الارض بعد اختراع الانسان له ، ولكنه مالبث أن ثار على خالقه ، لان الناس تنافسوا فيما بينهم ، وتقاتلوا مما أدى الى الفناء الذرى ، فانزوى من تبقى من بنى الانسان فى الغابات ، وسيطر الجنس الآلى ، وهو جنس له

---

(١) نهاد شريف : رقم ٤ يأمركم مؤسسة أخبار اليوم سنة ١٩٧٤ ·

القدرة على أن يصنع أشباهه ممن يتحركون ويفكرون ، لكنهم بلا حس ولاشعور حتى استطاع احد علمائهم أن يضيف الى أحد أبنائه الاحساس بالعاطفة بعد أن ثبت له جهازا فى مؤخرة رأسه ، فيشعر الابن بوجوده بعد أن امتلك شيئا جديدا لم يحصل على مثيله أحد سواه وهو الاحساس . يحاول الابن أن يستفسر عن طفولته ويحتد عليه الاب ويفهمه أنه كائن متفوق وسام من نسل الآلة أرباب العقول الالكترونية . ولم يقتنع الابن فيقتحم احدى القاعات السرية بالمكتبة الاهلية ، ويعثر على مخطوط يعرف منه أن أجداده كانوا من ابتكار القوم المتوحشين أبناء آدم وحواء ، وأنهم نتاج انجازات البشر . ويدهش الابن بهذه الحقيقة ويعرف أيضا أنهم كانت لهم حضارة راقية . وحدثت الانفجارات النووية ، وما يصاحبها من حروق وأمراض وعلل .

ويذهب الى حبيبته «سوها» وهي احدى بنات الانسان ويشعر أهل سوها بمجيئه فيفسحوا له الطريق قائلين «حذار حذار انه قادم» .

وهنا تظهر له «سوها» من حفرتها « واسعة العينين . دقيقة الانف والفم لدنة .. ناعمة البشرة .. على الرغم من قذارة قدميها الحافيتين . ينسكب شعرها الفاحم على كتفيها العاريتين فى حلاوة الابدية » (٢) .

وقد أسر لها بأنه سئم وجوده الزائف ، ولن يعود للعيش مع أهله مرة أخرى . ويدور بينهما هذا الحوار الذى يحمل مشاعر واحاسيس مرهفة :

- سأبقى هنا ..

- أين ! !

- معك .. بجوارك أنت ..

- كيف ؟

- سأرتبط بك .. سأبقى فى حفرتك ..

- تعنى نتزوج ..

---

(٢) السابق : ١٢ .

- هى الكلمة ..

- ولكن غير ممكن .. مستحيل .. فأنت

انخفض .. أنا ماذا ؟

- أنت لست على شاكلتنا .. تكوينك مغاير لتكوينى ..

- أنا ماذا ؟

- أنت .. أنت آلة من نسل الآلهة المتسيدة .. أما نحن .. فانتـــا حيـــــــوانات ..

- بل أنتم أحياء .. مخلوقات حية .. أما نحن فجماد .. هكذا أخبرتنى مجلداتنا القـــديمة ..

- لا تبتئس ..

- أنا جماد .. أنا جماد ..

- أنت آلة .. طيب ..

- أنا جماد .. أنا جماد ..

يقرر الابن الرحيل ويخفف عنه أبوه ويوضح له حقيقة الموقف ، اذا هو حاول البقاء معهم فهو محتاج لاعادة شحن بطاريته الذرية كل عام ، ثم ان جنسه الآلى سوف يصبون عليهم نقمتهم فلابد من التضحية . ودعهم واحساس ممتع يغمر ثناياه تشيعه همهماتهم ودعواتهم ، متجها الى المفاعل الذرى ، الضخم الذى يمد قومه بطاقة بقائهم .. ليدمرها ثائرا ومتمردا على حياته ، وكأنما يكفى عقاب الانسان ألف وثمانمائة عام . يهيم كالوحوش فى الغابات لنزقه وتهوره ، على أن تعود له سيطرته على كوكبنا لعله يكون قد تعلم الدرس بعد أن دفع الثمن .

والقصة تصور المصير الذى يمكن أن يلقاه البشر اذا لعبوا بالنار وأصروا على افناء حضارتهم . صور الكاتب بدقة بالغة وبأسلوب فنى مؤثر مشـــاعر

البطل الآلي بعد أن لفتيلاكه للعاطفة صراعه ضد قومه ، حتى صدم بحقيقته وأخيرا تضحيته ، وبما أحدثه من تدمير للمفاعل الذري ، ليتم على يديه الخلاص، الخلاص مما تردي فيه ، والخلاص للانسان فيكفيه ماناله من عقبا • فنفى بذلك ما اشتهر عن القصة العلمية من انها تتميز بتسطيح شخصيتها •

وتقوم قصة «لكى يختفى الجراد» على الصراع بين من يستخدمون العلم من الناس للقهر وللسيطرة على اخوانهم من البشر ، وذلك بتسليط أشعة معينة على أهل البلدة المراد احتلالها تفقدهم كل قدرة على المقاومة بل انهم ينضمون الى عـــدوهم •

وهذه القوة تطلق على نفسها «شعب الله المختار» يقتحمون القرى والمدن ، ويجمعون أهلها تحت الحراسة في أحد الميادين ، ليشكلوا مثلثا متساوي الاضلاع يحاصرهم الجنود ذوى الاردية البرتقالية ، ويلقى زعيمهم كلمته فهم يؤمنون بعقيدة واحدة ومبدأ واحد وأمة واحدة تسود العالم تحت حكمنا •• و « سيتولى تقويمكم الشعاع المقدس باعث الوجود الجديد وباعث الكيان الامثل لابنائكم والفكر الاطهر لعقولكم •• » (٣) •

بعدها ينساب من فوهة جهاز خاص ضوء باهر غطت أشعته الارجوازية المختلطة بألوان قوس قزح الاهالى المحاصرين لعدة دقائق ثم أقفل الجهاز • « وفى نعومة مثيرة راحت سحابة الضباب تنقشع ، مخلفة وراءها الذين احتوتهم من قبل ، وقد بدوا مجرد هامات مجمدة عابسة ، يغرقها تيه من الذهول الغامض الذى يثير الشك » (٤) •

كان هناك بعض أفراد من رجال المقاومة يجتمعون خفية بداخل أحـــد

---

(٣) السابق ١٧ •
(٤) السابق ١٨ •

خزانات المياه القديمة ، لم يتملكهم اليأس امام ما يملكه العدو من سلاح رهيب ، وكانت وسيلة التغلب عليهم هو محاربتهم بسلاحهم نفسه ، بعد أن عثروا بداخل حافظة أحد القتلى من الاعداء على رسم تفصيلى لتركيب جهاز الاشعة ، الذى يستخدمونه ضد الاهالى ، ويسمى «شمعة النفاذ الالكترونى» ، وأمكنهم « صنع شمعة الكترونية ذات مفعول مضاد ، فان بمقدورها أن تحول فاعلية الجهاز الى عكس المطلوب منه ، فبدلا من الاستسلام والخنوع يقوم الجهاز ببث الكراهية والحقد فى عقول المسلطة عليهم الاشعة تجاه حائزى الجهـــاز » (٥) ٠

وعلى ذلك قامت فرقة انتحارية بتدمير بعض سيارات العدو ، وفى احداها عثروا على أجهزة « باعثى الوجود الجديد » وحاصر الاعداء القرية ، وجمعوا أهلها على شكل المثلث المعهود لالقاء الضوء الباهر عليهم لقمعهم ، لتحدث المفاجأة التى أذهلتهم « فمع انقشاع الضباب اندلعت المفاجأة صاعقة مذهلة لتشل فى التو كل خلية وكل عصب بأجساد الغزاة ٠٠ انطلقت من أعماق السحابة على غير توقع وكأنها آلاف الشهب تدمر وجه القمر أو كالاعصار يسحق قاربا فى طياته » (٦) ٠

اندفع الاهالى كالسيل قاصدين الجند ، وحقد الازل يتطاير من عيونهم ، فى حين تسمر أفراد العدو وعجزوا عن التحرك ، فان آخر ما كانوا يتوقعونه هو الذى يحدث امامهم الآن ٠

وهكذا انهزم الجراد فى قرية بعد أخرى حتى اختفى بالارادة والاصرار على النصر ٠

---

(٥) السابق ٢٣ ٠

(٦) السابق ٢٥ ٠

ونلاحظ أن الكاتب هنا نوع في استخدام الرمز ذلك أنه من ناحيــة يشير هنا الى الغزو الاسرائيلى للاراضى العربية ومقاومة الفدائيين له • ومن ناحية أخرى فانه يلح على قضية « هل العلم نعمة أم نقمة » ، فهو نعمة فى يد الحكم النزيهة ، ونقمة فى يد تجار الحروب ، ففيه استعباد للانسانية ودمارها وسحق للشعوب الآمنة ولحضارتها ، فان انتصروا فى البداية كما حدث فى هذه القصة فان الحق سوف ينتصر فى النهاية •

والقصة هنا تقوم على «حبكة تقليدية محكمة» بدأت بداية مثيرة ، وحدد المؤلف عنصرى الزمان والمكان ، ولم يحدد شخصيات معينة وانما أبرز الصراع بين الاعداء ومقاومة الاهالى له باكتشافهم الذى أبطل مفعول جهازهم الرهيب ، ولتكون الغلبة لهم فى نهاية القصة • وقد عمد الكاتب الى دقة الوصــف ، فوصف جهاز « شمعة النفاذ الالكترونى » وما يحدثه من آثار على المخ البشرى « فتحول ذكرياته القديمة وتمزق تسجيلات العقل الباطن شر ممزق مثلمــا تمحقو التسجيلات السابقة من على شريط التسجيل ، وهى لاتفعل ذلك فحسب وانما يسيطر أيضا على كل ذرة فى الجهاز العصبى وكل خلية عصبية تأتمر بأمره » (٧) •

ونلاحظ أن احداث القصة تدور فى القرن الحادى والعشرين حيث التقدم العلمى الرهيب في الاسلحة ، وأشار الى «مدينة الابحاث الزجاجية ، وبجوارها مصنع قطع غيار البشر الذى افتتح منذ عامين » (٨) •

فطلقات الليزر تسلط على من يحاول التمرد فتتفحم الاجسام فى لحظات ،وقد أوحى الكاتب لنا أيضا بجو المعركة ، ووصف تحركات الاعداء بطائراتهم

---

(٧) السابق ٢٢ •
(٨) السابق ١٩ •

العمودية ، ووصف أيضا اجتماع الفدائيين الذين يطلقون على أنفسهم « الجبهة الحرة المكافحة حتى الفناء » (٩) .

ثم هناك الحوار الذى دار بين الفدائيين فى تركيز شديد حمل كل معانى اليأس والامل .

« جربنا أخيرا ابطال مفعول جهازهم على عقول الذين سحرهم ولكن .. للاسف .. لقد فشلت كافة الادوية والعقاقير التى استعملناها معهم »

ـ معنى ذلك أننا نسير فى طريق مسدود ؟

ـ وأن لا أمل فى وقفهم على الاطلاق .

ـ بل هناك أمل على الدوام .. (١٠) .

★★★

أما قصة «رقم ٤ يأمركم» التى جعلها المؤلف عنوانا لمجموعته هذه ،فانها أكثر وضوحا فى اتجاهها الفكرى ، وقد تخيل الكاتب أن هناك كائنات على كوكب المريخ أكثر تقدما من الانسان ، وهى تعيش فى باطنه لشدة برودة السطح بسبب بعده عن الشمس ، ولكارثة انفجار الكوكب رقم ٥ وهو بين المريخ والمشترى ، وتفتته من ناحية أخرى مما عرض سطح المريخ لتساقط آلاف القذائف والشهب . أما سبب الانفجار كما يشير فهو حرب قامت بين مخلوقاته ، تم خلالها تفجير ملايين القنابل الهيدروجينية فانفجر الكوكب ،ومن هنا فان أهل كوكب المريخ يأمرون أهل كوكب الارض بتدمير كل الاسلحة الفتاكة حتى لا تحدث كارثة أخرى .

بدأ المؤلف القصة بداية مثيرة ومشوقة حيث وظف صوتا غامضا غطى

---

(٩) السابق ١٩ .

(١٠) السابق ٢١ .

صفحة الارض . انطلق هادئا فى أول الامر ثم أخذ يعلو ويقوى حتى يسمعه كل فرد ، فى كل أنحاء الارض ، ويخاطب كل شعب بلغته ليذيع بيانا الى كل مخلوقات الارض . «وهذه البداية تشبه الى حد كبير بداية رواية « سكان العالم الثانى » وبين لهم هذا الصوت الفارق الحضارى بين الكوكبين ، فانهم يراقبون سكان الارض منذ زمن بعيد وحذرهم من نتيجة اكتشاف الذرة ،فقد استخدموها فوق مدينتى هيروشيما وناجازاكى . فانهم فى طريقهم الى تدمير كوكبهم كما حدث للكوكب رقم ٥ ، وأهاب بهم تدمير وابطال وهدم كل المفاعلات الذرية وكل ما يسير بالطاقة النووية . وأمهلهم لفترة أسبوعين .

وهنا تبودلت الاتهامات بين الروس والامريكان ؛ وتحركت القاهرة لتوقظ من حولها من أعضاء المعسكر الثالث الحيادى ، وحاولت تقريب وجهات النظر خلال أسبوع طويل .

ويظهر الصوت مرة أخرى مؤكدا ما أذاعه من قبل ، ثم تظهر الاطباق الطائرة لتملا صفحة السماء .

وقد عقد لقاء بين عشرة دول فى القاهرة ، وقرروا اللجوء الى القوة فأطلقوا الصواريخ نحو الاطباق لتسقط الصواريخ فى البحر .

هبت جموع الناس تبحث عن مخابىء القنابل لتدميرها وتحدث المفاجأة ففى اليوم الاخير « تسللت رائحة الكافور النفاذه الى الانوف .. وفى أعقابها هبطت سحابة الدخن الوردية تغلف الاجسام التعسة المستسلمة . متى هبطت السحابة وكيف طوت كل الاحياء فى أعماق عبيرها .. لا أحد يدرى .. وحين انجابت سحابة الدخن الوردية .. واستيقظ الناس من غفوتهم القصيرة .. وكان قد مر يوم بساعاته الاربع والعشرين .. وحينئذ فان كل ما أحسه الخلق .. أهل الدنيا .. كان حاجة ملحة للطعام والشراب .. وشعور متسلط بالارهاق .. مثلهم مثل من أمضى يومه فى تسلق جبل عال صعب

الدروب دون ان يتناول زاده بالمرة » (١١) .

وقد إختفى مخزون القنابل وأسرار تحطيم الذرة وأدوات الحرب والسلم المتحركة بالطاقة الذرية . نسى بعض الناس هذه الاحداث . البعض رأى فيها كابوسا .. والبعض شملهم أحاسيس مبهمة ولكنهم أيقنوا ان « هناك .. من يراقبهم ويحصى كل حركة لهم من أعماق جارهم الكوكب الفضى .. المسمى بالكوكب الاحمر .. » .

فهو ينطلق فى هذه القصة الى السماء عبر الفضاء الخارجى ، مشيرا الى أن هناك سكانا أكثر حضارة وأكثر تقدما يراقبون كوكبنا ، ويتم اتصالهم بنا ويتوجهون بالنصح لنا . ويحذرنا من مغبة الاستخدام الخاطىء لاسلحة التدمير الرهيبة .

ويشير أيضا الى مركز مصر بين الدول ايمانا منه بمستقبلها العالمى ، وهو حلم الكاتب الذى رأيناه فى روايته قاهر الزمن .

هناك أيضا من حاول الاتصال بهذه المخلوقات فى الكواكب الاخرى التى تراقبنا من على البعد بوسائلها المتقدمة ، ليكشفوا لنا عن أحداث جريمة وقعت منذ سنتين وحكم فيها القضاء حكما ظالما . وذلك فى قصة « عين السماء » ، وهذه القصة تقوم أيضا على أن هناك مسافات ضوئية بيننا وبين الكواكب الاخرى ، وقد تخيل الكاتب أن جريمة وقعت على كوكبنا ، وأن كوكبا آخر سجل هذه الجريمة وأعاد ارسالها الينا بعد أن وصلته بعد عامين من وقوعها ، والاقرب الى التحقق العلمى ، هو ايجاد طريقة ما تعكس موجات الضوء ، الساقطة من كوكبنا على مثل هذا الكوكب ، بحيث يرتد الضوء المرسل

---

(١١) السابق ٤٤ .

اليه مرة أخرى على كوالبنا ،فيمكن مشاهدة ما وقع في الماضي كشريط سينمائي باعتبار أن الطاقة الضوئية ـ مثلها مثل بقية الطبقات ـ لا تفقد بل يمكن استعادتها حين تتقدم وسائلنا العلمية ٠

وهذه القصة لم تأت أحداثها مرتبة ترتيبا تاريخيا ، بل رتبت بحيث تثير ، واعتمدت على خمسة مشاهد ، تباعدت أحداثها وأماكنها وان جمعها خيـــط واحـــــد ٠

فبدأ بالمشهد الثالث وتاريخه (الاحد ٤ ابريل سنة ١٩٦٥ صباحا) في محكمة الجنايات بباب الخلق ، حيث يبدأ القاضي النطق بالحكم على المتهمة (صفية أحمد نصار) المتهمة بقتل زوجة أبيها (ابتسام نصحى أبو العينين) ذبحا ٠٠ فيقاطعه (توفيق) وكيل النيابة راجيا المحكمة تأجيل النطق بالحكم لجلسة أخرى ، ليحضر معه أداة ارتكاب الجريمة ٠ وهنا يؤجل النطق بالحكم ليوم ١٩٦٥/٤/١٠ ٠

أما المشهد الأول ١٩ مارس ٦٥ ، فيقدم لنا شخصية مختار ، معيد العلوم في فيلا نائية بجبل المقطم ، تكتظ حجرته بأجهزة لاسلكية ، والكترونية ، يحاول بواسطتها الاتصال بالنجوم والكوكب ٠ وفجأة تظهر على شاشة أحد الاجهزة بعض اشارات ونجوم غامضة احتار في تفسيرها ، فراح يقيس أطوال الموجات الاشعاعية وأعاد حساباته من جديد ، تناول منظارا أبرزه من النافذة وشملته رجفة ، وهو يشاهد لاول مرة ذلك الجرم السماوى الخافت يعبر السماء ، ليتلقى أول رسالة ناطقة بالعربية من الكوكب الذى يبعد عن أرضنا بمسافة سنتين ضوئيتين ٠

المشهد الثاني السبت ٣ ابريل سنة ١٩٦٥ ٠٠ لقاء يتم بين توفيق وكيل النيابة ، ومختار معيد العلوم في قهوة عكاشة بشارع محمد علي ، حيث يحدثه

عن رسالة الكوكب المار اليه ، فهم صورة مصغرة من كوكب الارض يركزون نشاطهم اللاسلكي على جمهورية مصر وأجزاء من الصحراء الكبرى والسودان ، وقد سجلوا بعض مشاهد يومية فى أماكن متفرقة من مدينة القاهرة ، مع ملاحظة أن هذه الاحداث حدثت من عامين مضيا بآلات تصوير مركبة على تلسكوب فائقة الحساسية .

وهنا يلح عليه وكيل النيابة بضرورة الاتصال بهم لمحاولة معـــــرفة حقيقة الجريمة فمن الجائز أنهم قاموا بتسجيلها .

المشهد الرابع : الاثنين ٥ ابريل سنة ١٩٦٥ مساء .

محاولة الرجلين الاتصال فتأتى اليهما الرسالة ويحاول مختـــار فك رموزها ، لتقع المفاجأة ويكتشف أن القاتل هو عشيق زوجة الاب ، وأنه قتلها بسكين دفنه تحت نخلة وحيدة بحديقة بيت ..

المشهد الخامس : الاربعاء ١٤ ابريل سنة ١٩٦٥ ظهرا .

لقاء الصديقين فى مقهى عكاشه بعد اثبات براءة الابنة والقبض على مرتكب الجريمة .

ويبدى مختار أسفه ، لانه لم يعاود الاتصال بهم وسيحاول معهم أو مع مخلوقات غيرهم .

وهناك أيضا من يستقلون احدى السفن الكونية ، ويتجهون الى سطح المشترى والذى يبعد عن الارض بـ ٣٩٠ مليون ميل ، فهم يبحثون عن امكانية وجود حياة هناك وهذا موضوع قصة بعنوان « **وجهان لقصة واحدة** » .

فقد استقل ثلاثة أشخاص السفينة الكونية « برق السماء » التابعة لمركز اطلاق الصواريخ المصرى « فجر » ، متجهين الى المشترى ، يتناوب الثلاثة

فيما بينهم فترات يقظة ، وتدور بينهم مناقشات عدة حول امكان وجود حياة على هذه الكواكب ، ولكل من ثلاثتهم قصة راح يرددها فى داخله ، عندما ينام الآخران ، كل هرب من واقعه الى ساحة الفضاء علة يجد فيه ملاذا لما يشـــعر به ٠

وفجأة يحـــدث خلل فى الســـفينة وينكب ثلاثتهم على أجهزتهـــا ، ويكتشفون انحراف المركبة بزاوية حادة تجاه المشترى ، وينقطع اللاسلكى عن الارض ، ويردد الحاسب الالكترونى « قوى جذب مجهولة تسيطر على مسار سفينتنا فى اتجاه سطح المشترى لدى خط الاستواء ٠ » فتتجمد حركة الملاحين الثلاثة ويغيبون عن الوعى ٠ ليلتقطهم سكان هذا الكوكب ويعتبروهم كحشرات معلنين « آلاتنا الموجهة امتصت ضمن مادة الفضاء ٠ وعاء مصفح بالغ الصغر يصدر ذبذبات غريبة شاذة » وفى تقرير آخر :

« لاول مرة فى تاريخ كوكبنا العملاق القابع فى برودة جوه الثلجى منذ الازل ٠٠ لاول مرة يعثر فى سمائه الملبدة بالغيوم المقدسة ٠ عبر الفنـــاء الخانى المحيط به ٠ مبين توابعه الحارسة الاثنى عشر ٠ يعثر على وعاء من مادة لم تعرف بعد ٠ وبداخل الوعاء يكتشف ثلاث جراثيم دنيئة تحيطها اغلفة مجهولة التركيب ، وقد عكف علماؤنا على فحص الوعاء ودراسة محتوياته فى الحال وسوف تذاع نتائج وتفاصيل بما يتوصلون اليه أولا بأول » (١٢)

وليست كل المخلوقات فى الكواكب الاخرى على هذا القدر من التقدم والرقى ، بل هناك من هم كالانسان الاول فى بدائيته ، فلم يعرفوا بعد اللغة ولا النار ولا الزراعة ولم يتوصلوا لشىء من أســـلحة الدفاع عن النفس البدائية ، وقد بدأ الكاتب القصة بالنهاية ، وذلك فى قصة « **حادث غامض** »

---

(١٢) السابق ٨٧ ٠

فقد عثر على يومية بتاريخ ١٩٩٩/٢/١٧ على قصة عالمين احترقا هما ذاهرا زيادة ، وسميح فضالى ، اللذان حاولا الاتصال بأحد الكوكب من احدى القواعد النائية لارصاد الفضاء ، وسكان هذا الكوكب يشبهون القردة العليا (الجايجا نتوبيثكس) • وعن طريق الاحياء حاول «سميح» التأثير على زعيمهم ، فالتقط (زلطتين) كبيرتين ، وفى عزم أكيد ضرب الزلطتين كلاهما فى الاخرى ، فتطايرت شرارات لها سمة من بريق الصواعق واشتعلت النار • وهكذا ، ولد أول قبس من نار يقدح أول زند فى تاريخ الكوكب المتخلف من أعماق الفضاء فقفزت بذلك النفخة الحضارية على ما تراه ثلاثة ملايين عام فى ثانية واحـــدة » (١٣) •

ويفزع أفراد القبيلة من معجزة النار ، ويتعالى صـــياحهم وزمجرتهم فيندفعون بزعيمهم الى الوهج •

وهنا يشعر سميح باختناق معه ، وتمسك النيران بملابسه وتثير رائحة الحريق غثيان زاهر ، ويدوى انفجاران متعاقبا ن، ويحترق المكثفان الضخمان لازدياد الطاقة بهما ، فى الوقت الذى دوت فيه صرخة ألم عظيمة مثقلة بعذاب أبدى ، ويسقط جسد يتلوى وهو يحمل أبشع صورة لوجه آكلته النيران •

فقد أراد هذان العالمان أن يطورا هذه الكائنات عن طريق الارســـال الالكترونى ، فقفزا ثلاث آلاف سنة فى ثانية واحدة ، بعد أن اكتشفت معجزة النار ، لكن هذه القفزة الحضارية كانت أعنف من أن تتحملها هذه الكائنات ، وما لبثت النار أن ربت اليهما وأهلكتهما •

وهناك لقاء تم بين كائنين مختلفين • أحـــدهما من الكوكب الارضى والآخر من سكان الكوكب الازرق ، وقد أنيط به أن يحمل الاول رســالة

---

(١٣) السابق : ١٤٠ •

استغاثة الى سكان الارض كما فى قصة « اللقاء الرهيب » (١٤) .

ونرى ستة رجال حملتهم مركبة كونية متجهة الى الكوكب الازرق وهناك تحاصرهم عاصفة ترابية ، وعندما انقشعت العاصفة اتضحت معالم الرؤية : أودية جرداء ، بحار مكشوفة للقاع ، لون متدرج من الازرق الداكن الى الاخضر الداكن الى البنى ، الجو خلا من الاوكسجين .

قسم قائدهم الرجال الى مجموعتين للبحث وتسجيل مشاهداتهم . وفى أثناء البحث وجد ثلاثة منهم كائنا « منفردا قصيرا جدا فى نصف قامة انسان أرضى ، ملتحفا بفراء دب ، مغطيا وجهه بقناع عاكس كالمرآة ، فلم يتبينوا حقيقة قسماته ان كان له وجه . شهر الرجال الثلاثة أسلحتهم النارية على الفور ضده ، ولكنهم لاحظوا قوة قاذف اللهب خفيضة فخفضوا أسـلحتهم وتبادلوا التحية .

ويصطحب قائدهم الكائن ليشاهد معالم الـكوكب ، فزارا معا مبنى الحاسب الالكترونى ، وهناك تبادلا الحديث عن طريقه ، وعرف منه ظروف كوكبهم ، وظروف حياتهم ، فقد مروا بمحنة تغيرات فى العناصر ، فقد ازداد تسرب الاوكسجين بتحلل بخار الماء الى عنصرين هما الايدروجين والاوكسجين ، فأخذ الاول يتطاير الى الفضاء لقلة كثافته ، فى حين تساقط الثانى الى السطح مؤكدا القشرة الخارجية للكوكب ومهلكا الكثيرين بمرض الشيخوخة والبرودة التى قضت على الثورة الحيوانية والنباتية .

ثم شاهد معه بعض الاجساد وهم فى حالة الثبات الكامل ، ســبات التجمد بوسيلة علمية مبتكرة ، انتظارا ليوم يفك فيه جمودهم وليعودوا للحياة مرة أخرى ، والى التكاثر من جديد ، ولـكن كل الاجهزة مخربة ولا دراية

---

(١٤) نهاد شريف : الماسات الزيتونية ص ٦٢ وما بعدها ، ط دار المعارف سنة ١٩٧٩ .

لهم بتشغيلها •

واعترف بأن سكان الكوكب الازرق كانوا في انتظارهم وعقدوا الامل على مجيئهم •

وقد وعدهم القائد بأنه سينقل تفاصيل محنتهم الى كوكب الارض • وأعطاه الكائن عشرة أشرطة تسجيل بها خطة هجرة جماعية الى كوكب الارض أو ايجاد حل آخر ينقذهم •

وفي قصة أخرى يصف كائنات غريبة هم نتائج حضاة نجوا من الحرب الذرية بعد لجوئهم الى احدى الجزر ، ولكنهم تعرضوا لمتاعب كثيرة منها شدة الحرارة التي نتجت عن الجفاف ، فما كان عليهم الا الانتحار الجماعي بالقاء أنفسهم في النهر (١٥) •

أما قصة « منلوية فوق العادة » فتتناول موضوعا أكثر اثارة • فيهـــا يتم اللقاء بين احدى سكان الكوكب الاخرى وأحد علمائنا الشـــبان وهو الدكتور عبد العزيز ، طبيب الإمراض الجلدية الذى يكتشف مصلا لمرض سرطان الجلد ، بعد اجراء تجاربه تمكن من عزل الفيروس المسبب لهذا المرض وحصل على ثلاثة سنتيمترات من المصل القاتل له •

وتبدأ القصة بداية مثيرة — كان في شرفة كوخه في منطقة نائية ، آخر شاطيء الدخيلة ، أقصى الطرف الجنوبي لمنطقة الاسكندرية ، وعقب اكتشافه للمصل مباشرة ، شاهدها على شاطيء البحر تتجه ناحية الكوخ ، جميلة ترتدى ملابس عصرية صارخة الالوان ، ثم فجأة ترنحت ، ودارت حـــول نفسها وسقطت • يهرع اليها ويحملها الى كوخه وهو فى حيرة من أمرها •

---

(١٥) انظر مجموعة القصص الماســـات الزيتونية قصة بعنوان تلال الصمت ٧٩ •

وعقب عودتها الى رشدها يعرف منها أنها (عبير) ابنة أستاذه «علوان مجاهد» الذى تتلمذ على يديه في مادة الكيمياء ، والذى يعمل بكندا ، والذى يطلب منه ثمانية عشر سنتيمترا من المصل ، الذى توصل الى اكتشافه ليجريه فى أحد مستشفيات كندا .

وينكب على معمله لاستخلاص المصل ، ويربط بينهما عاطفة حب قوية ويتعاهدان على الزواج .

وبطريق الصدفة يعرف من صديق له أن الدكتور (علوان) رحل مع زوجته ليقيم نهائيا فى كندا ، وأن ابنتهما الوحيدة لطيفة ماتت منذ أربع سنوات .

جاءت اليه فى المساء وحاول التماسك أمامها فى البداية ، ثم صارحها بما سمع ، وأراد معرفة حقيقتها فوافقت بعد عمل فنجان قهوة - لتضع فيه مخدرا له - لتعترف له قائلة « أنا العضو رقم ٩ من مجموعة الزملاء البالغ عددهم ٢٤ ملاحا هم طاقم السفينة الكونية «النجم الفضى» ، التى تسير بالطاقة النووية المضاعفة . وقد حملتنا سفينتنا فى رحلة كشف كونى عادية بدأناها من كوكبنا «المتألق» المجاور المسمى بالشعرى اليمانية ويبعد عنكم ٨ر٦ سنة ضوئية »

وعرف أن أربعة من طاقم سفينتهم بينهم زوجها ، قد ظهرت عليهم أعراض المرض ، نتيجة تسرب بعض الاشعاعات الذرية من خلل بالمولد النووى للسفينة ، بالقرب من الكوكب عطارد حدثت الكارثة ، لولا تلك المقالة التى نشرتها عن ابحاثك وقامت اذاعتكم بقراءة ملخص لها .

وفى النهاية تسأله عن زجاجة المصل لتحين ساعة الرحيل ، فوضعت على شفتيه قبلة الوداع لتختفى رويدا رويدا فى قارب صغير أو طبق طائر

كان فى انتظارها على صفحة المياه .

قصة محبوكة الاطراف لا افتعال فيها . وقد توافرت فيها شروط القصة الفنية القصيرة من حدث متطور وشخصيات دار بينها حوار ووصف للمكان والزمان ، ومفاجاة ونهاية مقنعة . مع دقة الوصف وصف المكان . وصف المشاعر تجاه الغريبة القادمة من قبل امه الكفيفة التى لم تسترح لها ، وخادمتها والكلب الصغير « حتى الكلب الصغير بوبى الذى أهدانيه صديق مؤخرا . وتغير سلوكه لدى رؤية الفتاة .. فحين أقبل من ناحية المطبخ كان يهز ذيله كعادته مرحبا بلقائى .. لكن ما أن لمحها بين ذراعى حتى جمد فى مكانه .. وتشمم الهواء من اتجاهنا فى انزعاج .. ثم رأيته يطوى ذيله بين فخذيه ، ويسارع الى الانكماش بأحد الاركان وهو يئن أنينا خافتا » (١٦) .

وتمثلت دقة وصفه فى كيفية تحضير المصل ،مستندا على طريقة علمية ،وكسا هذه الحقائق بمعلومات دقيقة ولكنها لم تطغ على أحداث القصة ولم تعمل على جفافها . ألم أقل لك ان حبك لى مجرد خدمة ؟

بل أحببتك بالفعل يا عبد العزيز .. اشتعلت عواطفى لمرآك ، وتعلقت بك عن صدق واخلاص .. مع أنى زوجة لمخلوق آخر .. سواك ..

- ستعودين اليه .. وتتركيننى .

- لا يوجد حل ثان .

قلت وأنا أشعر بثقل فى جفنى : سيشق على فراقك ..

همست : وعلى ..

تثاءبت : ستظل صورتك ماثلة أمامى ما حييت ..

- وأنا .. لن أنساك مطلقا ..

---

(١) رقم ٤ يأمركم١٠٩ .

كل ذلك فى لغة رقيقة موحية كشأن لغة قصصه جميعها .

★★★

واذا كان نهاد شريف قد نجح فى تجسيد موقف الانسان من العلم وتطوره المذهل مستخدما روح المغامرة والتطلع الى المستقبل والى عوالم جديدة يرتاد أفقها الانسان ، والرغبة فى التحرر المطلق من قيود الارض والتطلع الى اللانهاية ، وتشوقه الى معرفة عوالم أخرى وكائنات أخرى غريبة أكثر تقدما أو أكثر تأخرا ويحملوا الانسان مسئولية ايجاد حل له فلانملك ازاء كل هذا الا أن ندهش ونتعجب ونتشوق الى معرفة النهاية ، وقد عرفنا من قبل هذا النوع من الخيال فى قصص السندباد والف ليلة وليلة بعمامة .

تحرك نهاد شريف بحرية فى الزمن يقفز الى المستقبل كما رأيناه من قبل أو يرتد الى ماض بعيد اندثر كما فى قصة « ثقب فى جدار الزمن» ونتقبل منه أن تصل قوة الحب لشخص ما أن يخترق جدار الزمن ، فينطلق متحركا فى الزمان لا الفضاء خلال أربعة قرون ونصف ليلتقى بحبيبته أو من تشبهها شكلا واسما !!

وتحكى القصة عن « أنس باى داودى » الذى كان ضابطا فى عسكر السلطان المملوكى قنصوه الغورى ، ترك زوجته «سلمى» التى كانت على قدر كبير من الجمال ، لمحاربة السلطان سليم العثمانى فى مرج دابق بالشام يوم السبت عام ٩٢٢ هـ والموافق ١٥١٥ م ، فطمع فيها أمير مملوكى ماجن يدعى «برقوق» وأخفاها فى أحد قصوره ، يبحث عنها زوجها فى كل مكان بالقصر وهو بمدينة حلوان .

ويفاجأ بأربعة أشخاص هم زوجان وضيفاهما فى نفس المكان بفيلا بحلوان وهم يجلسون فى شرفة الفيلا ، ويضرب حارسها ويتقدم نحو سيده ويركع فى حنان بالغ قائلا « سلمى معبودتى » ...

ويقبض على هذا الرجل ويعترف بحقيقته بلكنة تركية مؤكدا أنه صادق ولكن يندهش الجميع ، فكيف يوجد رجل حي من ٤٥٠ سـنة وأحيـل الى مستشفى الامراض العقلية .

لم يشك زوج سلمى فى كلامه وهو أستاذ الفلسفة وصاحب نظرة مدققة لا تخيب ، وأكد جهاز كشف الكذب بأنه صادق ، استعان بشقيق زوجته الباحث الذى تخصص فى تاريخ العصور الوسطى ، وبالمصادفة يعثر لديه على مخطوط للمؤرخ ابن اياس . جاء فيه ذكر حادثة اختطاف الأمير برقوق لزوجة قائد العسكر أنس باى داودى وأنهـا توفيت حزنا لفـراق زوجها ، وذكر المخطوط مكان مثواها « مقبرة بحوشة خلف المسجد المعروف بجامع عرب اليسار بالقلعة والذى بناه السلطان الغورى »

في ذلك الوقت هرب الداودى من المستشفى وأحكمت الرقابة على الفيلا ، اصطحب الزوج أخا زوجته الى المقبرة ، ليجدا مفاجأة على شاهد القبر « سلمى أنس باى الداودى توفيت عام ٩٢٢ هـ قرينة قائد العسكر وحاجب حجاب السراى أمير السلاح انس باى الداودى » وصورة تشبه زوجتـه تماما . وليجدوا شاهدا آخر كتب عليه أنس باى الداودى توفى سنة ١٩٧٥ .

وهذه القصة ترينا مدى خصوبة خيال الكاتب مع التزامه بقواعد القصة المتعارف عليها ، مستندا على فكرة أصحاب الكهف الذين بعثوا من رقدتهم الطويلة والتى استمرت ثلاثمائة من السنين ، ووجدوا الزمن قد دار دورة هائلة ، والحياة تغيرت وقد اتخذت معالم جديدة تغاير تلك التى عهدوها من قبل ، حينئذ شعروا بفارق الزمن ، وأحسوا بأنهم جزء من ماضى اندثر ، ففقدوا توازنهم ولم يستطيعوا مواجهة الحياة الجديدة ، فعادوا الى الكهف مرة أخرى أو الى الماضى الذى كانوا جزءا منه .

فالبطل هنا يبعث من جديد وقد كساه لحما ودفع فيه دما ، ليبحث عن زوجته ، وعندما يجدها لا يجد من تشبهها ، فتصدمه الواقع وتتحطم آماله فلا مهرب من كل ذلك سوى العودة من حيث أتى ليموت مرة أخرى .

والانتقال فى الزمان سواء بالارتداد الى الماضى أو بالقفز الى المستقبل عرف عند كتاب الرواية العلمية ، وعرفناه من قبل فى رواية ويلز « آلة الزمن » ورواية لافكرافت « ظل من الزمن » فى كونهما محاولة لتخيل عودة فترة مختلفة . ورواية ى . ت . بيل فى « قبل الفجر » ، ولكن بيل يعرف جيدا أن السفر فى الزمن مستحيل ، وكان ويلز قد أقر بأن الزمن هو مجرد بعد رابع وسوف يسافر الناس فيه يوما كما يسيرون الآن فى أحد الشوارع . فمثلا يستطيع مسافر الزمن أن يسافر عائدا الى الأمس ويلتقط نفسه كما كانت قبل يومين ، ويجتمع لديه بذلك جيش من نفوسه لايحصى عدده . أى أن هذا يشتمل على عدد لا يحصى من العوالم المتوازية التى يقع كل واحد منها بجزء من الثانية خلف الآخر ويكون السفر الزمنى انتقالا جانبيا من عالم الى آخر (١٧) .

صور نهاد شريف بطله تصويرا مقنعا وصور أحداث القصة بواقعية ، بالرغم من أنها كذبة متفق عليها بين الملتقى والمبدع وهذا يتحقق بما يعرف باسم « الايهام بالواقع » حتى ولو كنا فى مجال « الفانتازية » والتى تستهدف معالجة المبالغات بأسلوب التناول الواقعى . والتى ثبتت هذه المبالغات فى ثنايا خيط من القص .

بدأ القصة بداية غامضة واصفا طريقا متربا فى ليل حالك . يصف البطل وهو يعود قائلا :

---

(١٧) انظر المعقول واللامعقول في الادب الحديث ١٥٤

وراح الرجل يستحث خطاه فيما يشبه العدو مقطوع النفس .. يغرق العرق عنقه وابطيه وكل ظهره رغما من برودة الجو .. وقارص رياحه .

ـ ســـا .. لى .

انفلتت الصيحة هاربة .. تسبق خطاه وقد جلجل صداها مفزعا .. ملتاعا .. تشق كتلة الظلمة معرضة .. معرضة .. مختنقة .. متلاشية فى طيـــــاتها .. .

وانتهى السياج . وصعد الطريق أكثر .. زادت وعورته . قـدماه تغوصان فى حصاه بأطرافهما .. تغوصان وتنطلقان تعدوان .. فى وهن ..

ساعات وهو يعدو ساعات طويلة .. بل أيام متلاحقة لايعرف عددها .. وقد تمزق نعلاه .. وكلت ساقاه .. وتصلب ظهره وكتفـــاه ..

أيام وأيام وهو يعدو محروق القلب .. وينادى بحنجرة ملتهبة .

ـ ســـــا .. لى

ونتبين من خلال هذا المشهد أننا ازاء موقف لرجل يكاد يسقط من شدة الاعياء ، ولكنه يقاوم ، ولا ندرى اذا كان هذا حقيقة او وهما ، ولكننا منذ البداية نتفاعل معه ونشفق عليه .

ويستمر الخط الواقعى فى التطور والاقتراب من الخـــط الفنتازى ، والتفاعل معه ، حتى يضعنا المؤلف أمام مشهد الرجل أمام الزوجة يركع تحت قدميها وينطق برقة بالغة « سالى » .

ويقدم الينا بعض المفارقات التى تحكم عالم العمل وتجعل حدثها من اللامعقول محتملا بل واقعيا .

ومثل الرجل أمام الشرطة لاستجوابه عن اسمه ومهنته .

اسمك ؟ ، فاجاب بلكنة تركية :

ـ أنس باى داودى

ـ سنك

ـ ٣٨ عاما .

ـ مهنتك ؟

ـ .. .. !

ـ ماذا تعمل . أجب ..

ـ حظرتنا .. قائد .. عسكر .. رماة بنادق ..

ـ تعنى ضابط ..

ـ نعم ..

ـ ما هى اثباتات عملك كضابط ؟

ـ .. .. !

ـ ألا تحمل مستندات .. بطاقة ... شهادة .. ترخيصا ..

ـ يمكن حظرتكم سؤال .. سعادتك جناب أمير كيرت بيك .. .. الوالى وأبو المفاخر والمعالى .

ـ تقصد من ؟ !

ـ أقصد جناب كيرت بيك .. أشجع فرسان .. وأعظم أفراد دولة سلطان أشرف قنصوه الغورى .

ـ أنت ضابط فى جيش السلطان قنصوه الغورى ؟

ـ بكل تأكيـــد .

ويبذل الرجل أقصى ما عنده لاثبات حقيقته ، ولكن هيهات ، فلم يجد من يصدقه من أصغر جندى بقسم الشرطة الى مأمور القسم ذاته .

وما أن يتعرف على ذاته حتى تطالعه هموم واقعه ، التى لا فكاك منها ، بالرغم من محاولات تمت لاثبات صدقه من قبل زوج سلمى ، وعندما يتضح صدقه يكون قد سبقهم الى عالمه الذى أتى منه منسحبا من هذا العالم ..

فاستبدال الوهم بالواقع يكرس عزله البطل فى داخل ذاته ويفقده القدرة على التعامل مع الحياة ، فيظل خارج الاشياء ، ليرى العالم خطرا يهدده ، وهنا ينشأ خوفه من المواجهة • فقد أراد أن يصحح وضعا ولكنه أخفق فى مواجهة الزمن والواقع فاضطر الى الارتداد الى عالمه •

وقد نجح الكاتب فى تقديم أبعاد مختلفة لشخصية بطله وأيضا للشخصيات الاخرى • كل ذلك فى بناء فنى متماسك وتركيب الاحداث تركيبا تصاعديا ، ونهاية مقنعة ، بلغة حيوية شيقة فى نسيج من المشاعر والاحاسيس •

ويلاحظ الى جانب ذلك أن بعضا من قصص نهاد شريف يمضى فى مسارين ، فبعضها مستند على حقيقة علمية وبعضها على خيال جامح •

ففى قصة القصر مثلا يكتشف الدكتور متولى اكسيرا لاطالة العمر ، واطالة العمر هو حلم البشرية منذ الأزل وهذه القصة تشبه الى حد كبير رواية قاهر الزمن •

فهناك فى قرية الخطاطبة راقب « نصرى عبيد » قصر الدكتور متولى المحاط باسوار ضخمة وكلاب شرسة فى الحديقة وأناس مريبين يتسللون ، وصناديق مغلقة تنقل سرا ، وانات وصرخات صاخبة يتخللها عزف موسيقى حزين يتعالى ليلا •

قرر «نصرى» أن يعرف حقيقة ما يجول فى هذا القصر ، وبخاصة عندما رأى عمه يتجه اليه • وبعد مغامرة محفوفة بالمخاطرة وجد دهليزا عليه عدة حجرات ، وفى أحداها رأى « أجسادا هزيلة معتمة ، تترنح فى رقصات عشوائية على أيقاع نغمات تصدر من حاك عتيق الطراز •• وزكمت انفى روائح عفنة نفاذة •

فلبالغى كانوا يتفاخرون •• عشرة •• أربعة عشر •• أكثر • أقل »

بأجسادهم النحيفة النحيلة المهلهلة الجلد ‥ البارزة العظام يتناثرون فرادى وجماعات ‥ يتحركون ويتداخلون فى بيبد وخفة شيطانية ‥ » .

وعندما تأمل وجوهم « كانت مريعه فى قبحها ‥ لها قسمات تب فيها نتن القبر قبل الاوان ‥ متقلصة ‥ مشوهه ‥ كريهة ‥ تملأ الغضون والتجاعيد كل ثنيه فيها ‥ وتنتشر القروح والبثور غائرة فى انحائها ‥ وكانت الرؤوس كلها صلعاء صلعا شاملا ‥ (١٨) ·

وفجأة وجد من يمد اليه أصابع رفيعة معقوصة كأصابع المومياء وهنا يقبض عليه وتحاصره الاسئلة ثم يمثل أمام الدكتور متولى ليعترف له انه جاء لمعرفة مصير عمه الذى يحضر اليه ، ويدهش « نصرى عبيد » عند رؤيته « مستحيل هذا الحطام المتحرك ‥ عمى ‥ » ·

ويخلو العم بابن أخيه ، ليشرح له حقيقة ماحدث له وحقيقة أبحاث الدكتور متولى ، الذى اكتشف معجزة علمية فريدة بعد أن توصل الى تركيب اكسير ، يؤخذ كشراب يطيل عمر الحياة البشرية الى الضعف ، ويدهش أيضا عندما يعلم بحقيقة عمر الدكتور متولى الذى يقرب من ١١٢ عاما مع انه يبدو فى سن الخمسين · فقد جرب الاكسير على نفسه ثم على آخرين · وبرغم نجاحه فانه لم يقو على نشر اكتشافه الذى يعتمد على « نوع نادر من الفطر » أمكن تحضيره : هـذا الفطر الذى يهاجم التحللات واخطاء الاتزان فى الاجهزة الداخلية الحيوية بالجسد البشرى ‥ فيوقفها ‥ وبالسيطرة على عمليات الاستهلاك الداخلى وأولها ضمور عضلات القلب وتصلب الشرايين ، يمكن السيطرة على الشيخوخة تماما ·

هذا إذا تناول الفرد الإكسير قبل سن الخمسين ، أما بعـد الخمسين فإن مفعولة يهبط ويفشل فى التأثير على الانسجة الخارجية وأولها خلايا البشرة والجلد وبصيلات الشعر ، وهؤلاء الاشباح الذين كانوا على حافة القبر ·

---

(١٨) رقم ٤ يامركم ٩٤ ·

، ويتفرس الدكتور متولى فى وجه «نضرى» ، ثم يسأله عن سنه فيجيبه «عشرون عاما» ويتأكد من خلوه من الامراض · وهو يقرر قائلا « انك أصلح نموذج الاجراء تجربتى الكاملة لاطالة الحياة · ستشرب الاكسير لتعيش الى ما بعد المائة ·· بل ربما وصلت سنك للمائتين ·

وهنا تبلغ القصة ذروة التشابك ، وتعقد الموقف أكبر عندما تدخل العم للدفاع عن ابن أخيه فيعارضه بشدة وتشابكا بالايدى ، وصرخ عمه ليهرب من النافذة ، وتمكن من مغادرة القصر ثم الهجرة الى كندا تاركا القطر بأكمله · ليعود بعد خمسة وعشرين عاما ليتساءل ما مصير رجاله الذين تجرى قطرات الاكسير السحرية فى دمائهم ؟· فمازال القصر قائما وان انهارت معظم أسواره ·

وهذه القصة تنتمى الى الروايات البولسية أو رواية اللغز · واللغز هنا هو اهتمام البطل بمعرفة مايدور داخل أسوار القصر بعد مشاهدته لاشياء غير مألوفة وسماعة اصوات غير عادية ، تصدر من داخل حجرات القصر ، وفى هذا كله تهيئة زهن القارىء لجو القصة دون أن يكشف عن موضوعها ، وقد وصف القصر من الخارج وصفا دقيقا لتهيئة الجو النفسى والفعلى لوقوع الاحداث فيه · ثم تبدأ الاحداث فى التدافع لكشف السر او اللغز الذى دفعه الى اقتحام أسوار القصر · وتتجلى قدرة الكاتب وموهبته فى هـــذا البناء ، فقد أراد منذ البداية اثارة خيال القارىء وجذب انتباهه وتركيز الحقائق ، ووضعها متتالية ، بهذه الصورة وهى · من خصائص القصـــة القصيرة · وبدأت الاحداث تسير بحركة سريعة الى أن عرف البطل السر الذى يبحث عنه ، ثم يتأزم الموقف عندما يقرر الطبيب اجـــراء تجاربه فتميد الارض به ، ويقرر الفرار من هذا المازق تاركا هذا العالم ، تاركا عمه لمصيره الذى كتب عليه ·

وقد رسمت الشخصيات بعناية ، ونجح فى اضفاء جو من الرهبة والاثارة والصراع الذى تجلى بين الطبيب الذى استسلم لمصيره · ولم يرد أن يتكرر

نفس المصير مع ابن اخيه عندما امره الطبيب ان يشرب من القنينة التى تحوى الاكسير والذى يكشف عن رؤية واعية لحقيقة الصراع :

« وهب عمى واقفا والشرر يتطاير من عينيه الدامعتين المحمرتين ·· اختطف القنينة ·· قال فى اقتضاب : لن يشربه ·· الشاب ما يزال يافعا ولن يقوى على تحمل آلام تعاطيه ··

بان الغضب على وجه الدكتور : ليس من شأنك ··

لكن عمى ضمنى اليه بعظامه فتناسيت رائحته الفظيعة · بحق قرابته لى : سأمنعك ··

— أو يجسر مخلوق على معارضتى ·· ؟

— انه انا ·· سأمنعك ··

قالها عمى وهو يلقى بالقنينة الى الارض ويقفز فى رشاقة أمهر الرياضيين لينشب فى عنق الدكتور أسياخا حادة هى أصابعه ··

وصرخ فى عمى أن ابادر بالهرب » (١٩) ·

فالبطل هنا هو محرك الاحداث ، اراد أن يكشف عن المجهول بالرغم مما يكتنفه من مصاعب وليتبين الحقيقه ، وكان من الممكن أن يكون مصيره كهؤلاء البشر لولا تدخل عمه وحمايته له ·

وشخصية الطبيب الذى يعد محور الارتكاز فى أثاره الصراع فى القصة — تتحدد فى أنه يتعامل مع مجموعة من الافكار ليحاول أن يحقق حلم البشرية فيضاعف عمر الانسان ، بعد اعطائه عقارا معينا قام باكتشافه ، فهل هو يقدم خدمة للبشرية حقا بالرغم من مخالفتها للمألوف ؟ أم انه يضر البشرية بهذه الخدمة؟ثم ما مصير هؤلاء الناس الذين سجنوا وراءأسوار القصر بعد تحولهم الى اشباح والى مناظر كريهة مشوهة لا يستطيعون مواجهة الناس ؟ · تساؤلات نريد أن نعرف الاجابة عنها · ولكن الكاتب يتركنا فى

---

(١٩) السابق ١٠٤ :

حيرة ليتصور كل منا بأننا يحدث لو امتد بنا العمر الى هذا الحد وتحقق الحلم الذى يراود الانسان منذ القدم " ؟

كل ذلك فى بناء فنى متماسك لاافتعال فيه ، مع اهتمام بوصف تفاصيل الحدث وملامح الشخصية والمكان ، مع عناية ايضا بتفصيل حقيقة الاكتشاف العلمى ، مع اهتمام شديد باللغة : فهو يحافظ على سلامة البناء وبلاغة الجملة ويحقق لها قدرا من الموسيقية والتوازن الصوتى فى التعبير .

★★★

وفى قصة (نهر السعادة) يتحدث فيها عن السيال الضوئى أو (التنبيه الكهربى للمراكز العاطفية بالمخ البشرى » ، وهذه التجارب اجراها الدكتور امين عزمى أخصائى جراحة المخ والاعصاب . وقد بدأ ابحاثه مركزا على الأجزاء الخلفية من أمخاخ الحيوانات المقابلة فى المخ البشرى لما يسمى بـ « منطقة التلاموس » . وقد أجرى تجاربه على ذكر وأنثى من الارانب ، بعد توصيل أسلاك معدنية بين مخى الارنبين ووقف امام جهاز رسم المخ وجهاز القياس الالكترونى ، وتصادف انقطاع التيار الكهربى وأظلمت الحجرة ليشاهد شيئا غريبا « ومضات مستطيلة من ضوء قرمزى باهت يخرج من مخ الارنبة ليسير على الأسلاك بطيئا حانيا الى اتجاه مخ الأرنب فيسكن فيه » ظل هذا السيال حوالى ٣٥ دقيقه تقريبا .

فظن انه الروح أو جزء من مكوناتها . ومن مشاهداته اتضح له أن ظاهرة السيال الضوئى لا يتم حدوثها إلا بين كائنين متآلفين يكونان من جنس مماثل شريطة مرض او احتضار . فهو جوهر من العواطف . أو هو نهر السعادة كما يسميه :

هذه الحقيقة العلمية التى استند اليها الكاتب وظفها توظيفا بحيث بعدت عن جفاف المادة العلمية فى حبكه فنيه جيدة ، فيقدم لنا الدكتور أمين الذى

بالحب على ابحاثه وهو دائم الانطواء ، ويكتشف مساعد معمله سر غموضه وانطوائه عندما سمع حوارا دار بينه وبين شخص غريب فيعرف أن للدكتور امين ابنه « شهيرة » غير شرعية لا تعرفه ولم يمنحها اسمه . وهى تعيش عند هذا الرجل الذى يريد منعها من الزواج من انسان تحبه ، وهو الدكتور أحمد مساعد الدكتور امين فى المستشفى ، ويدافع عنه الدكتور امين ولكنه يصمت أمام تهديده له بكشف سره امام ابنته .

ويمرض الدكتور امين ويلازم الفراش ، بعدما يفر الحبيبان ليتزوجا وتحدث لها حادثة فى طريق مصر الاسكندرية بعد ان امضيا ليلة فيها وينقلان الى المستشفى عقب الحادثة . كانت اصابه الزوج اشد من اصابة الزوجة

ويصر الدكتور امين على أن يقدم هبة اخيرة لابنته ، فينقل السـيال الضوئي من زوجها اليها ويجري التجربة عليها .

ويضع د. أمين أدواته على رأس الابنة تحت منطقـة (التلاموس) . فيما وراء الجمجمة . والتي تحتوي على النقاط القوية للعاطفة ، ويوصـل الاسلاك المعدنية الرقيقة بين الاثنين ويطفيء النور . ليتدفق السيال الضوئي قويا . باهرا هذه المرة .

« يا للروعة .. يا للقدرة الالهية القابعة فى ثناياه ، لقد لاح بغتة وكأنه الرحيق ينبثق من قلب زهرة خالدة أو هو جدول أطياف ملائكية ينسـاب عبر اللانهائية . ليس في الوجود ما هو أجمل وارق من ضوئه الفيروزى الحانى الذي يشد البصر والمشاعر مع مجراه الحالم » (٢٠)

وتتوقف أنفاس الطبيب الشاب بينما بقيت رئتا الفتاة تردد ان أنفاسا خافتة . وهى فى غيبوبة بين الحياة والموت ، فى خيمة آكسجين ترتسم على شفتيها ابتسامة سعيدة . ورجاء من والدها لم يطمع مثله فى حياته .

---

(٢٠) رقم ٤ بالمركز ٤٦ وما بعدها .

وهذا المشهد يبدأ به القصة وينتهى به معتمدا على طريقة « الارتداد للخلف » .. ورسم الشخصية بعناية واهتم بالحوار الذى أضاف ملامح جديدة على شخصية الدكتور مشاهد قليلة ، وأحداث مركزة .

ويقدم لنا قصة أخرى ذات بعد انسانى مستندا الى حقيقة علمية وهى قصة « الماسات الزيتونية » تدور هذه القصة حول طبيب جراح للمسالك البولية ، يتوصل الى تصنيع الماس داخل كلية الانسان . والماس ما هو الا كربون نقى متبلور ، ولكى تتكون بلوراته ، لابد من ضغط الكربون بشدة وتسخين سائله المتدفق الى درجة حرارة عالية ، ويحتاج تكوينه أيضا لصدمات من البرودة المفاجئة ، كل ذلك فى كلية مريضة تذعن لعمليات الترسيب حيث يتاح ابراز الحصاة الى الوجود . ويبدأ بكلى الانسان المريضة أولا ثم بعدها يلجأ الى تكوين الماس فى كليته هو وذلك لبيعه ومساعدة شقيقه الأصغر المريض بالكلى .

وقد بنيت حبكه القصة على الميلودراما وتكرار المصادفات ، وبدئت بشاب يدخل محل صائغ منكرا شخصيته ليبيع له بضع احجار زيتونيه اللون . وفرح الصائغ بالصفقة ، وعد هذه الأحجار ماسات من نوع جديد غريب . ودرت عليه الماسات ربحا كبيرا ، وتبدل حالة . وعبثا حاول معرفة مصدر هذه الماسات من هذا الشاب الغريب .

ويتصادف أن وجد فى احدى مستشفيات طنطا لزيارة أحدى قريباته ، فيرى هذا الشاب ، ويعرف انه طبيب وجراح المسالك البولية ، وعندما يعاود زيارته يواجهه التاجر بحقيقة فلا ينكرها ، ويروى له تطور اكتشافه لحصى الكلى مع تخليق الماس . ولكن الصائغ يرجوه الا يعاود هذا الفعل مع مرضاه .

ويمر وقت طويل لنرى زوجة الطبيب ترتدى ملابس الحداد وتحمل رسالة معها الى الصائغ فيفتحها ، ويقرأ فيها « عزيزى الحاج على أنشد صفحك . أخى توفيق فى خطر داهم ولابد ان اهب لنجدته ، حسب قسمى

لك والذى لن أحتث به اضطر لتكوين الحصوات الماسية بكليتى انا ، ولا أحد غيرى ·· حين تصلك سطورى تكون الجراحة قد فشلت ، واكون ساعيا للقائى المرتقب مع خالقى·· معذرة مرة أخرى فحياة أخى لدى اغلى من حياتى، وداعا · وصل من اجلى » (٢١) ·

ثم تنتهى القصة بشراء الحصوات الماسية بمبلغ سخى وتنصرف الزوجة · ويستند الكاتب فى هذه القصة على قاعدة أخلاقية فلا يجب أن نتخلى عن القيم والمبادىء فى سبيل اجراء اختراعات علمية يمكن أن تضر بأمن البشرية ·

وهناك بعض قصص فى مجموعاته تدور حول الخوارق ، فهى بعيدة عن العلم منها قصة (الذى تحدى الاعصار) ، (ولقاء مع حفيدة خوفو) ·

★★★

ويتبين مما تقدم أن قصص الخيال العلمى تتناول التقدم العلمى ومنجزات التكنولوجيا وتطورها ، الصالح منها والضار ، من خلال أحداث درامية بعد أن يعقد الفنان نوعا من المصالحة بين الأدب والعلم ·· فالأول قائم على الخيال والثانى قائم على التجربة واستقراء الواقع والانتهاء الى قوانين محددة · فيه تصوير للمستقبل من وجهات نظر مختلفة واجتهادات منطقية ورؤية فلسفية متحررة ، انه الأدب الذى يحلم باللحظة التى ينتصر فيها الانسان على الشيخوخة والمرض بل الموت · كيف يتغلب على اضاعة الوقت فى النوم والجلوس لتناول الطعام أو حتى الكلام · هو الأدب الذى يخترق أعماق البحار ، ويهزم المسافات بين النجوم والكواكب ، ويتطلع الى استقبال كائنات أكثر رقيا تفد اليها من عوالم قصية أو كائنات اقل رقيا ننطلق نحن اليها · وينطلق بنا الى عالم ملىء بالخوارق والألغاز وخفايا الكون · كل هذا بأسلوب شائق ، يثير المتلقى ، ويتحوز على اهتمامه ·

---

(٢١) الماسات الزيتونية ٤٤ ·

المصادر والمراجع

أولا المصادر :

- أنيس منصور : الذين عادوا من السماء ـ دار الشروق سنة ١٩٨٧ ٠
- ايهاب الازهري : الكوكب الملعون ـ دار الزهراء سنة ١٩٨٧
- توفيق الحكيم : مجموعة أرني الله ـ ط دار الهلال سنة ١٩٧٤ ٠
- راجي عنايت : مغامرة على كوكب الزهرة ـ دار الشروق سنة ١٩٨٧ ٠

  أحلام اليوم حقائق الغد ـ دار الشروق سنة ١٩٧٤
- رأى براد بورى : مسرحية عمود من نار ـ ترجمة رؤوف وصفى ط الكويت العدد ١٨٤
- صبرى موسى : السيد من حقل السبانخ ـ ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٧ ؛
- نهاد شريف : سكان العالم الثانى ـ ط الامانه سنة ١٩٧٧ ٠

  قاهر الزمن ـ دار الهلال سنة ١٩٧٢ ٠

  رقم ٤ يامركم ـ مؤسسة اخبار اليوم ١٩٧٤ ٠

  الماسات الزيتونية ـ دار المعارف سنة ١٩٧٩ ٠
- د٠ مصطفى محمود : رجل تحت الصفر ـ ط بيروت سنة ١٩٧٤ ٠

  العنكبوت ط بيروت ؛
- الف ليلة وليلة ـ ط دار الهلال سنة ١٩٨٥ ٠
- الكتاب المقدس العهد القديم والعهد الجديد ٠

ثانيا : المراجع

- د٠ أحمد كمال زكى ـ الاساطير ـ مكتبة الشباب سنة ١٩٧٥ ٠
- أدولف ارمان ـ ديانة مصر القديمة ـ ترجمة عبد المنعم أبو بكر ـ ط الحلبى سنة ١٩٦٥ ٠

ـ ارنست كاسيرر ـ الدولة والاسطورة ـ ترجمة أحمد حمدى ـ ط الهيئة العامة سنة ١٩٧٥ ٠

ـ أنجيل بطرس سمعان ـ دراســـات فى الرواية الانجليزية ـ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨١ ٠

ـ ايفون ايفانز : موجز تاريخ الادب الانجليزى ـ ترجمة شوقى السكرى ـ ط الانجلو المصرية ٠

ـ يوتا موويس : ماوراء المجموعة الشمسية ـ ترجمة ادوار رياض ـ ط دار المعـــارف ٠

ـ برتراند راسل : حكمة الغرب ـ ترجمة د٠ فؤاد زكريا ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت ٠

ـ برونوفسكى : العلم والبداهة ـ ترجمة أحمد عماد الدين ـ ط لجنـــة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٢ ٠

ـ بلا تارخوس : ايزيس واوزيريس ـ ترجمة حسن صبحى بكرى ـ ط الالف كتاب ٢٣٥ ٠

ـ د٠ ثروت عكاشة : الاغريق بين الاسطورة والابداع ـ ط دار المعارف ٠

ـ د ٠ جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ـ ط المجمع العراقى سنة ١٩٥٥

ـ جوليان هكسلى ٠ أصل الاشياء ترجمة صبحية غنيم الالف كتاب ١٩٦٥ ٠

ـ جيرالد وكنز : بدائع السماء ـ رحلة مع العلم فى رحاب الكون ـ ترجمة د٠ عبد الرحيم ـ ط بيروت سنة ١٩٦٧ ٠

ـ جيمس فريزر : الغصن الذهبى ـ ترجمة أحمد ابو زيد ـ ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٠ ٠

ـ دنيس جفورد : سينما الخيال العلمى ـ ترجمة نهاد شريف ٠

ـ د٠صلاح فضل :منهج الواقعية فى الابداع الادبى ـ دار المعارف سنة١٩٨٠

ـ الطبرى : تفسيره ـ ط الميمنة سنة ١٩٣١ ٠

ـ د. طه محمود طه : القصة فى الادب الانجليزى ـ ط الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٦ .

ـ د. عبد المحسن صالح : ١ ـ الانسان الحائر بين العلم والخرافة ـ ط الكويت سنة ١٩٧٩ .

٢ ـ التنبؤ العلمى ومستقبل الانسان ـ عالم المعرفة الكويت سنة ١٩٨١

ـ عثمان نويه : حيرة الادب فى عصر العلم دار الكاتب العربى للطباعة والنشر سنة ١٩٦٩ .

ـ ابو نصر الفارابى : آراء أهل المدينة الفاضلة ـ دار المشرق بيروت سنة ١٩٨٦ .

ـ فاروق خورشيد : فى بلاد السندباد ـ ط دار الهلال سنة ١٩٨٦ .

ـ فورستر : عصر الآلة ينهار ـ ترجمة جبران سليم ط الالف كتاب .

ـ القزوينى : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ـ ط مصطفى البابى الحلبى سنة ١٩٥٦ .

ـ كاريل تشابيك : مسرحية انسان روسوم الآلى ـ ترجمة د . طه محمود طه الدار القومية للطباعة والنشر .

ـ كولون ولسن : المعقول واللامعقول فى الادب الحديث ـ ترجمة انيس زكى ط بيروت سنة ١٩٨١ .

ـ د. لويس عوض : الثورة والادب ـ ط دار الكاتب العربى للطباعة والنشر سنة ١٩٦٧ .

ـ د. مجدى وهبه : معجم مصطلحات الادب ـ ط بيروت سنة ١٩٧٤ .

ـ د. محمد عزيز الحبابى : من الكائن الى الشخص ـ ط دار المعارف سنة ١٩٦٢ .

ـ د. محمود سليم الحوت : فى طريق الميثولوجيا عند العرب ط بيروت سنة ١٩٧٩ .

ـ المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ ط السعادة سنة ١٩٥٨ .

ـ النويرى : نهاية الأرب ـ ط دار الكتب سنة ١٩٢٩

ثالثا : المجلات والدوريات

ـ ابداع : مقال بعنوان : السيد من حقل السبانخ ـ لطلعت رضوان العدد السابع يوليو سنة ١٩٨٧ ٠

ـ جريدة الرياض : مقال بعنوان : التقارب الفكرى بين نهاد شريف وجول فيرن ـ لمحمود قاسم العدد ٥٤٢٧ ابريل ١٩٨٣ ٠

ـ فصول : مقال بعنوان : رواية الخيال العلمى ومستقبل الانسانية للدكتور عصام بهى العدد الثانى سنة ١٩٨٢ ٠

ـ الفكر المعاصر : مقال بعنوان : القصة العلمية الحديثة ل س هينجر يونية سنة ١٩٦٩ ٠

ـ المجلة : مقال بعنوان : أدب الخيال العلمى لدينا حديث العهد عدد ١٦٦ ابريل سنة ١٩٨٣ ٠

ـ مجلة اليونسكو : العدد ٢٨٢ سنة ١٩٨٤ ٠

الفهـــرس

رقم الايداع ٨٨/٧٥٢٨
الترقيم الدولى ٨ ـ ٥٧٣١ ـ ٠٥ ـ ٩٧٧

طبع بمطابع دار الوزان للطباعة والنشر
القاهرة ـ المعادى ـ ت ٣٥١٠٧٠١

★ **هذا الكتاب**

- يعرض لنـوع من القصص هو « **قصص الخيـــال العلمى** » الذى يحتل مكانا بارزا وسـط الابداع القصصى المعاصر ·

- وتدرس فيـه مؤلفته « **الحدث** » الفنى ، القائم على منجزات التقدم العلمى التكنولوجية ، بوجهيهـا الايجابى والسلبى ·

- وتكشـف عن محاولة كتابه عقد مصالحة بين « **الأدب** » المرتكز على الخيال المقنع ، «**والعلم**» المؤسس على التجربة واستقراء الواقع ·

- وتوضح أن هذا النوع من القصص يشتمل على تقاليد القص الأصيلة الى جانب ما يتمثل فيـه من قيم فنية جديدة ·

الناشر

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد القاهرة

دار الوزان للطباعة والنشر ـ المعادى ت ٣٥١٠٧٠١